كتاب

الملل والنحل لابى الفتح الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى
سنة ٥٤٨ قال التاج السبكى فى طبقاته كتاب الملل والنحل للشهرستانى هو عندى
خير كتاب صنف فى هذا الباب ومصنف ابن حزم وان كان ابسط منه الا انه
مبدد ليس له نظام انتهى قلت وهو متاخر عن ابن حزم ايضا اوله
الحمد لله حمد الشاكرين الخ قال لما وفقنى الله لمطالعة مقالات اهل العلم
من ارباب الديانات اردت ان اجمع ذلك فى مختصر يحتوى جميع ما تدين
به المتدينون وانتحله المنتحلون وترجمه بالتركية نوح افندى بن
مصطفى الرومى المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٧٠ انتهى من عرنجى
زاده وهذه الترجمة طبعت فى مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٦٣

فهرست الجزء الاول من كتاب الملل والنحل

عدد	
٢	المقدمة الاولى في بيان اقسام اهل العالم جملة مرسلة
٣	المقدمة الثانية في تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الاسلامية
٥	المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها
٧	المقدمة الرابعة في بيان اول شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها
١٥	المقدمة الخامسة في السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب
١٩	اذكر اسامي الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب ومن له شبهة كتاب
٢٠	المسلمون
٢١	اهل الاصول المختلفون في التوحيد والوعد والوعيد
٢٢	المعتزلة
٢٤	الواصلية اصحاب ابي حذيفة
٢٦	الهذيلية
٢٧	النظامية
٣٢	الجاحظية
٣٤	البشرية
٣٦	المعمرية
٣٨	[illegible]
٣٩	[illegible] اصحاب ثمامة بن اشرس

الهشامية اصحاب هشام كان لايقول بان الله خلق الكافر
٤٠ الجاحظية اصحاب الجاحظ كان في ايام المعتصم يقول بان
القرآن جسد يقلب تارة رجلا وتارة امراة
٤١ الخياطية

٤٦ العبد فعلا
قوان

٤٧ النجارية
٤٨ الضرارية اصحاب ضرار بن عمرو
٤٩ الصفاتية
٥٠ الاشعرية
٥٨ المشبهة يجعلون لله اعضاء ويقولون انه جسد وله يد وعين
٦١ الكرامية من الصفاتية
٦٥ الخوارج والمرجئة والوعيدية
٦٦ المحكمة هم الخارجون على امير المؤمنين على حين مسئلة الحكمين
٦٨ الازارقة
٦٩ النجدات العاذرية
٧١ البيهسية
٧٢ العجاردة ينكرون كون سورة يوسف من القرآن
السلتية
الميمونية
الحمزية
الخلفية
الاطرافية
٧٤ الشعيبية
الخازمية
الثعالبة
الاخنسية

عدد	
	المعبدية
٧٥	الرشيدية
	الشيبانية
	المكرمية
٧٦	المعلومية والمجهولية
	الاباضية
٧٧٠	الحفصية
	الحارثية
	اليزيدية
	الصفرية
٧٨	رجال الخوارج
	المرجئة
٧٩	اليونسية
	العبيدية
	الغسانية
٨٠	الثوبانية
	التومنية
٨١	الصالحية
	رجال المرجئة
	الشيعة
	الكيسانية
٨٣	المختارية
٨٤	الهاشمية
٨٦	البنانية تناسخية
	الرزامية
٨٧	الزيدية
٨٩	الجارودية
٩٠	السليمانية

عدد	
٩١	الصالحية
٩٤	الامامية
	الباقرية والجعفرية
٩٥	الناوسية
	الافطح
٩٦	الش
	لمر المفضلية
	اسامى الائمة الاثنى عشر
	الاسماعيلية
١٠٠	الغالية
	السبائية
١٠١	الكاملية
	العلبائية
١٠٢	المغيرية
١٠٣	المنصورية
	الخطابية
١٠٤	الكيالية
١٠٧	الهشامية
١٠٨	النعمانية
١٠٩	النصيرية والاسحاقية
١١٠	رجال الشيعة
	الاسماعيلية
١١٢	الباطنية
١١٦	اهل الفرق

عدد	
١٢١	إصحاب الحديث
١٢٢	اصحاب الرأى
	الخارجون عن الملة الاسلامية
١٢٣	اليهود والنصارى
١٢٤	اليهود خاصة
١٢٦	العنانية
١٢٧	العيسوية
	المقاربة واليوذغانية
١٢٩	السامرة
١٣٠	النصارى امة المسيح
١٣١	الملكائية
١٣٢	النسطورية
١٣٤	اليعقوبية
١٣٥	من لد شبهة كتاب المجوس واصحاب الاثنين
١٣٨	المجوس
	الكيومرثية
١٣٩	الزروانية
١٤٠	الزراوشتية
١٤٣	الثنوية
	المانوية
١٤٦٠	المزدكية
١٤٧	الديصانية
١٤٨	المرقونية
١٤٩	الكينوية والصيامية

عدد
١٥٠ اهل الاهواء والنحل
١٥١ الصابئة
١٥٢ اصحاب الروحانيات
١٩٣ مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاوهى من اهم ما فى هذا الكتاب
٢٢١ حكر هرمس
٢٢٣ اصحاب الهياكل والاشخاص
٢٢٩ الفلاسفة
٢٣١ الحكماء السبعة
راى ثالیس
٢٣٣ انكساغورس
٢٣٤ انكسيمانس
٢٣٦ انبذقلس
٢٤٠ فيثاغورس

تنبيه النمرة منطوطة من صحيفة ١٥٢ الى صحيفة ١٩٣ فلا تغفل

تمت فهرست الجزء الاول

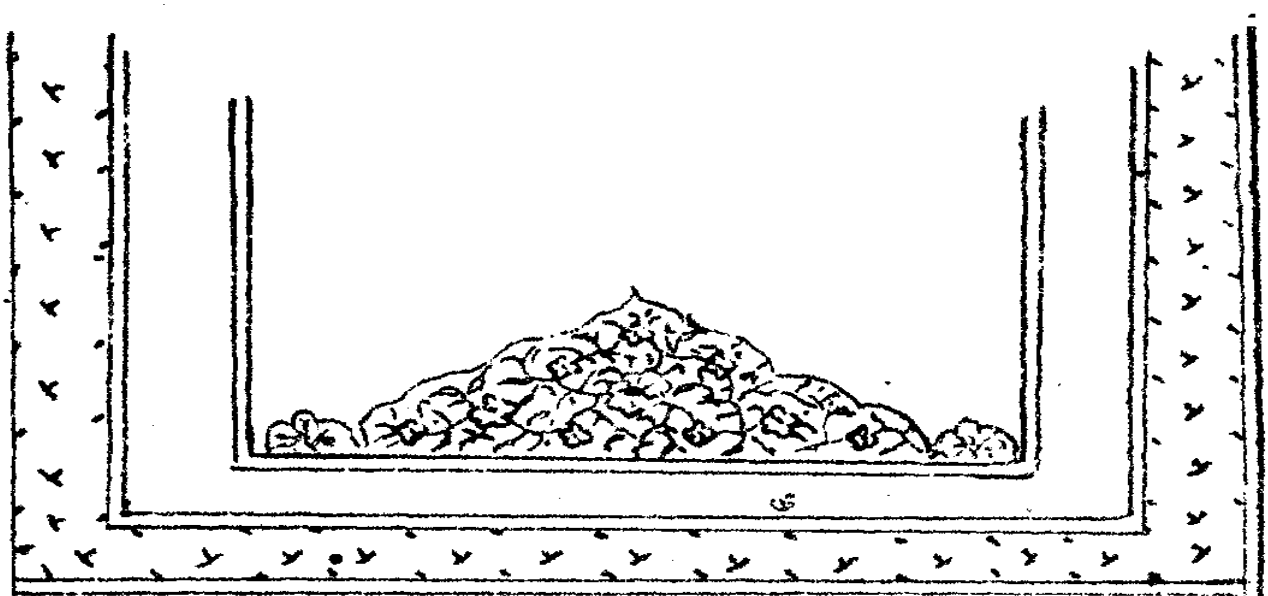

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها حمدا كثيرا طيبا مباركا كما هو اهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمه خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها الى يوم الدين كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انه حميد مجيد لما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات اهل العالم من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص اوابدها وشواردها اردت ان اجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر وقبل الخوض فيما هو الغرض لابد من ان اقدم خمس مقدمات المقدمة الاولى في بيان اقسام اهل العالم جملة مرسلة المقدمة الثانية في تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الاسلامية المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها المقدمة الرابعة في بيان اول شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها المقدمة الخامسة في السبب الذاتي وجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحسنى المقدمة الاولى في بيان تقسيم اهل العالم جملة مرسلة من الناس من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة واعطى اهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التي تدل عليها الالوان والالسن ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع ومنهم من قسمهم بحسب الامم فقال كبار الامم اربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين امة وامة فذكر ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات

والحقائق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية ومنهم من قسمهم بحسب الاراء والمذاهب وذلك غرضنا فى تاليف هذا الكتاب وهم منهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى اهل الديانات والملل واهل الاهواء والنحل فارباب الديانات مطلقا مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين واهل الاهواء والاراء مثل الفلاسفة الدهرية والصابية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقا فاهل الاهواء ليست تنضبط مقالاتهم فى عدد معلوم واهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاثة وسبعين فرقة والناجية ابدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة ولا يجوز ان يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائط التقابل الاوان تقتسمها الصدق والكذب فيكون الحق فى احديهما دون الاخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى اصول المعقولات بانهما محقان صادقان واذا كان الحق فى كل مسئلة عقلية واحدا فالحق فى جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة وانما عرفنا هذا بالسمع وعنه اخبر التنزيل فى قوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون واخبر النبى عليه السلام ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال اهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما انا عليه اليوم واصحابى وقال لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة وقال عليه السلام لا تجتمع امتى على الضلالة المقدمة الثانية فى تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الاسلامية اعلم ان لاصحاب المقالات طرقا فى تعديد الفرق الاسلامية لا على قانون مستند الى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد فى تعديد الفرق ومن المعلوم الذى لا مراء فيه ان ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما فى مسئلة ما عد صاحب مقالة فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ويكون من انفرد بمسئلة فى احكام الجواهر مثلا معدودا فى عداد اصحاب المقالات فلا بد اذا من ضابط فى مسائل هى اصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة وما وجدت لاحد من ارباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط

الا انهم استرسلوا فى ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا قانون مستقر واصل مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها فى اربع قواعد هى الاصول الكبار القاعدة الاولى الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة القاعدة الثانية القدر والعدل وهى تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب فى ارادة الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية والكرامية القاعدة الثالثة الوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهى تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية القاعدة الرابعة السمع والعقل والرسالة والامانة وهى تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعا عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية فاذا وجدنا انفراد واحد من ائمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وان وجدنا واحدا انفرد بمسالة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته وردد نا با فى مقالته الى الفروع التى لا تعد مذهبا مفردا فلا تذهب المقالات الى غير النهاية واذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف تبينت اقسام الفرق واخصرت كبارها فى اربع بعد ان تدخل بعضها فى بعض كبار الفرق الاسلامية اربع القدرية الصفاتية الخوارج الشيعة ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة ولاصحاب كتب المقالات طريقان فى الترتيب احدهما انهم وضعوا المسائل اصولا ثم اوردوا فى كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة والثانى انهم وضعوا الرجال واصحاب المقالات اصولا ثم اوردوا مذاهبهم فى مسئلة مسئلة وترتيب هذا المختصر على الطريقة الاخيرة لانى وجدتها اضبط للاقسام

والمبنى

والليق بابواب الحساب وشرطي على نفسي ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على الافهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل المقدمة الثالثة في بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الاول ومن مظهرها في الآخر اعلم ان اول شبهة وقعت في الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في اذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة في شرح الاناجيل الاربعة انجيل لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه اني سلمت ان الباري تعالى الهي والهكم الخالق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما اراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا انه يتوجه على مساق حكمته اسئلة قالت الملائكة ما هي وكم هي قال لعنه الله سبع الاول منها انه علم قبل خلقي اي شئ يصدر عني ويحصل مني فلم خلقني اولا وما الحكمة في خلقه اياي والثاني ان خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث اذ خلقني وكلفني فالزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة وما الحكمة في ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحا الا قولي لا اسجد الا لك والخامس اذ خلقني وكلفني مطلقا وخصوصا فلم اطع فلعنني وطردني فلم طردتني الى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستي فاكل من الشجرة المنهي عنها واخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا فيها والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طردتني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطتني على اولاده حتى اراهم من حيث

لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم
واستطاعتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم
عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بهم واليق بالحكمة
والسابع سلمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقا ومقيدا واذا لم اطع لعنني
وطردني واذا اردت دخول الجنة منعني وطردني واذا عملت عملي اخرجني ثم
سلطني على بني آدم فلم اذا استمهلته امهلني فقلت انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو
اهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني وما يبقى شر ما في العالم اليس ببقاء
العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال فهذه يجيء على ما ادعيته في
كل مسئلة قال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام
قالوا لم انك في تسليمك الاول انى الهك والهك الخلق غير صادق ولا مخلص
اذ لو صدقت انى الله العالمين ما احتكمت على بليم فانا الله الذي لا اله الا
انا لا اسأل عما افعل والخلق مسئولون هذا الذي ذكرته مذكور في التوراة
ومسطور في الانجيل على الوجه الذي ذكرته وكنت برهة من الزمان اتفكر
واقول ان من المعلوم الذي لا مراء فيه ان كل شبهة وقعت لبني آدم فانما وقعت
من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته واذا كانت الشبهات
محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلالات الى سبع ولا يجوز ان يعد وشبهات
فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق
فانها بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ويرجع جملتها الى انكار الامر
بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص هذا ومن
جادل نوحا وهودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى
ومحمدا صلوات الله عليهم اجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الاول في
اظهار شبهاته وحاصلها يرجع الى دفع التكليف عن نفسهم ومحدا صحاب الشرائع
والتكاليف باسرهم اذ لا فرق بين قولهم أبشر يهدوننا وبين قوله اسجد
لمن خلقت طينا وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الاقتراف ما هو في قوله
تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله
بشرا رسولا فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال في الاول
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه وقال المتاخر من ذريته
كما قال المتقدم انا خير من هذا الذي هو مهين وكذلك لو تتبعنا احوال

المتقدمين

المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال المتاخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاللعين الاول لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق او حكم الخلق فى الخالق والاول غلو والثانى تقصير فثار من الشبهة الاولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا فى حق شخص من الاشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم اعور باى عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق او يوصف الخلق بما يوصف به البارى تعالى عز اسمه فقد اعتزل عن الحق وسنخ القدرية طلب العلة فى كل شئ وذلك من سنخ اللعين الاول اذ طلب العلة فى الخلق اولا والحكمة فى التكليف ثانيا والفائدة فى تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا وعنه نشأ مذهب الخوارج اذ لا فرق بين قولهم لا حكم الا لله ولا يحكم الرجال وبين قوله لا اسجد الا لك اسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة كلا طرفى قصد الامور ذميم فالمعتزلة غلوا فى التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفى الصفات والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غلوا فى النبوة والامامة حتى وصلوا الى الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال وانت ترى ان هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهة اللعين الاول وتلك فى الاول مصدرها وهذه فى الاخر مظهرها واليه اشار التنزيل فى قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبهه النبى صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة وقال المشبهة يهود هذه الامة والروافض نصارى هذه الامة وقال عليه السلام جملة لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه المقدمة الرابعة فى بيان اول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا ان الشبهات التى فى آخر الزمان هى بعينها

تلك الشبهات التي وقعت في اول الزمان كذلك يمكن ان يقرر في زمان كل
نبي ورد وركل صاحب ملة وشريعة ان شبهات امته في اخر زمانه
ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين واكثرها
من المنافقين وان خفي علينا ذلك في الامم السالفة لتمادي الزمان
فلم يخف في هذه الامة ان شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي
زمن النبي عليه السلام اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يامر وينهى وشرعوا فيما
لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسالوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال
عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذي الخويصرة
التميمي اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال عليه السلام ان لم اعدل
فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الامام
الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول الحق اولى ان يصير خارجيا اوليس
ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص
واستكبارا على الامر بقياس العقل حتى قال عليه السلام سيخرج من ضئضئ
هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخبر بتمامه
واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا هل لنا من الامر من
شئ وقولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا وقولهم لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من
المشركين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وقول طائفة انطعم
من لو يشاء الله اطعمه تصريح بالجبر واعتبر حال طائفة اخرى حيث
جادلوا في ذات الله تفكرا في جلاله وتصرفا في افعاله حتى منعهم وخوفهم
بقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون
في الله وهو شديد المحال فهذا ما كان في زمانه عليه السلام وهو على
شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام
ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم في كل وقت بالاعتراض على حركاته
وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع
واما الاختلافات الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضي
الله عنهم فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها اقامة مراسم
الشرع ودامة مناهج الدين فاول تنازع في مرضه عليه السلام فيما رواه

محمد بن اسماعيل البخاري باسناده عن عبد الله بن عباس قال لما اشتد
بالنبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة
وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فقال عمر ان رسول الله قد
غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبي عليه السلام
قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع قال ابن عباس الرزية كل الرزية
ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله الخلاف الثاني في مرضه انه قال جهزوا
جيش اسامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال
امره وابهامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبي عليه
السلام فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر ايش
يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا
ذلك من الخلافات المؤثرة في امر الدين وهو كذلك وان كان الغرض كله
اقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة
عند تقلب الامور الخلاف الثالث في موته عليه السلام قال عمر بن الخطاب
من قال ان محمدا مات قتلته بسيفي هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى
ابن مريم عليه السلام وقال ابو بكر بن قحافة من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله محمد فانه حي لا يموت وقرأ هذه الآية
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم فرجع القوم الى قوله وقال عمر كاني ما سمعت هذه الآية
حتى قرأها ابو بكر الخلاف الرابع في موضع دفنه عليه السلام اراد اهل
مكة من المهاجرين رده الى مكة لانها مسقط راسه ومانس نفسه
وموطن قدمه وموطن اهله وموقع رحله واراد اهل المدينة من
الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته واراد جماعة
نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه الى السماء
ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه السلام الانبياء يدفنون
حيث يموتون الخلاف الخامس في الامامة واعظم خلاف بين الامة خلاف
الامامة اذا ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة
في كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الاول فاختلف المهاجرون
والانصار فيها وقالت الانصار منا امير ومنكم امير وانفقوا على رئيسهم سعد
ابن عبادة الانصاري فاستدركه ابو بكر وعمر في الحال بان حضرا سقيفة

بنى ساعدة وقال عمر كنت ازور فى نفسى كلاما فى الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت ان اتكلم فقال ابوبكر مه يا عمر فحمد الله واثنى عليه وذكر ماكنت اقدره فى نفسى كانه يخبر عن غيب فقبل ان يشتغل الانصار بالكلام مددت يدى اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت المنازعة الا ان بيعة ابى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانهما تغرة ان يقتلا وانما سكنت الانصار عن دعواهم لرواية ابى بكر عن النبى عليه السلام الائمة من قريش وهذه البيعة هى التى جرت فى السقيفة ثم لما عاد الى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه عن رغبة سوى جماعة من بنى هاشم وابى سفيان من بنى امية وامير المؤمنين على كرم الله وجهه كان مشغولا بما امره النبى صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة

الخلافة السادس فى امر فدك والتوارث عن النبى عليه السلام ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكا اخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبى عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة

الخلافة السابع فى قتال مانعى الزكاة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال ابوبكر لو منعونى عقالا مما اعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه الى قتالهم ووافقه الصحابة باسرهم وقد ادى اجتهاد عمر فى ايام خلافته الى رد السبايا والاموال اليهم واطلاق المحبوسين منهم

الخلافة الثامن فى تنصيص ابى بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظا غليظا وارتفع الخلاف بقول ابى بكر لو سالنى ربى يوم القيامة فقلت وليت عليهم خير اهلهم وقد وقع فى زمانهم اختلافات كثيرة فى مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفى عقل الاصابع ودیات الاسنان وحدود بعض الجرائم التى لم يرد فيها نص وانما اهم امورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن راى عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم

الخلافة التاسع فى امر الشورى واختلاف الآراء فيها حتى اتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه وانتظم الملك واستقرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق على احسن خلق وعاملهم بابسط يد غير ان اقاربه

النها
المها

من بني امية قد ركبوا نهايز فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات
كثيرة واخذوا عليه احداثا كلها محالة على بني امية منها رده الحكم بن امية
الى المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلام وكان يسمى طريد رسول الله
وبعد ان تشفع الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ايام خلافتهما فما اجابا الى ذلك
ونفاه عمر من مقامه باليمن اربعين فرسخا ومنها نفيه اباذر الى الربذة وتزويج
مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم افريقية له وقد بلغت مائتي الف
دينار ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد ان اهدر النبي عليه
السلام دمه وتوليته اياه مصر باعمالها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة
حتى احدث فيها ما احدث الى غير ذلك مما فقموا عليه وكان امراء جنوده معاوية
ابن ابي سفيان عامل الشام وسعد بن ابي وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد
ابن عقبة وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح
عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى اتى قدره عليه وقتل مظلوما
في داره وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تتمكن بعد الخلاف
العاشر في زمان امير المؤمنين علي كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه وعقد
البيعة له فاول خروج طلحة والزبير الى مكة ثم حمل عائشة الى البصرة ثم
نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرهما
امر فتذكرا فاما الزبير فقتله ابن جرموز وقت الانصراف وهو في النار
لقول النبي صلى الله عليه وسلم بشر قاتل ابن صفية بالنار واما طلحة فرماه
مروان بن الحكم بسهم وقت الاعراض فخر ميتا واما عائشة وكانت محمولة
على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت والخلاف بينه وبين معاوية
وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص
ابا موسى الاشعري وبقاء الخلافة الى وقت الوفاة مشهور كذلك الخلاف
بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتال معه
فعلا ظاهر معروف وبالجملة كان على مع الحق والحق معه وظهر في زمانه
الخوارج عليه مثل الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن
حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن
سبا وجماعة معه ومن الفريقين ابتدعت البدعة والضلالة وصدق فيه
قول النبي صلى الله عليه وسلم يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال
وانقسمت الاختلافات بعده الى قسمين احدهما الاختلاف في الامامة

والثانى الاختلاف فى الاصول والاختلاف فى الامامة على وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثانى القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين فمن قال ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من اتفقت عليه الامة او جماعة معتبرة من الامة اما مطلقا واما بشرط ان يكون قرشيا على مذهب قوم وبشرط ان يكون هاشميا على مذهب قوم الى شرائط اخر كما سياتى ومن قال بالاول فقال بامامة معاوية واولاده وبعدهم بخلافة مروان واولاده والخوارج اجتمعوا فى كل زمان على واحد منهم بشرط ان يبقى على مقتضى اعتقادهم ويجرى على سنن العدل فى معاملاتهم والا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه ومن قال ان الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد على عليه السلام فمنهم من قال انما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلا ومنهم من قال انه مات وانتقلت الامامة بعده الى ابنه ابى هاشم وافترقت هؤلاء فمنهم من قال الامامة بقيت فى عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت الى غيره واختلفوا فى ذلك الغير فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النهدى ومنهم من قال هو على بن عبد الله بن عباس ومنهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندى ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابى طالب وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتاولون احكام الشرع كلها على شخص معين كما سياتى مذاهبهم واما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية قال بالنص على الحسن والحسين وقال لا امامة فى الاخوين لا الحسن والحسين ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اجرى الامامة فى اولاد الحسن فقال بعده بامامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم اخيه ابراهيم الامامين وقد خرجا من ايام المنصور فقتلا فى ايامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من اجرى الوصية فى اولاد الحسين وقال بعده بامامه ابنه على زين العابدين نصا عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد ومذهبهم ان كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخى كان اماما واجب الاتباع وجوزوا رجوع الامامة الى اولاد الحسن ومنهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بامامة كل من هذا حاله فى كل زمان وسياتى تفصيل مذاهبهم واما الاماعية

فقالوا بامامة محمد بن علي الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية اليه
ثم اختلفوا بعده في اولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد واسمعيل
وعبد الله وموسى وعلي فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم
من قال بامامة اسمعيل وانكر موته في حياة ابيه وهم المباركية ومن هؤلاء
من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الامامة في اولاده نصا
بعد نص الى يومنا هذا وهم الاسمعيلية ومنهم من قال بامامة عبد الله
الافطح وقال برجعته بعد موته لانه مات ولم يعقب ومنهم من قال بامامة
موسى نصا عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التورية
ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته اذ قال لم يمت هو
ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق
الامامة الى ابنه علي بن موسى الرضى وهم القطعية ثم هؤلاء اختلفوا
في كل ولد بعده فالاثنى عشرية ساقوا الامامة من علي الرضا الى ابنه
محمد ثم الى ابنه علي ثم الى ابنه الحسن ثم الى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني
عشر وقال هو حي لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وغيرهم
ساقوا الامامة الى الحسن العسكري ثم قالوا بامامة اخيه جعفر وقالوا
بالتوقف عليه او قالوا بالشك في حال محمد ولهم خبط طويل في سوق
الامامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم بالرجعة
بعد الغيبة فهذه جملة اختلافات في الامامة وسياتي تفصيل ذلك عند ذكر
المذاهب واما الاختلافات في الاصول فحدثت في آخر ايام الصحابة بدعة
معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري في القول بالقدر وانكار
اضافة الخير والشر الى القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال
وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل
القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص ايام بني امية ثم والى المنصور
وقال بامامته ومدحه المنصور يوما فقال نثرت الحب للناس فلقطوا
غير عمرو والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت
بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة
بين المنزلتين وسمي هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن علي واخذ
الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن علي
لانه خالف مذهب آبائه في الاصول وفي التبري والتولي وهم من اهل الكوفة

وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب
الفلاسفة حين فسرت ايام المامون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها
فنا من فنون العلم وسميتها باسم الكلام اما الان اظهر مسئلة تكلموا فيها
وتقاتلوا عليها هي مسئلة الكلام فسمي النوع باسمها واما مقابلتهم الفلاسفة
في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادف فان فكان
ابو الهذيل العلاف شيخهم الاكبر وافق الفلاسفة في ان الباري تعالى
عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرة وقدرته ذاته وابدع بدعا في
الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والارزاق كما
سياتي في حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات في احكام
التشبيه وابو يعقوب الشحام والادمي صاحبا ابي الهذيل وافقاه
في ذلك كله ثم ابراهيم بن سيار النظام في ايام المعتصم كان اعلى في تقرير
مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في الرفض والقدر وعن
اصحابه بمسائل نذكرها ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن
عمران والفضل الحدثي واحمد بن حايط ووافقه الاسواري في جميع ماذهب
اليه من البدع وكذلك الاسكافية اصحاب ابي جعفر الاسكافي والجعفرية
اصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ثم ظهرت بدع بشر
ابن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل الى الطبيعيين
من الفلاسفة والقول بان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل واذا فعل
ذلك فهو ظالم الى غير ذلك مما تفرد به عن اصحابه وتلمذ له ابو موسى المزدار
راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة
وفي ايامه جرت اكثر التشديدات على السلف لقولهم بقدم القرآن وتلمذ له
الجعفران ابو زفر ومحمد بن سويد صاحب المزدار وابو جعفر الاسكافي
وعيسى بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ في القول
بالقدر هشام بن عمرو الفوطي والاصم من اصحابه وقدحا في امامة
علي بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم والفوطي
والاصم اتفقا على ان الله تعالى يستحيل ان يكون عالما بالاشياء قبل
كونها ومنع كون المعدوم شيئا وابو الحسن الخياط واحمد بن علي الشطوي
صحبا عيسى السوفي ثم لزما ابا مخالد وتلمذ الكعبي لابي الحسن الخياط
ومذهبه بعينه مذهبه واما معمر بن عباد السلمي وثمامة بن اشرس

النميرى وعمرو بن بحر الجاحظ كانوا فى زمان واحد متقاربين فى الراى والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل نذكرها والمتاخرون منهم ابو على الجبائى وابنه ابو هشام والقاضى عبد الجبار وابو الحسين البصرى قد لخصوا طرق اصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل كما سياتى ورولق علم الكلام ابتداؤه فمن الخلفاء العباسية هارون والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه فمن الصاحب بن عباد وجماعة من الديالمة وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ فى مسائل ونبغ جهم بن صفوان فى ايام نصر بن سيار واظهر بدعته فى الجبر بترمذ وقتله سالم بن احوز المازنى فى آخر ملك بنى امية بمرو وكان بين المعتزلة وبين السلف فى كل زمان اختلافات فى الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامى بل على قول اقناعى ويسمون الصفاتية فمن مثبت صفات البارى تعالى معانى قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة ويناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابى وابو العباس القلانسى والحارث المحاسبى اشبههم اتقانا وامتنهم كلاما وجرت مناظرة بين ابى الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وبين استاذه ابى على الجبائى فى بعض مسائل والزمه امورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه والخاز الى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا منفردا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضى ابى بكر الباقلانى والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى والاستاذ ابى بكر بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله ابن الكرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغثا واثبته فى كتابه وروجه على اغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلا على اصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو اقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاشا غير محمد بن الهيصم فانه مقارب المقدمة الخامسة فى السبب الذى اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب وفيها اشارة الى مناهج الحساب لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضى من تاليف هذا

الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا
وقدرت اغراضي محلى مناهجه تقسيما وتبويبا واردت ان ابين كيفية طرق
هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي اني من حيث انا فقيه ومتكلم اجنبي
النظر في مسالكه ومراسمه اعجمي العلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طريق
الحسنا احكمها واحسنها واقمت عليه من حجج البرهان اوضحها وامتنها وقدرتها
على علم العدد وكان الواضع الاول منه استمداد المدد فاقول مراتب الحساب
تبتدي من واحد وتنتهي الى سبع ولا تجاوزها البتة المرتبة الاولى
صدر الحساب وهو الموضوع الاول الذي يرد عليه التقسيم الاول وهو
فرد لا زوج له باعتبار وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار فمن
حيث انه فرد فهو لا يستدعي اختا تساويه في الصورة والمدة من حيث
هو جملة فهو قابل لتفصيل حتى ينقسم الى قسمين وصورة المدة يجب
ان يكون من الطرف الى الطرف ويكتب تحتها حشوا مجملات التفاصيل
ومرسلات التقدير والتقرير والنقل والتحويل وكليات وجوه الجموع
وحكايات الالحاق والموضوع بارزا من الطرف الايسر كميات مبالغ الجموع
والمرتبة الثانية منها الاصل وشكلها محقق وهو التقسيم الاول الذي
ورد على المجموع الاول وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين
لا يعدوان الى ثالث وصورة المدة يجب ان يكون اقصر من الصدر بقليل
اذ الجزء اقل من الكل ويكتب تحتها حشوا ما يخصها من التوجيه والتنويع
والتفصيل ولها اخت تساويها في المدة وان لم يجب ان تساويها في المقدار
المرتبة الثالثة من ذلك الاصل وشكله ايضا محقق وهو التقسيم الثاني
الذي ورد على الموضوع الاول والثاني وذلك لا يجوز ان ينقص من
قسمين ولا يجوز ان يزيد على اربعة اقسام ومن جاوز من اهل الصنعة
فقد اخطأ وما علم وضع الحساب وسنذكر السبب فيه وصورة مدته اقصر
من مدة منها الاصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشوا وبارزا
المرتبة الرابعة منها المطموس وشكلها هكذا ما وذلك يجوز ان يجاوز الاربعة
واحسن الطرق ان يقتصر على الاقل ومدتها اقصر مما مضى المرتبة الخامسة
من ذلك الصغير وشكله هكذا سلد وذلك يجوز الى حيث ينتهي التقسيم
والتبويب والمدة اقصر مما مضى المرتبة السادسة منها المعوج وشكله
هكذا ﻫ وذلك ايضا يجوز الى حيث ينتهي التفصيل المرتبة السابعة

من ذلك المعقد وشكله هكذا سلك ولكن يمد من الطرفين الى الطرف
لا على انه اخت صدر الحساب بل من حيث انه النهاية التي تشاكل البداية
فهذه كيفية صورة الحساب نقشا وكمية ابوابها جملة ولكل قسم من
الابواب اخت تقابله وزوج يساويه في المدة لا يجوز اغفال ذلك
بحال والحساب تاريخ وتوجيه والآن نذكر كمية هذه الصورة وانحصار
الاقسام في سبع ولم صار الصدر الاول فردا لا زوج له في الصورة ولم
انحصرت منها الاصل في قسمين لا يعدوان الى ثالث ولم انحصرت من
ذلك الاصل في اربعة ولم خرجت الاقسام الاخر عن الحصر فاقول
ان العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب اختلفوا في الواحد
اهو من العدد ام هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد وهذا الاختلاف
انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه
العدد فان الاثنين لا معنى له الا واحد مكرر اول نكر
والاربعة ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد اى هو
في العدد اى لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد
لا على ان العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه او نوعه او
شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان
الثلاثة في انها ثلاثة واحدة فالواحدة بالمعنى الاول داخلة في العدد
وبالمعنى الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد وليس
من الاقسام الثلاثة قسم يطلق عن الباري تعالى معناه فهو واحد
لا كالآحاد اى هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه
الانقسام بوجه من وجوه القسمة واكثر اصحاب العدد على ان الواحد
لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الى زوج
وفرد فالفرد الاول ثلاثة والزوج الاول اربعة وما وراء الاربعة
فهو مكرر كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد ويسمى العدد الدائر
والستة مركبة من فردين ويسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد
وزوج ويسمى العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية
اخرى وليس ذلك من غرضنا فصدر الحساب في مقابلة الواحد
الذي هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له ولما
كان العدد مصدره من اثنين صار منهما المحقق محصورا في قسمين

ولما كان العدد منقسما الى فرد وزوج صار من ذلك الاصل محصورا في
اربعة فان الفرد الاول ثلاثة والزوج الاول اربعة وهي النهاية وما
عداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنان
وثلاثة واربعة وهي الكمال وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها
فلذلك لا تنحصر الابواب الاخر في عدد معلوم بل تتناهى بما يتناهى
به الحساب ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن
علم آخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة فاذا
نجزت المقدمات على او في تقرير واحسن تحرير شرعنا في ذكر مقالات
اهل العالم من لدن آدم عليه السلام الى يومنا هذا لعلة لا يشذ عن
اقسامها مذهب ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا حتى يعرف
لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم
اصنافها مذهبا واعتقادا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن اصحابه
ونستوفي اقسام الفرق الاسلامية ثلاثا وسبعين فرقة ونقتصر في اقسام
الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو اشهر واعرف اصلا وقاعدة
فنقدم ما هو اولى بالتقديم ونؤخر ما هو اجدر بالتاخير وشرط الصناعة
الحسابية ان يكتب بازاء المعدود من الخطوط ما يكتب حشوا وشرط الصناعة
الكتابية ان يترك الحواشي على الرسم المعهود عفوا فراعيت شرط الصناعتين
ومددت الابواب على شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتاب
وبالله استعين وعليه اتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل **مذاهب**
اهل العالم من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من الفرق
الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى
وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن له حدود واحكام
دون كتاب مثل الصابية الاولى وممن ليس له كتاب ولا حدود واحكام
شرعية مثل الفلاسفة الاولى والدهرية وعبدة الكواكب والاوثان
والبراهمة نذكر اربابها واصحابها ونقل ما خذها ومصادرها عن كتب طائفة
طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها والفحص الشديد
عن مباديها وعواقبها ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفي والاثبات
هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات
والى اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد عقدا او قال قولا فاما ان

يكون فيه مستفيدا من غيره او مستبدا برايه فالمستفيد من غيره مسلم
مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين والمستبد برايه
محدث مبتدع وفي الخبر عن النبي عليه السلام ما شقي امرء عن مشورة
ولا سعد باستبداد برای وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد
وجد مذهبا اتفاقيا بان كان ابواه او معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده
منه دون ان يتفكر في حقه وباطله وصواب القول فيه وخطئه فحينئذ
لا يكون مستفيدا لانه ما حصل على فائدة وعلم ولا اتبع الاستاذ على بصيرة
ويقين الا من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبر وربما يكون المستبد
برايه مستنبطا مما استفاده على شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته
فحينئذ لا يكون مستبدا حقيقة لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة
لعلمة الذين يستنبطونه منهم ركن عظيم فلا تغفل فالمستبدون بالراى
مطلقا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابية والبراهمة
وهم لا يقولون بشرائع واحكام امرية بل يضعون حدودا عقلية حتى
يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ومن قال
بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس ارباب
الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب
نتكلم هاهنا في معنى الدين والملة والشرعة والمنهاج والاسلام
والحنيفية والسنة والجماعة فانها عبارات وردت في التنزيل ولكل
واحدة منها معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة واصطلاحا وقد بينا
معنى الدين انه الطاعة والانقياد وقد قال تعالى ان الدين عند الله
الاسلام وقد يرد بمعنى الجزاء يقال كما تدين تدان وقد يرد بمعنى الحساب
يوم المعاد والتناد قال تعالى ذلك الدين القيم فالمتدين هو المسلم
المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال الله تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا ولما كان نوع الانسان محتاجا الى اجتماع مع آخر من بني
جنسه في اقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك الاجتماع يجب
ان يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو
له ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة
هي الملة والطريق الخاص الذي يوصل الى هذه الهيئة هو المنهاج
والشرعة والسنة والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة قال الله تعالى

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة
الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بايات تدل على صدقه
وربما تكون الآية مضمنة فى نفس الدعوى وربما تكون ملازمة وربما
تكون متاخرة ثم اعلم ان الملة الكبرى هى ملة ابراهيم عليه السلام وهى
الحنيفية التى تقابل الصبوة تقابل التضاد وسنذكر كيفية ذلك ان شاء
الله تعالى قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم والشريعة ابتدات من نوح عليه
السلام قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والحدود والاحكام
ابتدات من آدم وشيث وادريس عليهم السلام وختمت الشرائع والملل
والمناهج والسنن باكملها واتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه السلام قال الله
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا وقد قيل خص آدم بالاسماء وخص نوح بمعانى تلك الاسماء وخص
ابراهيم بالجمع بينهما ثم خص موسى بالتنزيل وخص عيسى بالتاويل وخص
المصطفى بالجمع بينهما على ملة ابيكم ابراهيم ثم كيفية التقرير الاول
والتكميل بالتقرير الثانى بحيث يكون مصدقا لكل واحد مما بين يديه من
الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامر على الخلق وتوفيقا للدين
على الفطرة فمن خاصية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل ان الله
عز وجل اسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على
وحدانيته المسلمون قد ذكرنا معنى الاسلام ونفرق هاهنا بينه وبين
الايمان والاحسان وبين ما البدأ وما الوسط وما الكمال والخبر المعروف
فى دعوة جبريل عليه السلام حيث جاء على صورة اعرابى وجلس حتى الصق
ركبتيه بركبتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما الاسلام فقال
ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة
وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
ثم قال ما الايمان قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال ما الاحسان
قال عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال
صدقت ثم قال متى الساعة قال عليه السلام ما المسئول عنها باعلم من
السائل ثم قام وخرج فقال النبى عليه السلام هذا جبريل جاءكم يعلمكم
دينكم فغرق فى التفسير بين الاسلام والايمان اذ الاسلام قد يرد

بمعنى

بمعنى الاستسلام ظاهرا ويشترك فيه المؤمن والمنافق قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ففرق التنزيل بينهما فكان الاسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ ثم اذا كان الاخلاص معه بان يصدق الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويقر عقدا بان القدر خيره وشره من الله تعالى بمعنى ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه كان مؤمنا حقا ثم اذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه شهادة فهو الكمال فكان الاسلام مبدأ والايمان وسطا والاحسان كمالا وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك وقد يرد الاسلام قرينة الاحسان قال الله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن وعليه يحمل قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين عند الله الاسلام وقوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وعلى هذا خص الاسلام بالفرقة الناجية اهل الاصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل نتكلم ها هنا في معنى الاصول والفروع وسائر الكلمات قال بعض المتكلمين الاصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل باياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الاصول ومن المعلوم ان الدين اذا كان منقسما الى معرفة وطاعة والمعرفة اصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان اصوليا ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا والاصول هو موضوع علم الكلام والفروع هو موضوع علم الفقه وقال بعض العقلاء كل ما هو معقول ويتوصل اليه بالنظر والاستدلال فهو من الاصول وكل ما هو مظنون ويتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع واما التوحيد فقد قال اهل السنة وجميع الصفاتية ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الازلية لا نظير له وواحد في افعاله لا شريك له وقال اهل العدل ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسيمة ولا صفة له وواحد في افعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في افعاله ومحال وجود قديمين ومقدورين بين قادرين وذلك هو التوحيد والعدل وعلى مذهب اهل السنة ان الله

تعالى عدل فى افعاله بمعنى انه متصرف فى ملكه وملكه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فالعدل وضع الشئ موضعه وهو التصرف فى الملك
على مقتضى المشيئة والعلم والظلم بضده فلا يتصور منه جور فى الحكم
[illegible] التصرف وعلى مذهب اهل الاعتزال العدل ما يقتضيه العقل
[illegible] اب والمصلحة واما الوعد
[illegible] ه الازلى وعد على ما
[illegible] اب فبوعده وكل من هلك
واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب [illegible] شئ من قضية العقل
وقال اهل العدل لا كلام فى الازل وانما امر ونهى ووعد واوعد بكلام
محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب
والعقل من حيث الحكمة يقتضى ذلك واما السمع والعقل فقال اهل
السنة الواجبات كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل فالعقل لا يحسن
ولا يقبح ولا يقتضى ولا يوجب والسمع لا يعرف اى لا يوجد المعرفة
بل يوجب وقال اهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة
بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع والحسن والقبح صفتان
ذاتيتان للحسن والقبيح فهذه القواعد هى المسائل التى تكلم فيها اهل
الاصول وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلا ان شاء الله تعالى ولكل
علم موضوع ومسائل قد ذكرناها باقصى الامكان المعتزلة وغيرهم
من الجبرية والصفاتية والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية
متقابلتان تقابل التضاد وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية
والشيعة والخوارج وهذا التضاد بين كل فريق وفريق كان حاصلا
فى كل زمان ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها ودولة عاونتهم
وصولة طاوعتهم المعتزلة ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون
بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية
يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا عن
وصمة اللقب اذا كان الذم به متفقا عليه لقول النبى عليه السلام
القدرية مجوس هذه الامة وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق
على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ
الضد على الضد وقد قال النبى عليه السلام القدرية خصماء الله

في القدر والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل
العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل واحالة الاحوال
كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم فالذي يعم طائفة المعتزلة من
الاعتقاد القول بان الله تعالى قديم والقدم اخص وصف ذاته ونفوا
الصفات القديمة اصلا فقالوا هو عالم لذاته قادر لذاته حي لذاته
لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعاني قائمة به لانه لو شاركته
الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لشاركته في الالهية واتفقوا
على ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب ممثلة في المصاحف
حكايات عنه فانما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال واتفقوا على ان
الارادة والسمع والبصر ليست معان قائمة بذات
وجودها ومحامل معانيها كما سياتي واتفقوا على نفي
بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل
وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتاثرا واوجبوا تاويل
الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا واتفقوا على ان العبد
قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا
في الدار الآخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو
كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا
واتفقوا على ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث
الحكمة رعاية مصالح العباد واما الاصلح واللطف ففي وجوبه خلاف
عندهم وسموا هذا النمط عدلا واتفقوا على ان المؤمن اذا خرج من
الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء
الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار
لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا
واتفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع
والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح
واجب كذلك وورود التكاليف الطاف للبارئ تعالى ارسلها الى العباد
بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحانا واختبارا ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة واختلفوا في الامامة والقول فيها نصا
واختيارا كما سياتي عند مقالة كل طائفة والان نذكر ما يختص

بطائفة طائفة من المقالة التى تميزت بها عن اصحابها الواصلية
اصحاب ابى حذيفة واصل بن عطاء الغزال كان تلميذ الحسن البصرى
يقرأ عليه العلوم والاخبار وكان فى ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك
وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلاد ادريس بن عبد الله الحسنى الذى
خرج بالمغرب فى ايام ابى جعفر المنصور ويقال لهم الواصلية واعتزالهم يدور
على اربع قواعد القاعدة الاولى القول بنفى صفات البارى تعالى من
العلم والقدرة والارادة والحياة وكانت هذه المقالة فى بدوها غير
نضيجة وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق
على استحالة وجود الهين قديمين ازليين قال من اثبت معنى وصفة
قديمة فقد اثبت الهين وانما شرعت اصحابه فيها بعد مطالعة كتب
الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها الى رد جميع الصفات الى كونه عالما
قادرا ثم الحكم بانهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما
قاله الجبائى او حالتان كما قاله ابو هاشم وميل ابو الحسين البصرى الى
ردهما الى صفة واحدة وذلك عين مذهب الفلاسفة وسيذكر
تفصيل ذلك وكانت السلف تخالفهم فى ذلك اذا وجدوا الصفات مذكورة
فى الكتاب والسنة القاعدة الثانية القول بالقدر وانما سلك فى ذلك
مسلك معبد الجهنى وغيلان الدمشقى وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة
اكثر ما كان يقرر قاعدة الصفات فقال ان البارى تعالى حكيم عادل لا يجوز
ان يضاف اليه شر وظلم ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف ما يامر ويحكم
عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان
والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله والرب تعالى اقدره
على ذلك كله وافعال العباد محصورة فى الحركات والسكنات والاعتمادات
والنظر والعلم قال يستحيل ان يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه ان يفعل
وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن انكره فقد انكر الضرورة
واستدل بايات على هذه الكلمات ورايت رسالة نسبت الى الحسن البصرى
كتبها الى عبد الملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر فاجابه
بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بايات من الكتاب ودلائل
من العقل ولعلها لواصل بن عطاء فاكان الحسن ممن يخالف السلف
فى ان القدر خيره وشره من الله تعالى فان هذه الكلمة كالمجمع عليها

عندهم

عندهم والعجب انه حمل هذا اللفظ الوارد فى الخبر على البلاء والعقبا
والشدة والراحة والمرض والشفاء والموت والحياة الى غير
ذلك من افعال الله تعالى دون الخير والشر والحسن والقبيح
الصادرين من اكساب العباد وكذلك اورده جماعة المعتزلة
فى المقالات من اصحابهم القاعدة الثالثة القول بالمنزلة بين
المنزلتين والسبب فيه انه دخل واحد على الحسن البصرى فقال
يا امام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر
والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة
يرجون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل
على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا
ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الامة فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا
فتفكر الحسن فى ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء انا لا اقول
ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو فى منزلة بين
المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة من
اسطوانات المسجد يقرر ما اجاب به على جماعة من اصحاب الحسن
فقال الحسن اعتزل منا واصل فسمى هو واصحابه معتزلة ووجه
تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمى
المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا
استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس بهو بكافر مطلق ايضا
لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها لكنه
اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالدا
فيها ان ليس فى الآخرة الا الفريقان فريق فى الجنة وفريق فى السعير
لكنه يخفف عنه العذاب ويكون دركته فوق دركة الكفار وتابعه
على ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقا له فى القدر وانكار
الصفات القاعدة الرابعة قوله فى الفريقين من اصحاب الجمل
واصحاب صفين ان احدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله فى عثمان
وقاتليه وخاذليه قال احد الفريقين فاسق لا محالة كما ان احد
المتلاعنين فاسق لا بعينه وقد مر فى قوله فى الفاسق واقل
درجات الفريقين انه لا يقبل شهادتهما كما لا يقبل شهادة المتلاعنين

فلم يجوز قبول شهادة علي وطلحة والزبير على باقة بقل وجوز ان
يكون عثمان وعلي على الخطا هذا قول رئيس المعتزلة ومبدأ
الطريقة في اعلام الصحابة وائمة العترة وواغفه عمرو بن عبيد على مذهبه
وزاد عليه في تفسيق احد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان
من احد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره او طلحة والزبير لم يقبل شهادتهما
وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من اهل النار وكان عمرو من رواة الحديث
معروفا بالزهد وواصل مشهورا بالفضل والادب عندهم الهذيلية
اصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدم
الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد
الطويل عن واصل بن عطاء ويقال اخذ واصل عن ابي هاشم عبد الله
ابن محمد بن الحنفية ويقال اخذه عن الحسن بن ابي الحسن البصري وانما
انفرد عن اصحابه بعشر قواعد الاولى ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه
ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحيوة وحيوته ذاته وانما اقتبس هذا
من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما
الصفات ليست وراء الذات معان قائمة بذاته بل هي ذاته وترجع الى
السلوب او اللوازم كما سياتي والفرق بين قول القائل عالم لذاته لا بعلم
وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الاول نفي الصفة والثاني اثبات
ذات هو بعينه صفة او اثبات صفة هي بعينها ذات وان اثبت ابو الهذيل
هذه الصفات وجودها للذات فهي بعينها اقانيم النصارى واحوال
ابي هاشم الثانية اذ اثبت ارادات لا محل لها يكون الباري تعالى مريدا
بها وهو اول من احدث هذه المقالة وتابعه عليها المتاخرون الثالثة
قال في كلام الباري تعالى ان بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه
في محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار وكان امر التكوين عنده غير
وامر التكليف غير الرابعة قوله في القدر مثل ما قاله اصحابه الا انه قدري
الاولى جبري الاخرة فان مذهبه في حركات اهل الخلد ين ان الاخرة انها
كلها اضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للباري تعالى اذ لو كانت
مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها الخامسة قوله ان حركات اهل الخلدين
تنقطع وانهم يصيرون الى سكون دائم جمود او يجتمع اللذات في ذلك
السكون لاهل الجنة ويجتمع الالام في ذلك السكون لاهل النار وهذا

قريب من مذهب جهم اذ حكم بفناء الجنة والنار وانما التزم ابو الهذيل
هذا المذهب لانه لما التزم فى مسئلة حدوث العالم ان الحوادث التى
لا اول لها كالحوادث التى لا آخر لها اذ كل واحدة لا تتناهى قال انى
لا اقول بحركات لا تتناهى آخرا كما لا اقول بحركات لا تتناهى اولا بل
يصيرون الى سكون دائم وكان ظن ان ما التزم فى الحركة لا يلزمه فى السكون
السادسة قوله فى الاستطاعة انها عرض من الاعراض غير السلامة
والصحة وفرق بين افعال القلوب وافعال الجوارح فقال لا يصح
وجود افعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها فى
حال الفعل وجوز ذلك فى افعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها
فى الحال الاولى وان لم يوجد الفعل الا فى الحالة الثانية قال فحال
يفعل غير حال فعل ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون
والطعم والرائحة وكل ما لا يعرف كيفيته وقال فى الادراك والعلم
الحادثين فى غيره عند اسماعه وتعليمه ان الله تعالى يبدعهما فيه
وليسا من افعال العباد السابعة قوله فى الفكر قبل ورود السمع
انه يجب عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر
فى المعرفة استوجب العقوبة ابدا ويعلم ايضا حسن الحسن وقبح
القبيح فيجب عليه الاقدام على الحسن كالصدق والعدل والاعراض
عن القبيح كالكذب والجور وقال ايضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى
ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد الى النظر الاول والنظر الاول
فانه لم يعرف الله تعالى بعد والفعل عبادة وقال فى المكره اذا لم
يعرف التعريض والتورية فيما اكره عليه فله ان يكذب ويكون
وزره موضوعا عنه الثامنة قوله فى الآجال والارزاق ان الرجل
ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يجوز ان يزاد فى العمر او ينقص
والارزاق على وجهين احدهما ما خلق الله تعالى من الامور المنتفع
بها يجوز ان يقال خلقها رزقا للعباد فعلى هذا من قال ان احدا
اكل او انتفع بما لم يخلقه الله رزقا فقد اخطأ لما فيه ان فى الاجسام
ما لم يخلقه الله والثانى ما حكم الله به من هذه الارزاق للعباد
فما احل منها فهو رزقه وما حرم فليس رزقا اى ليس مامورا
بتناوله والتاسعة حكى الكعبى عنه انه قال ارادة الله غير المراد

فارادته لما خلق هي خلقه له وخلقه للشئ عنده غير الشئ بل الخلق
عنده قول لا في محل وقال انه تعالى لم يزل سميعا بصيرا بمعنى سيسمع
وسيبصر وكذلك لم يزل غفورا رحيما محسنا خالقا رازقا مثيبا
معاقبا موالیا معاديا آمرا ناهيا بمعنى ان ذلك سيكون العاشرة
حكى عنه جماعة انه قال الحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين فيهم
واحد من اهل الجنة او اكثر ولا يخلوا الارض عن جماعة هم اولياء الله
معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فيهم الحجة لا التواتر اذ يجوز
ان يكذب جماعة ممن لا يحصون عددا اذا لم يكونوا اولياء الله ولم يكن
فيهم واحد معصوم وصحب ابو الهذيل ابو يعقوب الشحام والادمي
وهما على مقالته وكان سنه مائة سنة توفي في اول خلافة المتوكل
سنة خمس وثلاثين ومايتين النظامية اصحاب ابراهيم بن سيار
النظام وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام
المعتزلة وانفرد عن اصحابه بمسائل الاولى منها انه زاد على
القول بالقدر خيره وشره منا قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة
على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافا
لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها لانها قبيحة
ومذهب النظام ان القبح اذا كانت صفة ذاتية للقبيح وهو المانع
من الاضافة اليه فعلا ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح ايضا
فيجب ان يكون مانعا فضاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم
وزاد ايضا على هذا الاختيار وقال انما يقدر على فعل ما يعلم ان فيه
صلاحا للعباد ولا يقدر على ان يفعل لعباده في الدنيا ما ليس فيه
صلاحهم هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بامور الدنيا واما امور
الآخرة فقال لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على ان يزيد في عذاب
اهل النار شيئا ولا على ان ينقص منه شيئا وكذلك لا ينقص من
نعيم اهل الجنة ولا ان يخرج احدا من اهل الجنة وليس ذلك
مقدورا له وقد الزم عليه ان يكون الباري تعالى مطبوعا مجبورا
على ما يفعله فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك
فاجاب ان الذي الزمتموني في القدرة يلزمكم في الفعل فان عندكم
يستحيل ان يفعله وان كان مقدورا فلا فرق وانما اخذ هذه

المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بان الجواد لا يجوز ان
يدخر شيئا لا يفعله فما ابدعه اوجده هو المقدور ولو كان في علمه
ومقدوره ما هو احسن واكمل مما ابدعه نظاما وترتيبا وصلاحا
لفعل الثانية قوله في الارادة ان البارى تعالى ليس موصوفا بها
على الحقيقة فاذا وصف بها شرعا في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها
ومنشئها على حسب ما علم واذا وصف بكونه مريدا الافعال العباد
فالمعنى به انه امرها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الارادة الثالثة
قوله ان افعال العباد كلها حركات نحسب والسكون حركة اعتماد
والعلوم والارادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة
النقلة وانما الحركة عنده مبدا تغير ما كما قالت الفلاسفة من
اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والاين ومتى الى احوالها
الرابعة ووافقهم ايضا في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو
النفس والروح والبدن آلتها وقالبها غير انه تقاصر عن ادراك
مذهبهم فمال الى قوله الطبيعية منهم ان الروح جسم لطيف مشابك
للبدن مداخل للقالب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية
في السمسم والسمنية في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة
واستطاعة وحيوة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة
قبل الفعل الخامسة حكى الكعبي عنه انه قال ان كل ما جاز محل
القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة اى ان الله
تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة
الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعا وله في الجواهر واحكامها خبط
مذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة السادسة وافق الفلاسفة
في نفي الجزؤ الذى لا يتجزى واحدث القول بالطفرة لما الزم مشى
نملة على صخرة من طرف الى طرف انها قطعت ما لا يتناهى وكيف
يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى قال يقطع بعضها بالمشى وبعضها
بالطفرة وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر
طوله خمسون ذراعا وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون
ذراعا علق عليه معلاق فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل
الى راس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعا

في زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم
ان الطفرة قطع مسافة ايضا موازية لمسافة فالالزام لا يندفع
عنه وانما الفرق بين المشي والطفرة يرجع الى سرعة الزمان وبطئه
السابعة قال ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت ووافق هشام بن
الحكم في قوله ان الالوان والطعوم والروائح اجسام فتارة يقضي بكون
الاجسام اعراضا وتارة يقضي بكون الاعراض اجساما الثامنة من
مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليها
الآن معادن ونباتا وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام
خلق اولاده غير ان الله تعالى اكمن بعضها في بعض فالتقدم والتاخر
انما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما اخذ
هذه المقالة من اصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة واكثر
ميله ابدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الالهيين التاسعة
قوله في اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والآتية
ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام
به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان ياتوا بسورة من
مثله بلاغة وفصاحة ونظما العاشرة قوله في الاجماع انه ليس بحجة
في الشرع وكذلك القياس في الاحكام الشرعية لا يجوز ان يكون حجة
وانما الحجة في قول الامام المعصوم الحادية عشر ميله الى الرفض
ووقيعته في كبار الصحابة قال اولا الامامة الا بالنص والتعيين
ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علي كرم
الله وجهه في مواضع واظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة الا ان عمر
كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة ابي بكر يوم السقيفة ونسبه الى
الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول عليه السلام حين قال
السنا على الحق اليسوا على الباطل قال دعم قال عمر فلم نعطي الدنية
في ديننا قال هذا شك في الدين ووجد ان خرج في النفس مما قضى
وحكم وزاد في الفرية فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم
البيعة حتى القت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوها بمن فيها
وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبه نصر
ابن الحجاج من المدينة الى البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة

الحج ومصادرية العمال كل ذلك احداث ثم وقع فى عثمان وذكر
احداثه من رده الحكم بن امية الى المدينة وهو طريد رسول الله ونفيه
اباذر وهو صديق رسول الله وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو
من افسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه
مروان بن الحكم ابنته وهم اضد واعليه امره وضربه عبد الله بن مسعود
على احضار المصحف وعلى القول الذى شافهه به كل ذلك احداث ثم
زاد على خزيه ذلك بان غاب عليا وعبد الله بن مسعود لقولهما اقول
فيها برای وكذب ابن مسعود فى روايته السعيد من سعد فى بطن
امه والشقى من شقى فى بطن امه وفى روايته انشقاق القمر وفى
تشبيهه الجن بالبط وقد انكر الجن راسا الى غير ذلك من الوقيعة
الفاحشة فى الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الثانية عشر قوله فى
المفكر قبل ورود السمع انه اذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه
تحصيل معرفة البارى تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين
العقل وتقبيحه فى جميع ما يتصرف فيه من افعاله وقال لابد من خاطرين
احدهما يامر بالاقدام والآخر بالكف ليصح الاختيار الثالثة عشر
تكلم فى مسائل الوعد والوعيد وزعم ان من خان فى مائة وتسعة وتسعين
درهما بالسرقة او الظلم لم يفسق بذلك حتى يبلغ خيانته نصاب الزكوة
وهو ما يتاد رهم فصاعدا فحينئذ يفسق وكذلك فى سائر نصب الزكوة
وقال فى المعاد ان الفضل على الاطفال كالفضل على البهائم ووافقه
الاسوارى فى جميع ما ذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالى
لا يوصف بالقدرة على ما علم انه لا يفعله ولا على ما اخبر انه لا يفعله
مع ان الانسان قادر على ذلك لان قدرة العبد صالحة للضدين
ومن المعلوم ان احد الضدين واقع فى المعلوم انه سيوجد دون
الثانى والخطاب لا ينقطع عن ابى لهب وان اخبر الرب تعالى بانه
سيصلى نارا ذات لهب ووافقه ابو جعفر الاسكافى واصحابه من
المعتزلة وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وانما
يوصف بالقدرة على ظلم الاطفال والمجانين وكذلك الجعفران جعفر
ابن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زاد عليه الا ان جعفر بن مبشر
قال فى فساق الامة من هو شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع

الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ اذ المعتبر في الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الايمان وكان محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران من اصحاب النظام الا انهم خالفوه في الوعيد وفي المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان ابن مبشر يقول في الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود في النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع وسائر اصحابه يقولون التخليد لا يعرف الا بالسمع ومن اصحاب النظام الفضل الحدثي واحمد بن حائط قال ابن الروندي انهما كانا يزعمان ان الخلق خالقين احدهما قديم وهو الباري تعالى والثاني محدث وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى اذ تخلق من الطين كهيئة الطير وكذا به الكعبي في رواية الحدثي خاصة لحسن اعتقاده فيه الحايطية اصحاب احمد بن حايط وكذلك الحدثية اصحاب فضل بن الحدثي كانا من اصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة ايضا وضما الى مذهب النظام ثلاث بدع الاولى اثبات حكم من احكام الالهية في المسيح عليه السلام موافقة النصارى على اعتقادهم ان المسيح عليه السلام هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وهو المراد بقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام وهو المعنى بقوله تعالى او يأتي ربك وهو المراد بقول النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه في النار وزعم احمد بن حائط ان المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى الثانية القول بالتناسخ زعما ان الله تعالى ابدع خلقه اصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه ولا يجوز ان يكون اول ما يخلقه الاعاقلا ناظرا معتبرا فابتداهم بتكليف شكره فاطاعه بعضهم في جميع ما امرهم به وعصاه بعضهم في جميع ذلك واطاعه بعضهم في البعض دون البعض فمن اطاعه في الكل اقره في دار النعيم التي ابتداهم فيها ومن عصاه في الكل اخرجه من تلك الدار الى دار العذاب وهي

النار

النار ومن اطاعه في البعض وعصاه في البعض اخرجه الى دار الدنيا فالبسه هذه الاجسام الكثيفة وابتلاه بالباساء والضراء والمشقة والرخاء والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه اقل وطاعته اكثر كانت صورته احسن والآمه اقل ومن كانت ذنوبه اكثر كانت صورته اقبح والآمه اكثر ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد اخرى ما دامت معه ذنوبه وطاعاته وهذا عين القول بالتناسخ وكان في زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن ايوب بن مانوس وهو ايضا من تلامذة النظام قال مثل ما قال احمد بن حايط في التناسخ وخلق البرية دفعة واحدة الا انه قال متى ما صارت النوبة الى البهيمية ارتفعت التكاليف ومتى ما صارت النوبة الى رتبة النبوة والملك ارتفعت التكاليف ايضا وصارت النوبتان عالم الجزاء ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب احديهما فيها اكل وشرب وبعال وجنات وانهار والثانية دار فوق هذه الدار ليس فيها اكل وشرب وبعال بل ملائ روحانية وروح وريحان غير جسمانية والثالثة دار العقاب المحض وهي نار جهنم ليس فيها ترتيب بل هي على نمط التساوي والرابعة دار الابتداء وهي التي خلق الخلق فيها قبل ان تهبط الى الدنيا وهي الجنة الاولى والخامسة دار الابتلاء وهي التي كلف الخلق فيها بعد ان ابتر حوا في الاولى وهذا التكوين والتكرير لا يزال في الدنيا حتى يهلك الملكيا لان مكيال الخير ومكيال الشر فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع خيرا خالصا فينقل الى الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغني ظلم وفي الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه واذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصي شرا محضا فينقل الى النار ولم يلبث طرفة عين وذلك قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والبحث الثالث حملهما كل ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته على رؤية العقل الاول الذي هو اول مبدع وهو العقل الفعال الذي منه

تفيض الصور على الموجودات واياه عنى النبي عليه السلام اول
ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احسن منك بك اعز وبك
اذل وبك اعطي وبك امنع فهو الذي يظهر يوم القيامة ويرتفع
الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر
ليلة البدر فاما واهب العقل فلا يرى البتة ولا يشبه الا مبدع
بمبدع وقال ابن حايط ان كل نوع من انواع الحيوانات امة على
حيالها لقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وفي
كل امة رسول من نوعه لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها
نذير ولها طريقة اخرى في التناسخ وكانها مزجا كلام التناسخية
والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض البشرية اصحاب بشر بن
المعتمر كان من افضل علماء المعتزلة وهو الذي احدث القول بالتولد
وافرط فيه وانفرد عن اصحابه بمسائل ست الاولى منها انه زعم
ان اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز
ان تحصل متولدة من فعل الغير في الغير اذا كانت اسبابها من فعله وانما
اخذ هذا من الطبيعيين الا انهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر
بالقدرة وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين وقوة
الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم الثانية
قوله ان الاستطاعة هي سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليتها من
الآفات وقال لا اقول يفعل به في الحالة الاولى ولا في الحالة الثانية
لكني اقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الثانية الثالثة
قوله ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالما اياه
الا انه لا يستحسن ان يقال في حقه بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل
بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتكبها مستحقا للعقاب وهذا كلام
متناقض الرابعة حكى الكعبي عنه انه قال ارادة الله تعالى فعل من
افعاله وهي على وجهين صفة ذات وصفة فعل فاما صفة الذات
فهو جل وعز لم يزل مريدا لجميع افعاله ولجميع طاعات عباده
وانه حكيم ولا يجوز ان يعلم الحكيم صلاحا وخيرا الا يريده واما
صفة الفعل فان اراد بها فعل نفسه فمحال احداثه فهي خلق له وهي

قبل الخلق لان ما به يكون الشيء لا يجوز ان يكون معه وان اراد بها فعل
عباده فهو الامر به الخامسة قال ان عند الله تعالى لطفا لو اتى به
لآمن جميع من في الارض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو
آمنوا من غير وجوده واكثر منه وليس على الله تعالى ان يفعل ذلك
بعباده ولا يجب عليه رعاية الاصلح لانه لا غاية لما يقدر عليه من
الصلاح فما من اصلح الا وفوقه اصلح وانما عليه ان يمكن العبد بالقدرة
والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود
السمع يعلم الباري تعالى بالنظر والاستدلال واذا كان مختارا في
فعله فيستغني عن الخاطرين فان الخاطرين لا يكونان من قبل الله تعالى
وانما هما من قبل الشيطان والمفكر الاول لم يتقدمه شيطان يخطر
الشك بباله ولو تقدم فالكلام في الشيطان كالكلام فيه السادسة
قال من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الاولى
فانه قبل توبته بشرط ان لا يعود المعمرية اصحاب معمر بن عباد
السلمي وهو من اعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي
القدر خيره وشره من الله والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد
عن اصحابه بمسائل منها انه قال ان الله تعالى لم يخلق شيئا غير
الاجسام فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعا
كالنار التي تحدث الاحراق والشمس الحرارة والقمر التلوين واما
اختيارا كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
ومن العجب ان حدوث الجسم وفناه عنده عرض فكيف يقول
انهما من فعل الاجسام واذا لم يحدث الباري تعالى عرضا فلم يحدث
الجسم وفناه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لا يكون لله تعالى فعل
اصلا ثم الزم ان كلام الباري تعالى انه عرض او جسم فان قال
هو عرض فقد احدث الباري فان المتكلم على اصله من فعل الكلام
ويلزمه ان لا يكون لله تعالى كلام هو عرض وان قال هو جسم فقد
ابطل قوله اذ احدث في محل فان الجسم لا يقوم بالجسم فاذا لم يقل هو
باثبات الصفات الازلية ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله
تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه واذا لم يكن له كلام لم يكن
امرا ناهيا واذا لم يكن امر ونهي لم تكن شريعة اصلا فادى مذهبه

الى خزى عظيم ومنها ان قال الاعراض لا تتناهى فى كل نوع وقال كل
عرض قام بمحل فانما يقوم به لمعنى اوجب القيام وذلك يؤدى الى
التسلسل وعن هذه المسئلة سمى هو واصحابه اصحاب المعانى
وزاد على ذلك فقال الحركة انما خالفت السكون بمعنى اوجب المخالفة
لابذاتها وكذلك مغايرة المثل ومماثلته وتضاد الضد الضد كل
ذلك عنده لمعنى ومنها ما حكى الكعبى عنه ان الارادة من الله تعالى
للشئ غير الله وغير خلقه للشئ وغير الامر والاخبار والحكم
فاشار الى امر مجهول لا يعرف وقال ليس للانسان فعل سوى
الارادة مباشرة كانت او توليدا وافعاله التكليفية من القيام
والقعود والحركة والسكون فى الخير والشر كلها مستندة الى ارادته
لا على طريق المباشرة ولا على التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه
على مذهبه فى حقيقة الانسان وعنده الانسان معنى او جوهر
غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن
ولا متلون ولا متمكن ولا يرى ولا يلمس ولا يجس ولا
يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه
مدبر للجسد وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف وانما
اخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانسانى
امرا ما هو جوهر قائم بنفسه لا متحيز ولا متمكن واثبتوا من
جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان
ميل معمر بن عباد الى مذهب الفلاسفة ميز بين افعال النفس
التى سماها انسانا وبين القالب الذى هو جسده فقال فعل
النفس والارادة فحسب والنفس انسان ففعل الانسان هو
الارادة ومن سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهى
من فعل الجسد ومنها انه يحكى عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم
لان القديم اخذ من قدم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ما قدم
وما حدث وقال ايضا هو يشعر بالتقادم الزمانى ووجود البارى
تعالى ليس بزمانى ويحكى عنه انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث
غير المحدث وحكى جعفر بن حرب عنه انه قال ان الله تعالى محال ان
يعلم نفسه لانه يؤدى الى ان يكون العالم والمعلوم واحدا وهو محال

ان يعلم غيره كما يقال محال ان يقدر على الموجودات من حيث هو
موجود ولعل هذا النقل فيه خلل فان عاقلا ما يتكلم بمثل هذا الكلام
الغير المعقول لهوى لما كان الرجل يميل الى الفلاسفة ومن مذهبهم
انه ليس علم البارى تعالى علما انفعاليا اى تابعا للمعلوم بل علمه
علم فعلى فهو من حيث هو فاعل عالم وعلمه هو الذى اوجب الفعل
وانما يتعلق بالوجود حال حدوثه لا محالة ولا يجوز تعلقه بالمعدوم
على استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا
شئ واحد فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لانه يؤدى الى تباين
بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لانه يؤدى الى ان يكون علمه من
غيره تحصل فاما ان لا يصح النقل واما ان يحمل على مثل هذا المحمل
ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب للكلامه وجها المزدارية اصحاب
عيسى بن صبيح المكنى بابى موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر
المعتمر واخذ العلم منه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد
عن اصحابه بمسائل الاولى منها قوله فى القدر ان الله تعالى يقدر
على ان يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان الها كاذبا ظالما تعالى عن قوله
الثانية قوله فى التولد مثل قول استاذه وزاد عليه بان جوز وقوع
فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد الثالثة قوله فى القرآن ان
الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما وبلاغة وهو الذى
بالغ فى القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانه قد اثبت قديمين
وكفر ايضا من لا يبس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر
من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومن قال انه يرى بالابصار
وغلا فى التكفير حتى قال هم كافرون فى قولهم لا اله الا الله وقد
سأله ابراهيم بن السندى مرة عن اهل الارض جميعا فكفرهم فاقبل
عليه ابراهيم وقال الجنة التى عرضها السموات والارض لا يدخلها
الا انت وثلاثة وافتوك فخزى ولم يجد جوابا وقد تلمذ له الجعفران
وابو زفر ومحمد بن سويد وصحب ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى
وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الاشج وحكى الكعبى عن الجعفرين
انهما قالا ان الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ لا يجوز ان
ينتقل او يستحيل ان يكون الشئ الواحد فى مكانين فى حالة واحدة

وما نقراه فهو حكاية عن المكتوب الاول فى اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا قال وهو الذى اختاره من الاقوال المختلفة فى القرآن وقالا فى تحسين العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع احكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه ان يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فاثبت التخليد واجبا بالعقل الثمامية اصحاب ثمامة بن اشرس النميرى كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بان الفاسق مخلد فى النار اذا مات على فسقه من غير توبة وهو فى حال حياته فى منزلة بين المنزلتين وانفرد عن اصحابه بمسائل منها قوله ان الافعال المتولدة لا فاعل لها اذا لم يمكنه اضافتها الى فاعل اسبابها حتى يلزم ان يضيف القول الى ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها الى الله تعالى لانه يؤدى الى فعل القبيح وذلك محال فتحير فيه وقال المتولدات افعال لا فاعل لها ومنها قوله فى الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون فى القيامة ترابا وكذلك قوله فى البهائم والطيور واطفال المؤمنين ومنها قوله الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهى قبل الفعل ومنها قوله ان المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لا فاعل له كسائر المتولدات ومنها قوله فى تحسين العقل وتقبيحه وايجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل اصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطر الى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد كالحيوان ومنها قوله لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث لا محدث له وحكى ابن الراوندى عنه انه قال العالم فعل الله تعالى بطباعه ولعله اراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الايجاب بالذات دون الايجاد على مقتضى الارادة لكنه يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم اذ الموجب لا ينفك عن الموجب وكان ثمامة فى ايام المامون وعنده بمكان الهشامية اصحاب هشام بن عمرو الفوطى ومبالغته فى القدر اشد واكثر من مبالغة اصحابه وكان

يمتنع

يمتنع من اطلاق اضافات افعال الى البارى تعالى وان ورد بها
التنزيل منها قوله ان الله لايؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم
المؤتلفون باختيارهم وقد ورد فى التنزيل ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم ومنها قوله ان الله تعالى لايحب الايمان الى
المؤمنين ولايزينه فى قلوبهم وقد قال تعالى حبب اليكم الايمان
وزينه فى قلوبكم ومبالغته فى نفى اضافة الطبع والختم والسد وامثالها
اشد واصعب وقد ورد جميعها فى التنزيل قال الله تعالى ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وقال بل طبع الله عليها بكفرهم وقال وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وليت شعرى ما يعتقده الرجل
من انكار الفاظ التنزيل وحيا من الله تعالى فيكون تصريحا بالكفر
او انكار ظواهرها من نسبتها الى البارى تعالى ووجوب تاويلها
وذلك غير مذهب اصحابه ومن بدعه فى الدلالة على البارى تعالى
قوله ان الاعراض لاتدل على كونه خالقا ولاتصلح الاعراض دلالات
بل الاجسام تدل على كونه خالقا وهذا ايضا عجيب ومن بدعه فى الامامة
قوله انها لاتنعقد فى ايام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوز عقدها
فى حال الاتفاق والسلامة وكذلك ابوبكر الاصم من اصحابهم كان يقول
الامامة لاتنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم وانما اراد بذلك
الطعن فى امامة على رضى الله عنه اذ كانت البيعة فى ايام الفتنة
من غير اتفاق من جميع الصحابة اذ بقى فى كل طرف طائفة على خلافه
ومن بدعه ان الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن اذ لا فائدة فى
وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما وبقيت هذه
المسئلة منه اعتقاد المعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان
هو الذى يوافى الموت وقال من اطلع الله جميع عمره وقد علم انه
ياتى بما يحبط اعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد وكذلك على
العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول
بان الله تعالى خلق الكافر لان الكافر انسان والله لايخلق الكفر
وقال النبوة جزاء على عمل وانها باقية مابقيت الدنيا وحكى الاشعرى
عن عباد انه زعم انه لايقال ان الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ووافقه
الاسكافى على ذلك قالا ولا يسمى متكلما وكان الفوطى يقول ان

الاشياء قبل كونها معدومة ليست اشياء وهي بعد ان تعدم عن
وجود تسمى اشياء ولهذا المعنى كان يمنع القول بان الله تعالى قد كان
لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها فانها لا تسمى اشياء قال وكان
يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه واخذ اموالهم غصبا وسرقة
لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم الجاحظية اصحاب عمرو
ابن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنف لهم وقد طالع
كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروج ببلاغته البليغة وحسن
براعته اللطيفة وكان في ايام المعتصم والمتوكل وانفرد عن اصحابه
بمسائل منها قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء
من ذلك من افعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة
ويحصل افعالهم طباعا كما قال ثمامة ونقل عنه ايضا انه انكر اصل
الارادة وكونها جنسا من الاعراض فقال اذا انتفى السهو عن الفاعل
وكان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق واما الارادة المتعلقة بفعل
الغير فهو ميل النفس اليه وزاد على ذلك باثبات الطبائع للاجسام
كما قال الطبيعيون من الفلاسفة واثبت لها افعالا مخصوصة بها
وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجوهر لا يجوز
ان يفنى ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل
يصيرون الى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب اهلها الى نفسها
دون ان يدخل احد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي
الصفات وفي اثبات القدر خيره وشره من السيد مذهب المعتزلة
وحكى الكعبي عنه في نفي الصفات انه قال يوصف الباري تعالى بانه
مريد بمعنى انه لا يصح عليه السهو في افعاله ولا الجهل ولا يجوز ان
يغلب ويقهر وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى
خالقهم ويعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم
ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم
محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس
بجسم ولا صورة ولا يرى بالابصار وهو عدل لا يجور ولا يريد
المعاصي وبعد الاعتقاد والتبيين اقر بذلك كله فهو مسلم حقا
وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره او دان بالتشبيه والجبر فهو

مشرك

مشبرك كافر حقا وان لم ينظر في شئ من ذلك واعتقد ان الله ربه وان
محمدا رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك
وحكى ابن الراوندى عنه ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة
رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكى عن ابى بكر الاصم انه زعم
ان القرآن جسم مخلوق وانكر الاعراض اصلا وانكر صفات البارى
تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا انه
الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين

الخياطية اصحاب ابى الحسين بن ابى عمرو الخياط استاذ ابى
القاسم بن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد
الا ان الخياط غال فى اثبات المعدوم شيئا وقال الشئ ما يعلم ويخبر
عنه والجوهر جوهر فى العدم والعرض عرض وكذلك اطلق جميع اسماء
الاجناس والاصناف حتى قال السواد سواد فى العدم فلم يبق الا
صفة الوجود والصفات التى تلزم الوجود والحدوث واطلق على
المعدوم لفظ الثبوت وقال فى نفى صفات البارى مثل ما قاله اصحابه
وكذا القول فى القدرة والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن استاذه
بمسائل منها قوله ان ارادة البارى تعالى ليست صفة قائمة بذاته
ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة فى محل ولا فى محل بل اذا اطلق
عليه انه مريد فمعناه انه عالم قادر غير مكره فى فعله ولا كاره ثم
اذا قيل انه مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها على وفق علمه واذا
قيل هو مريد لافعال عباده فالمراد به انه امر بها راض عنها وقوله
فى كونه سميعا بصيرا راجع الى ذلك ايضا فهو سميع بمعنى انه
عالم بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات وقوله فى الرؤية
كقول اصحابه نفيا واحالة غير ان اصحابه قالوا يرى البارى تعالى
ذاته ويرى المرئيات وكونه مدركا لذلك زايد على كونه عالما وقد
انكر الكعبي ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات انه عالم
بها فقط

الجبائية والبهشمية اصحاب ابى على محمد بن عبد
الوهاب الجبائى وابنه ابى هاشم عبد السلام وهما من معتزلة
البصرة انفردا عن اصحابهما بمسائل وانفرد احدهما عن صاحبه
بمسائل اما المسائل التى انفرد بها عن اصحابهما فمنها انهما اثبتا

ارادات حادثة لا فى محل يكون البارى تعالى موصوفا مريدا ومعظما
لا فى محل اذا اراد ان يعظم ذاته وفناء لا فى محل اذا اراد ان يفنى العالم
واخص اوصاف هذه الصفات يرجع اليه من حيث انه تعالى ايضا لا فى
محل واثبات موجودات هى اعراض او فى حكم الاعراض لا محل لها
كاثبات موجودات هى اعراض او فى حكم الاعراض لا محل لها كاثبات
موجودات هى جواهر او فى حكم الجواهر لامكان لها وذلك قريب من
مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا عقلا هو جوهر لا فى محل ولا فى
مكان وكذلك النفس الكلى والعقول المفارقة ومنها انهما حكما بكونه
تعالى متكلما بكلام يخلقه فى محل وحقيقة الكلام عندهما اصوات
مقطعة وحروف منظومة والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به
الكلام الا ان الجبائى خالف اصحابه خصوصا بقوله يحدث الله تعالى
عند قراءة كل قارئ كلاما لنفسه فى محل القراءة وذلك حين الزم
ان الذى يقرأه القارئ ليس بكلام الله والمسموع منه ليس بكلام
الله فالتزم هذا المحال من اثبات امر غير معقول ولا مسموع وهو
اثبات كلامين فى محل واحد واتفقا على نفى رؤية الله تعالى
بالابصار فى دار القرار وعلى القول باثبات الفعل للعبد خلقا
وابداعا واضافة الخير والشر والطاعة والمعصية اليه استقلالا لا
واستبدادا وان الاستطاعة قبل الفعل وهى قدرة زائدة على سلامة
البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطا فى قيام المعانى التى يشترط
فى ثبوتها الحياة واتفقا على ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن
والقبيح واجبات عقلية واثبتا شريعة عقلية ورد الشريعة النبوية
الى مقدرات الاحكام وموقتات الطاعات التى لا يتطرق اليها عقل
ولا يهتدى اليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب
المطيع وعقاب العاصى الا ان التاقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع
والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير اذا استجمعت
سمى المتحلى بها مؤمنا ومن ارتكب كبيرة فهو فى الحال يسمى فاسقا
لا مؤمنا ولا كافرا وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد فى النار واتفقا
على ان الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا مما علم انه اذا فعل بهم اقوا
بالطاعة واتوا من الصلاح والاصلح واللطف لانه قادر عالم

جواد حكيم لايضره الاعطاء ولاينقص من خزائنه المنع ولايزيد فى ملكه
الادخار وليس هو الاصلح هو الاذل هو الاجود فى العاقبة والاصوب
فى العاجل وان كان ذلك مولما مكروها وذلك كالحجامة والفصد وشرب
الادوية ولايقال انه تعالى يقدر على شئ هو اصلح مما فعله بعبده
والتكاليف كلها الطاف وبعثة الانبياء عليهم السلام وشرع الشرائع
وتمهيد الاحكام والتنبيه على الطريق الاصوب كلها الطاف ومما تخالفنا
فيه اما فى صفات البارى تعالى فقال الجبائى عالم لذاته قادر حى لذاته
ومعنى قوله لذاته اى لايقتضى كونه عالما صفة هى حال علم اوحال يوجب
كونه عالما وعند ابى هاشم هو عالم لذاته بمعنى انه ذو حالة هى صفة
معلومة وراء كونه ذاتا موجودا وانما يعلم الصفة على الذات لابانفرادها
فاثبت احوالا هى صفات لامعلومة ولامجهولة اى هى على حيالها
لاتعرف كذلك بل مع الذات قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة
الشئ مطلقا وبين معرفته على صفة فليس من عرف الذات عرف كونه
عالما ولامن عرف الجوهر عرف كونه متحيزا قابلا للعرض ولاشك ان
الانسان يدرك اشتراك الموجودات فى قضية وافتراقها فى قضية
وبالضرورة نعلم ان ما اشتركت فيه غير ما افترقت به وهذه القضايا
العقلية لاينكرها عاقل وهى لاترجع الى الذات ولاالى اعراض وراء
الذات فانه يؤدى الى قيام العرض بالعرض فتعين بالضرورة انها احوال
فكون العالم عالما حال هى صفة وراء كونه ذاتا اى المفهوم منها غير
المفهوم من الذات وكذلك كونه قادرا حيا ثم اثبت للبارى تعالى
حالة اخرى اوجبت تلك الاحوال وخالفه والده وسائر منكرى
الاحوال وردوا الاشتراك والافتراق الى الالفاظ واسماء الاجناس
وقالوا ليست الاحوال تشترك فى كونها احوالا وتفترق فى خصائص
كذلك نقول فى الصفات والا فيؤدى الى اثبات الحال للحال ويفضى
الى التسلسل بل هى راجعة اما الى مجرد الالفاظ اذا وضعت فى
الاصل على وجه يشترك فيها الكثير لان مفهومها معنى اوصفة
ثابتة فى الذات على وجه يشمل اشياء ويشترك فيها الكثير فان ذلك
مستحيل اويرجع ذلك الى وجوه واعتبارات عقلية هى المفهومة
من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والاضافات

والقرب والبعد وغير ذلك مما لا يعد صفات بالاتفاق وهذا
هو اختيار ابى الحسين البصرى وابى الحسن الاشعرى وبنوا على
هذه المسئلة المعدوم شئ فمن مثبت كونه شيئا كما نقلنا عن جماعة
المعتزلة فلا يبقى من صفات الثبوت الا كونه موجودا فعلى ذلك
لا يثبت للقدرة فى ايجادها اثر ما سوى الوجود والوجود على
مذهب نفاة الاحوال لا يرجع الا الى اللفظ المجرد وعلى مذهب
مثبتى الاحوال هو حالة لا توصف بالوجود والعدم وهذا كما
ترى من المتقايض والاستحالة ومن نفاة الاحوال من يثبته شيئا
ولا يسميه بصفات الاجناس وعند الجبائى اخص وصف البارى
تعالى هو القدم والاشتراك فى الاخص يوجب الاشتراك فى الاعم
وليت شعرى كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم
والخصوص حقيقة وهو من نفاة الاحوال فاما على مذهب ابى
هاشم فلعمرى هو مطرد غير ان القدم اذا بحث عن حقيقته رجع
الى نفى الاولية والنفى يستحيل ان يكون اخص وصف واختلفا
فى كونه سميعا بصيرا فقال الجبائى معنى كونه سميعا بصيرا انه
حى لا آفة به وخالفه ابنه وسائر اصحابه اما ابنه فصار الى ان كونه
سميعا حالة وكونه بصيرا حالة سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين
والمفهومين والمتعلقين والاثرين وقال غيره من اصحابه معناه
كونه مدركا للمبصرات مدركا للمسموعات واختلفا ايضا فى بعض
مسائل اللطف فقال الجبائى فمن يعلم البارى تعالى من حاله انه لو آمن
مع اللطف لكان ثوابه اقل لقلة مشقته ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه
اكثر لعظم مشقته انه لا يحسن منه ان يكلفه الا مع اللطف ويسوى
بينه وبين من المعلوم من حاله انه لا يفعل الطاعة على كل وجه
الا مع اللطف ويقول ان لو كلفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون
مستفسد احاله غير مزيح لعلته ويخالفه ابو هاشم فى بعض
المواضع فى هذه المسئلة قال يحسن منه تعالى ان يكلفه الايمان
على استواء الوجهين بلا لطف واختلفا فى فعل الالم للعوض
فقال الجبائى يجوز ذلك ابتداء لاجل العوض وعليه الام الاطفال
وقال ابنه انما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا

وتفصيل مذهب الجبائي في الاعواض على وجهين احدهما انه يقول
التفضل بمثل الاعواض غير انه تعالى علم انه لا ينفعه عوض الا على
الم متقدم والوجه الثاني انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق
والتفضل غير مستحق والثواب عندهم يتفضل على التفضل بامرين
احدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثاني قدر زائد
على التفضل فلم يجب اذا اجرى العوض مجرى الثواب لانه لا يتميز
عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة صفة وقال ابنه يحسن الابتدا
بمثل العوض تفضلا والعوض منقطع غير دائم وقال الجبائي يجوز
ان يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض
يتفضل بها عليه اذا لم يكن للظالم على اكثر من شئ ضره بر وزعم ابوهاشم
ان التفضل لا يقع به انتصاف لان التفضل ليس يجب فعله وقال
الجبائي وابنه لا يجب على الله شئ لعباده في الدنيا اذا لم يكلفهم
عقلا وشرعا فاما اذا كلفهم فعل الواجب في عقولهم واجتناب القبيح
وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن وركب فيهم الاخلاق
الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب
الادلة والقدرة والاستطاعة وتهيئة الآلة بحيث يكون مزيحا
لعللهم فيما امرهم ويجب عليه ان يفعل بهم ادعى الامور الى فعل ما كلفهم
به واربح الاشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل
هذا الباب خبط طويل واما كلام جميع المعتزلة في النبوات والامامة
يخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل الى الروافض
ومنهم من يميل الى الخوارج والجبائي وابوهاشم قد وافقا اهل
السنة في الامامة انها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل
ترتبهم في الامامة غير انهم منكرون الكرامات اصلا للاولياء من
الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة الانبياء عن الذنوب كبائرها
وصغائرها حتى يمنع الجبائي القصد الى الذنب الا على تاويل
والمتاخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا
طريقة ابي هاشم وخالفه في ذلك ابو الحسن البصري وتصفح
ادلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزييف والابطال وانفرد
عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها نفي المعدوم شيئا ومنها نفي

الاكوان اعراضا ومنها قوله ان الموجودات تتمايز باعيانها وذلك من توابع نفي الحال ومنها رده الصفات كلها الى كون الباري تعالى عالما قادرا مدركا وله ميل الى مذهب هشام بن الحكم ان الاشياء لا تعلم قبل كونها والرجل فلسفي المذهب الا انه روج كلامه على المعتزلة فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب الجبرية الجبر هو نفي الفعل حقيقة من العبد واضافته الى الرب تعالى والجبرية اصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا والجبرية المتوسطة ان تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة اصلا فاما من اثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الفعل وسمى ذلك كسبا فليس بجبري والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الابداع والاحداث استقلالا لا جبريا ويلزمهم ان يسموا من قال من اصحابهم بان المتولدات افعال لا فاعل لها جبريا اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها اثرا والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلامية من الصفاتية والاشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على اصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية الجهمية اصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في اخر ملك بني امية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء منها قوله لا يجوز ان يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما واثبت كونه قادرا فاعلا خالقا لانه لا يوصف شئ من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ومنها اثباته علوما حادثة للباري تعالى لا في محل قال لا يجوز ان يعلم الشئ قبل خلقه لانه لو علم ثم خلق اما بقي علمه على ما كان اولم يبق فان بقي فهو جهل فان العلم بان سيوجد غير العلم بانه قد وجد وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس بقديم ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر قال واذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو اما ان يحدث في ذاته تعالى وذلك يؤدي الى التغير في ذاته وان يكون محلا للحوادث واما

ان يحدث في محل فيكون المحل موصوفا به لا البارى تعالى فتعين انه
لا محل له فاثبت علوما حادثة بعدد المعلومات الموجودة ومنها قوله
في القدرة الحادثة ان الانسان ليس يقدر على شئ ولا يوصف بالاستطاعة
وانما هو مجبور في افعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق
الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب
اليه الافعال مجازا كما ينسب الى الجمادات كما يقال اثمرت الشجرة
وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء
وامطرت وازهرت الارض وانبتت الى غير ذلك والثواب والعقاب
جبر كما ان الافعال جبر قال واذا ثبت الجبر فالتكليف ايضا كان جبرا
ومنها قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع والجنة والنار يفنيان
بعد دخول اهلها فيهما وتلذذ اهل الجنة بنعيمها وتالم اهل النار
بجحيمها اذ لا يتصور حركات لا تتناهى اخرا كما لا تتصور حركات
لا تتناهى اولا وحمل قوله تعالى خالدين فيها على المبالغة والتاكيد
دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان واستشهد
على الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك فالاية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود
والتابيد لا شرط فيه ولا استثناء ومنها قوله من اتى بالمعرفة ثم
جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو
مؤمن قال والايمان لا يتبعض اى لا ينقسم الى عقد وقول وعمل قال
ولا يتفاضل اهله فيه فايمان الانبياء وايمان الامة على نمط واحد
اذ المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من اشد الرادين عليه
ونسبته الى التعطيل المحض وهو ايضا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية
واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع

النجارية اصحاب الحسين بن محمد النجار واكثر معتزلة الرى وحولها
على مذهبه وهم وان اختلفوا اصنافا الا انهم لم يختلفوا في المسائل التي
عددناها اصولا وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة واتفقوا المعتزلة
في نفي الصفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر
ووافقوا الصفاتية في خلق الاعمال قال النجار البارى تعالى مريد لنفسه
كما هو عالم لنفسه فالزم عموم المتعلق فالتزم وقال هو مريد الخير

والشر والنفع والضر وقال ايضا معنى كونه مريدا انه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق اعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها واثبت تاثيرا للقدرة الحادثة وسمى ذلك كسبا على حسب ما يثبته الاشعري ووافقه ايضا في ان الاستطاعة مع الفعل واما في مسئلة الرؤية فانكر رؤية الله تعالى بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة الى العين فيعرف الله بها ويكون ذلك رؤية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة باشياء منها قوله ان كلام الباري تعالى اذا قرأ فهو عرض واذا كتب فهو جسم ومن العجب ان الزعفرانية قالت كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال القرآن مخلوق فهو كافر ولعلهم اذا راوا بذلك الاختلاف والا فالتناقض ظاهر والمستدرك منهم زعموا ان كلام الله غيره وهو مخلوق لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام الله غير مخلوق والسلف اجمعت على هذه العبارة فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق اي على هذا الترتيب والنظم من الحروف والاصوات بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية عنها وحكى الكعبي عن النجار انه قال الباري تعالى بكل مكان ذاتا ووجودا لا على معنى العلم والقدرة والزمه محالات على ذلك وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال وقال في الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار في الخلود ومحمد ابن عيسى الملقب ببرغوث وبشر بن غياث المريسي والحسين النجار متقاربون في المذهب وكلهم اثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ما علم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وهاهنا المعتزلة يابون ذلك الضرارية اصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما في التعطيل انهما قالا الباري تعالى عالم قادر على معنى انه ليس بجاهل ولا عاجز واثبتا لله تعالى ماهية لا يعلمها الا هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن ابي حنيفة رحمه الله وجماعة من اصحابه

واراد بذلك انه يعلم نفسه شهادة لا بدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر واثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة وقالا افعال العباد مخلوقة للباري تعالى حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة وجوزوا حصول فعل بين فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله الاعراض اجساما والاستطاعة والعجز بعض الجسم وهو جسم ولا محالة تبقى زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاجماع فقط فما ينقل عنه في احكام الدين من اخبار الاحاد فغير مقبول ويحكى عن ضرار انه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف ابي بن كعب ويقطع بان الله تعالى لم ينزله وقال في المفكر قبل ورود السمع انه لا يجب عليه شئ بعقله حتى يأتيه الرسول فيامره وينهاه ولا يجب على الله تعالى شئ بحكم العقل وزعم ضرار ايضا ان الامامة تصلح في غير قريش حتى اذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي اذا هو اقل عددا واضعف وسيلة فيمكننا طعنه اذا خالف الشريعة والمعتزلة وان جوزوا الامامة في غير قريش الا انهم لا يقدمون النبطي على القرشي الصفاتية اعلم ان جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات جبرية مثل اليدين والرجلين ولا يؤولون ذلك الا انهم يقولون بتسميتها صفات جبرية ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة فبلغ بعض السلف في اثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الافعال عليها وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين منهم من اولها على وجه يحتمل اللفظ ذلك ومنهم من توقف في التاويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شئ فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شئ منها وقطعنا بذلك الا انا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ومثل قوله خلقت بيدي

ومثل قوله وجاء ربك الى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير
هذه الآيات وتاويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لاشريك
له وليس كمثله شئ وذلك قد اثبتناه يقينا ثم ان جماعة من
المتاخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها
والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتاويل ولا توقف
في الظاهر فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده
السلف ولقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود لعنهم الله لا في
كلهم بل في القرايين منهم اذا وجدوا في التوراة الفاظا كثيرة تدل على
ذلك ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير اما الغلو
فتشبيه بعض ائمتهم بالاله تعالى الله وتقدس واما التقصير فتشبيه
الاله بواحد من الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف
رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت في الاعتزال
وتخطت جماعة من السلف الى التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه
اما السلف الذين لم يتعرضوا للتاويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم مالك
ابن انس رضي الله عنه اذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان
به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد بن حنبل وسفيان وداود
الاصفهاني ومن تابعهم حتى انتهى الزمان الى عبد الله بن سعيد الكلابي
وابي العباس القلانسي والحرث بن اسد المحاسبي وهؤلاء كانوا من
جملة السلف الا انهم باشروا علم الكلام وايدوا عقائد السلف بحج
كلامية وبراهين اصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى
بين ابي الحسن الاشعري وبين استاذه مناظرة في مسئلة من مسائل
الصلاح والاصلح فتخاصما وانحاز الاشعري الى هذه الطائفة فايد
مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهبا لاهل السنة والجماعة
وانتقلت سمة الصفاتية الى الاشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية
من مثبتي الصفات عدد ناهم فرقتين من جملة الصفاتية الاشعرية
اصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى
الاشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات ان ابا موسى
الاشعري كان يقرر بعينه ما يقرره الاشعري في مذهبه وقد
جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان ابد احدا

اخاصمه اليه ربي فقال ابو موسى انا ذلك المتحاكم اليه قال عمرو
يقدر على شيئا ثم يعذبني عليه قال نعم قال عمرو ولم قال لانه لا يظلمك
فسكت عمرو ولم يجد جوابا قال الاشعري الانسان اذا فكر في خلقته
من اي شيء ابتدا وكيف دار في اطوار الخلقة كورا بعد كور حتى وصل
الى كمال الخلقة وعرف يقينا انه بدأته لم يكن ليدبر خلقته ويبلغه من
درجة الى درجة ويرقيه من نقص الى كمال عرف بالضرورة ان له صانعا
قادرا عالما مريدا اذ لا يتصور صدور هذه الافعال المحكمة من
طبع لظهور اثار الاختيار في الفطرة وتبيين اثار الاحكام والايقان
في الخلقة فله صفات دلت افعاله عليها لا يمكن جحدها وكما دلت
الافعال على كونه عالما قادرا مريدا دلت على العلم والقدرة والارادة
لان وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا وايضا لا معنى للعالم
حقيقة الا انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد الا انه
ذو ارادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان ويحصل بالقدرة الوقوع
والحدوث ويحصل بالارادة التخصص بوقت دون وقت وقدر دون
قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور ان يوصف بها
الذات الا وان يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه والزم
منكري الصفات الزاما لا محيص لهم عنه وهو انكم وافقتمونا اذ قام
الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو اما ان يكون المفهوم من الصفتين
واحدا او زائدا فان كان واحدا فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر بعالميته
ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا وليس الامر كذلك
فعرف ان الاعتبارين مختلفان فلا يخلو اما ان يرجع الاختلاف الى
مجرد اللفظ او الى الحال او الى الصفة وبطل رجوعه الى اللفظ المجرد فان
العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ
راسا ما ارتاب فيما يصوره وبطل رجوعه الى الحال فان اثبات صفة
لا توصف بالوجود ولا بالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم
والاثبات والنفي وذلك محال فتعين الرجوع الى صفة قائمة بالذات
وذلك مذهب علي ان القاضي ابا بكر الباقلاني من اصحاب الاشعري
قد رد قوله في اثبات الحال ونفيها وتقرر رايه على الاثبات ومع ذلك
اثبت الصفات معاني قائمة به لا احوالا وقال الحال الذي اثبته ابو هاشم

هو الذي نسميه صفة خصوصا اذا اثبت حالة اوجبت تلك الصفة
قال ابو الحسن الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة
متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله في البقاء اختلاف راي قال
وهذه صفات ازلية قائمة بذاته لا يقال هي هو ولا غيره ولا لا هو
ولا لا غيره والدليل على انه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة قال
قام الدليل على انه تعالى ملك والملك من له الامر والنهي فهو آمر ناه فلا
يخلو اما ان يكون آمر بامر قديم او بامر محدث فان كان محدثا فلا يخلو اما
ان يحدث في ذاته او في محل اولا في محل ويستحيل ان يحدث في ذاته لانه
يؤدي الى ان يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يكون في محل
لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدث لا في محل
لان ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم
في الارادة والسمع والبصر قال وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات
المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة
تتعلق بجميع ما يصح وجوده من الجائزات وارادته واحدة تتعلق بجميع
ما يقبل الصفات وكلامه واحد هو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد
ووعيد وهذه الوجوه ترجع الى اعتبارات في كلامه لا الى عدد في نفس
الكلام والعبارات والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء عليهم
السلام دلالات على الكلام الازلي والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول
قديم ازلي والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين
الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم وخالف الاشعري بهذا
المذهب جماعة من الحشوية اذ قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة
والكلام عند الاشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة بل العبارة
والاشارة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به الكلام وعند
المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة كلاما اما بالمجاز واما باشتراك
اللفظ قال وارادته واحدة قديمة ازلية متعلقة بجميع المرادات من
افعاله الخاصة وافعال عباده من حيث انها مخلوقة لا من حيث انها
مكتسبة للعباد فمن هذا القبيل اراد لجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها
وكما اراد من كل مراد من العباد ما علم وامر القلم حتى كتب في اللوح
المحفوظ فما شاء حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل

وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع وتكليف ما لا يطاق
جائز على مذهبه للعلة التي ذكرنا ولان الاستطاعة عنده عرض
والعرض لا يبقى زمانين ففي حال التكليف لا يكون المكلف قط
قادرا ولان المكلف لن يقدر على احداث ما امر به فاما ان يجوز ذلك
في حق من لا قدرة له اصلا على الفعل فمحال وان وجد ذلك منصوصا
عليه في كتابه قال والعبد قادر على افعال العباد اذ الانسان يجد
من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات
الاختيار والارادة والتفرقة راجعة الى ان الحركات الاختيارية حاصلة
تحت القدرة متوقفة على اختيار القادر فعن هذا قال المكتسب هو
المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة ثم على اصل
ابي الحسن لا تاثير للقدرة الحادثة في الاحداث لان جهة الحدوث
قضية واحدة لا تختلف بالنسبة الى الجوهر والعرض فلو اثرت في قضية
الحدوث لاثرت في حدوث كل محدث حتى يصلح لاحداث الالوان والطعوم
والروائح ويصلح لاحداث الجواهر والاجسام فيؤدي الى تجويز وقوع
السماء والارض بالقدرة الحادثة غير ان الله تعالى اجرى سنته بان
يخلق عقيب القدرة الحادثة او تحتها ومعها الفعل الحاصل اذا اراده العبد
وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسبا فيكون خلقا من الله تعالى ابداعا
واحداثا وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته والقاضي ابو بكر الباقلاني
تخطى عن هذا القدر قليلا فقال الدليل قد قام على ان القدرة الحادثة
لا تصلح للايجاد لكن ليست تقتصر صفات الفعل او وجوهه واعتباراته
على جهة الحدوث فقط بل لها هنا وجوه اخر وراء الحدوث من كون
الجوهر جوهرا متحيزا قابلا للعرض ومن كون العرض عرضا ولونا وسوادا
وغير ذلك وهذه احوال عند مثبتي الاحوال قال فجهة كون الفعل حاصلا
بالقدرة الحادثة او تحتها نسبة خاصة يسمى ذلك كسبا وذلك هو اثر
القدرة الحادثة قال فاذا جاز على اصل المعتزلة ان يكون تاثير القدرة
او القادرية القديمة في حال هو الحدوث والوجود او في وجه من
وجوه الفعل فلم لا يجوز ان يكون تاثير القدرة الحادثة في حال هو
صفة للحادث او في وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلا على
هيئة مخصوصة وذلك ان المفهوم من الحركة مطلقا ومن العرض

مطلقا غير والمفهوم من القيام والعقود غير وهما حالتان متمايزتان
فان كل قيام حركة وليس كل حركة قياما ومن المعلوم ان الانسان
يفرق فرقا ضروريا بين قولنا اوجد وبين قولنا صلى وصام وقعد
وقام وكما لا يجوز ان يضاف الى الباري تعالى جهة ما يضاف الى العبد
فكذلك لا يجوز ان يضاف الى العبد جهة ما يضاف الى الباري تعالى
فاثبت القاضي تاثير القدرة الحادثة واثرها هي الحالة الخاصة وهي
جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل
وتلك الجهة هي المتعينة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان
الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصا
على اصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التي تقابل بالجزاء
والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث
هو موجود ليس بحسن ولا قبيح قال فاذا جاز لكم اثبات صفتين
هما حالتان جاز لي اثبات حالة هي متعلقة القدرة الحادثة ومن
قال هي حالة مجهولة فبينا بقدر الامكان جهتها وعرفناها ايش هي
ومثلناها كيف هي ثم ان امام الحرمين ابا المعالي الجويني قدس الله
روحه تخطى عن هذا البيان قليلا قال اما نفي القدرة والاستطاعة
مما يابا العقل والحس واما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهي كنفي
القدرة اصلا واما اثبات تاثير في حالة لا تعقل كنفي التاثير خصوصا
والاحوال على اصلهم لا توصف بالوجود والعدم فلا بد اذا من نسبة
فعل العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه الاحداث والخلق فان الخلق
يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار
يحس من نفسه ايضا عدم الاستقلال فالفعل يستند وجودا الى
القدرة والقدرة تستند وجودا الى سبب آخر يكون نسبة القدرة
الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة وكذلك يستند سبب الى
سبب حتى ينتهي الى مسبب الاسباب فهو الخالق للاسباب ومسبباتها
المستغني على الاطلاق فان كل سبب مستغن من وجه محتاج من وجه
والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر وهذا
الراي انما اخذه من الحكماء الالهيين وابرزه في معرض الكلام وليس
يختص نسبة السبب الى السبب على اصلهم بالفعل والقدرة بل

كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمه وحينئذ يلزم القول بالطبع
وتاثير الاجسام في الاجسام ايجادا وتاثير الطبائع في الطبائع احداثا
وليس ذلك مذهب الاسلاميين كيف ورأى المحققين من الحكماء ان
الجسم لا يؤثر في ايجاد الجسم قالوا الجسم لا يجوز ان يصدر عن جسم
ولا عن قوة ما في جسم فان الجسم مركب من مادة وصورة فلو اثر
لاثر من جهتيه اعني بمادته وصورته والمادة لها طبيعة عدمية فلو
اثرت لاثرت بمشاركة العدم والثاني محال فالمقدم اذا محال فنقيضه
حق وهو ان الجسم وقوة ما في جسم لا يجوز ان يؤثر في جسم ونخطى من
هو اشد تحققا واغوص تفكرا عن الجسم وقوة في الجسم الى كل ما هو جائز
بذاته فقال كل ما هو جائز بذاته لا يجوز ان يحدث شيئا ما فانه لو احدث
لاحدث بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلى الجائز وذاته
كان عدما فلو اثر الجواز بمشاركة العدم لادى الى ان يؤثر العدم في الوجود
وذلك محال فاذا لا يوجد على الحقيقة الا واجب الوجود بذاته وما سواه
من الاسباب معدات لقبول الوجود لا محدثات لحقيقة الوجود ولهذا
شرح سنذكره فمن العجب ان ماخذ كلام الامام ابي المعالي اذا كان
بهذه المثابة فكيف يمكن اضافة الفعل الى الاسباب حقيقة هذا
ونعود الى صاحب المقالة قال ابو الحسن الاشعري اذا كان الخالق على
الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره فاخص وصفه تعالى
هو القدرة على الاختراع قال وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله وقال
ابو اسحاق الاسفرائيني اخص وصفه وهو كون يوجب تميزه على
الاكوان كلها وقال بعضهم نعم يقينا ان ما من موجود الا ويتميز
عن غيره بامر ما والا فيقتضي ان تكون الموجودات كلها مشتركة
متساوية والباري تعالى موجود فيجب ان يتميز عن سائر الموجودات
باخص وصف الا ان العقل لا ينتهي الى معرفة ذلك الاخص ولم يرد
به سمع فيتوقف ثم هل يجوز ان يدركه العقل ففيه خلاف ايضا وهذا
قريب من مذهب ضرار غير ان ضرارا اطلق لفظ الماهية وهو من حيث
العبارة منكر ومن مذهب الاشعري ان كل موجود فيصح ان يرى
فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والباري تعالى موجود فيصح ان
يرى وقد ورد في السمع بان المؤمنين يرونه في الاخرة قال الله تعالى

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الى غير ذلك من الايات والاخبار
قال ولا يجوز ان يتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة
واتصال شعاع او على سبيل انطباع فان ذلك مستحيل وله قولان
في ماهية الرؤية احدهما انه علم مخصوص ويعني بالمخصوص انه يتعلق
بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضي
تاثيرا في المدرك ولا تاثيرا عنه واثبت السمع والبصر للباري تعالى
صفتين هما ادراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل
واحد بشرط الوجود واثبت اليدين والوجه صفات جبرية فنقول
ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد ووصفوه الى طريقة السلف
من ترك التعرض للتاويل وله قول ايضا في جواز التاويل ومذهبه
في الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة
من كل وجه قال الايمان هو التصديق بالقلب واما القول باللسان
والعمل على الاركان ففروعه فمن صدق بالقلب اي اقر بوحدانية
الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به من عند الله
تعالى بالقلب صح ايمانه حتى لو مات في الحال كان مؤمنا ناجيا ولا
يخرج من الايمان الا بانكار شيء من ذلك وصاحب الكبيرة اذا خرج
من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى اما ان يغفر له برحمته
واما ان يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز
ان يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع من اخراج من كان في قلبه
ذرة من الايمان قال ولو تاب لا اقول بانه يجب على الله قبول توبته بحكم
العقل اذ هو الموجب فلا يجب عليه شيء بل ورد السمع بقبول توبة
التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم
النار لم يكن جورا اذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف او وضع
الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب
اليه جور قال والواجبات كلها سمعية والعقل ليس يوجب شيئا ولا
يقتضي تحسينا وتقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع
تجب قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذلك شكر

المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ولا
يجب على الله تعالى شئ ما بالعقل لا الصلاح ولا الاصلح ولا اللطف
وكل ما يقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضي نقيضه من وجه
آخر واصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى اذ لم يرجع اليه نفع
ولا اندفع به عنه ضر وهو قادر على مجازاة العبيد ثوابا وعقابا
وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا والثواب والتفضل
والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله عدل
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة
لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد الانبعاث تاييدهم بالمعجزات
وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات اذ لا بد من طريق للمستمع
يسلكه فيعرف به صدق المدعي ولا بد من ازاحة العلل فلا يقع في
التكليف تناقض والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي
سليم عن المعارضة فينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة
وهو منقسم الى خرق المعتاد والى اثبات غير المعتاد والكرامات
للاولياء حق وهي من وجه تصديق للانبياء وتاكيد للمعجزات والايمان
والطاعة بتوفيق الله تعالى والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق
عنده خلق القدرة على الطاعة والخذلان خلق القدرة على المعصية وعند
بعض اصحابنا تيسير اسباب الخير هو التوفيق وبضده الخذلان وما
ورد به السمع من الاخبار عن الامور الغائبة مثل القلم واللوح
والعرش والكرسي والجنة والنار فيجب اجراؤها على ظاهرها والايمان
بها كما جاءت اذ لا استحالة في اثباتها وما ورد من الاخبار عن الامور
المستقبلة في الاخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه ومثل
الميزان والحساب والصراط وانقسام الفريقين فريق في الجنة وفريق
في السعير حق يجب الاعتراف به واجراؤها على ظاهرها اذ لا استحالة
في وجودها والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة خير
العرب بين السيف وبين المعارضة فاختار والاشد القسمين اختيار
عجز عن المقابلة ومن اصحابه من اعتقد ان الاعجاز في القرآن من جهة
صرف الدواعي وهو المنع من المعتاد ومن جهة الاخبار عن الغيب
وقال الامامية تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين اذ لو

كان نص ثم لما خفي والدواعي تتوفر على نقله واتفقوا في سقيفة
بني ساعدة على ابي بكر رضي الله عنه ثم اتفقوا على عمر بعد تعيين ابي
بكر رضي الله عنهما واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضي الله عنه واتفقوا
بعده على علي رضي الله عنه وهم مترتبون في الفضل ترتيبهم في الامامة
وقال لا نقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطا
وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول في معاوية
وعمرو بن العاص الا انهما بغيا على الامام الحق فقاتلهم على مقاتلة
اهل البغي واما اهل النهر فهم الشراة المارقون عن الدين بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم ولقد كان علي عليه السلام على الحق في جميع احواله
يدور الحق معه حيث دار المشبهة ان السلف من اصحاب الحديث
لما رأوا ما دخل المعتزلة في علم الله ومخالفة السنة التي عهدوها من
الائمة الراشدين ونصرهم جماعة من بني امية على قولهم بالقدر
وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن
تحيروا في تقرير مذهب اهل السنة والجماعة في متشابهات آيات
الكتاب واخبار النبي صلى الله عليه وسلم فاما احمد بن حنبل وداود
ابن علي الاصفهاني وجماعة من ائمة السلف فجروا على مناهج السلف
المتقدمين عليهم من اصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل بن
سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة
ولا نتعرض للتاويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئا
من المخلوقات وان كل ما يتمثل في اوهامنا فالله تعالى وتقدس بخلافه وكانوا
يحترزون من التشبيه الى غاية فقالوا اذا سمعنا حديث اليد عند قراءة ترى خلقت
بيدي او اشار باصبعه عند رواية قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن وجب قطع يده ورفع اصبعه وقالوا انما توقفنا في
تفسير الآية وتاويلها لامرين احدهما المنع الوارد في المتشابهين في قوله
تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا فنحن نحترز من الزيغ والثاني ان التاويل
امر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الباري تعالى بالظن غير
جائز فربما اولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقفنا في الزيغ بل

نقول كما قال الراسخون في العلم كل من عند ربنا آمنا بظاهره وصدقنا
بباطنه ووكلنا علمه الى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك اذ ليس
من شرائط الايمان واركانه واحتاط بعضهم اكثر احتياط حتى لم يفسر اليد
بالقادرية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل ان
احتاج في ذكرها الى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ فهذا هو طريق
السلامة وليس هو من التشبيه في شيء غير ان جماعة من الشيعة الغالية
وجماعة من اصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين
من الشيعة ومثل مضر وكهمس واحمد الهجيمي وغيرهم من اهل الشيعة
قالوا معبودهم صورة ذات اعضاء وابعاض اما روحانية او جسمانية
يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن فاما
مشبهة الشيعة فسنأتي مقالاتهم في باب الغلاة واما مشبهة الحشوية
فذكر الاشعري عن محمد بن عيسى انه حكى عن مضر وكهمس واحمد الهجيمي
انهم اجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان المخلصين من المسلمين
يعانقونه في الدنيا والآخرة اذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد الى حد
الاخلاص والاتحاد المحض وحكى الكعبي عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية
في الدنيا يزوره ويزورهم وحكى عن داود الجواري انه قال اعفوني عن
الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك وقال ان معبودهم جسم ولحم
ودم وله جوارح واعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين
واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء
وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه
شيء وحكى عنه انه قال هو أجوف من اعلاه الى صدره مصمت ما سوى
ذلك وان له وفرة سوداء وله شعر قطط واما ما ورد في التنزيل من
الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير
ذلك فاجروها على ظاهرها امنوا بما يفهم عند الاطلاق على الاجسام
وكذلك ما ورد في الاخبار من الصورة في قوله عليه السلام خلق آدم
على صورة الرحمن وقوله حتى يضع الجبار قدمه في النار وقوله قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله خمر طينة آدم بيده اربعين
صباحا وقوله وضع يده او كفه على كتفي وقوله حتى وجدت برد انامله
على كتفي الى غير ذلك اجروها على ما يتعارف في صفات الاجسام

وزادوا في الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبي عليه السلام
واكثرها مقتبسة من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت
عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وان
العرش ليأط من تحته كاطيط الرحل الجديد وانه ليفضل من كل جانب
اربعة اصابع وروى المشبهة عن النبي عليه السلام انه قال لقيني
ربي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد انامله
وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن ان الحروف والاصوات والرقوم
المكتوبة قديمة ازلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا
فيه باخبار منها ما روى عن النبي عليه السلام ينادي الله تعالى يوم
القيامة بصوت يسمعه الاولون والآخرون وروا ان موسى عليه السلام
كان يسمع كلام الله كجر السلاسل وقالوا اجمعت السلف على ان القرآن
كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله ولا نعرف من
القرآن الا ما هو بين اظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرأه ونكتبه والمخالفون
اما المعتزلة فوافقونا على ان هذا الذي في ايدينا كلام الله وخالفونا
في القدم وهم محجوجون ايضا باجماع الامة واما الاشعرية فوافقونا
على ان القرآن قديم وخالفونا في ان الذي في ايدينا ليس في الحقيقة كلام
الله وهم محجوجون ايضا باجماع الامة ان المشار اليه هو كلام الله فاما
اثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالى لا نبصرها ولا نكتبها
ولا نقرأها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه فنحن نعتقد
ان ما بين الدفتين كلام الله انزله على لسان جبريل عليه السلام فهو
المكتوب في المصاحف وهو في اللوح المحفوظ وهو الذي يسمعه المؤمنون
في الجنة من الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى
سلام قولا من رب رحيم وهو قوله تعالى لموسى اني انا الله رب العالمين
وهناجاته من غير واسطة حين قال وكلم الله موسى تكليما قال واني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وروى عن النبي عليه السلام
انه قال ان الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق
آدم بيده وفي التنزيل وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا
لكل شيء قالوا فنحن لا نزيد من انفسنا شيئا ولا نتدارك بعقولنا امرا
لم يتعرض له السلف قالوا واما بين الدفتين كلام الله قلنا هو كذلك

واستشهد واعليه بقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره
حتى يسمع كلام الله ومن المعلوم انه ما سمع الا هذا الذى نقراه وقال
انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب
العالمين وقال فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام
برررة وقال انا انزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى انزل فيه
القرآن الى غير ذلك من الآيات ومن المشبهة من مال الى مذهب الحلولية
وقال يجوز ان يظهر البارى تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه
السلام ينزل فى صورة اعرابى وقد تمثل لمريم عليها السلام بشرا
سويا وعليه حمل قول النبى صلى الله عليه وسلم لقيت ربى فى احسن
صورة وفى التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال
لى كذا والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ثم الحلول قد يكون بجزء
وقد يكون بكل على ما سيأتى تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالى

من ذلك

الكرامية اصحاب ابى عبد الله محمد بن كرام وانما عددناه من الصفاتية
فانه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهى فيها الى التجسيم والتشبيه
وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه الى اهل السنة وهم طوائف يبلغ
عددهم الى اثنى عشر فرقة واصولها ستة العابدية والنونية والزرينية
والاسحاقية والواحدية واقربهم الصيصمية ولكل واحد منهم رأى الا
انه لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء اغتام جاهلين
فلم نفردها مذهبا واوردنا مذهب صاحب المقالة واشرنا الى
ما يتفرع منه نص ابو عبد الله على ان معبوده على العرش استقرارا
وعلى انه بجهة فوق ذاتا واطلق عليه اسم الجوهر فقال فى كتابه المسمى
عذاب القبر انه احدى الذات احدى الجواهر وانه مماس للعرش من
الصفحة العليا وجوز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه
على بعض اجزاء العرش وقال بعضهم امتلأ العرش به وصار المتاخرون
منهم الى انه تعالى بجهة فوق ومحاز للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية
ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر
لاتصلت به وقال محمد بن الصيصم ان بينه وبين العرش بعدا لا يتناهى
وانه مباين للعالم بينونة ازلية ونفى التحيز والمحازاة واثبت الفوقية
والمباينة واطلق اكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا

يعني بكونه جسما انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على
هذا ان كل حكم على القائمين بانفسهما ان يكونا متحاورين او متباينين
فقضى بعضهم بالتحاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين وربما قالوا
كل موجودين فاما ان يكون احدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر واما
ان يكون بجهة منه والباري تعالى ليس بعرض اذ هو قائم بنفسه فيجب
ان يكون بجهة من العالم ثم اعلى الجهات واشرفها جهة فوق فقلنا هو
بجهة فوق بالذات حتى اذا رأى رأى من تلك الجهة ثم لهم اختلاف في النهاية
فمن المجسمة من اثبت النهاية له من ست جهات ومنهم من اثبت النهاية
من جهة تحت ومنهم من انكر النهاية فقال هو عظيم ولهم في معنى العظمة
خلاف فقال بعضهم معنى عظمته انه مع وحدته على جميع اجزاء العرش
والعرش تحته وهو فوق كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه وقال
بعضهم معنى عظمته انه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة اكثر من واحد
وهو يلاقي جميع اجزاء العرش وهو العلي العظيم ومن مذهبهم جميعا
قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى ومن اصلهم ان ما يحدث
في ذاته انما يحدث بقدرته وما يحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة
الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين في ذاته بقدرته
من الاقوال والارادات ويعنون بالمحدث ما باين ذاته من الجواهر
والاعراض فيفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد
وكذلك بين الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق يقع
في ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته
بالقدرة وزعموا ان في ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الامور
الماضية والآتية والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام والقصص والوعد
والوعيد والاحكام ومن ذلك التسمعات والتبصرات فيما يجوز ان يسمع
ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والارادة وذلك قوله كن للشيء الذي
يريد كونه وارادته لوجود ذلك الشيء وقوله للشيء كن صورتان وفسر محمد
ابن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار قال وذلك مشروط
بالقول شرعا اذ ورد في التنزيل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وعلى قول
الاكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والارادة ثم اختلفوا في التفصيل

فقال

فقال بعضهم لكل موجود ايجاد ولكل معدوم اعدام وقال بعضهم ايجاد
واحد يصلح لموجدين اذا كانا من جنس واحد واذا اختلف الجنس تعدد
الايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود او كل جنس الى ايجاد فليفتقر
كل ايجاد الى قدرة فالزم تعدد القدرة تعدد الايجاد قال بعضهم ايضا
بتعدد القدرة بتعدد الاجناس المحدثات واكثرهم على انها تتعدد بتعدد اجناس
الحوادث التي تحدث في ذاته من الكاف والنون والارادة والتسمع والتبصر
وهي خمسة اجناس ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر
ومنهم من اثبت لله تعالى السمع والبصر ازلا والتسمعات والتبصرات
هي اضافة المدركات اليهما وقد اثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة
باصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته واثبتوا ارادات حادثة
يتعلق بتفاصيل المحدثات واجمعوا على ان الحوادث لا توجب لله تعالى
وصفا ولا هي صفات له فتحدث في ذاته هذه الحوادث من الاقوال
والارادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلا ولا مريدا ولا
سميعا ولا بصيرا ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا وانما
هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد بمريديته وذلك قدرته على
هذه الاشياء ومن اصلهم ان الحوادث التي يحدثها في ذاته واجب
البقاء حتى يستحيل عدمها اذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته
الحوادث ولشاركت الجوهر في هذه القضية وايضا فلو قدر عدمها فلا
يخلو اما ان يقدر عدمها بالقدرة واما باعدام يخلقه في ذاته ولا يجوز
ان يكون عدمها بالقدرة لانه يؤدي الى ثبوت المعدوم في ذاته وشرط
الموجد والمعدم ان يكونا مثنايين لذاته ولو جاز وقوع معدم في ذاته
بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعدومات ثم
يجب طرد ذلك في الموجد حتى يجوز وقوع موجد محدث في ذاته وذلك
محال عندهم ولو فرض انعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام
فيتسلسل فاركبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته
ومن اصلهم ان المحدث انما يحدث في ثاني حال ثبوت الاحداث بلا فصل
ولا اثر للاحداث في حال بقائه ومن اصلهم ان ما يحدث في ذاته من
الامر فمنقسم الى امر التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والى ما
ليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهي التكليف

وهي افعال من حيث دلت على القدرة ولا يقع تحتها مفعولات هذا هو
تفصيل مذاهبهم في محل الحوادث وقد اجتهد ابن الهيصم في ارغام
مقالة ابي عبد الله في كل مسئلة حتى ردها من المحال الفاحش الى
نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فانه اراد بالجسم القائم بالذات
ومثل الفوقية فانه حملها على العلو واثبت البينونة الغير المتناهية
وذلك الخلاء الذي اثبتها بعض الفلاسفة ومثل الاستواء فانه نفى المجاورة
والمماسة والتمكن بالذات غير مسئلة محل الحوادث فانها ما قبلت المرمة
فالتزمها كما ذكرنا وهي من اشنع المحالات عقلا وعند القوم ان الحوادث
تزيد على عدد المحدثات بكثير فيكون في ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من
الحوادث وذلك محال شنيع ومما اجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم
الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة شاء بمشيئة وجميع هذه
الصفات قديمة ازلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما اثبته
الاشعري وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به وقالوا اليد
لا كالايدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق دون
سائر الجهات وزعم ابن الهيصم ان الذي اطلقه المشبهة على الله عز وجل
من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة
ونحو ذلك لا يشبه سائر ما اطلقه الكرامية من انه خلق ادم بيده وانه
استوى على عرشه وانه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق وذلك انا
لا نعتقد من ذلك شيئا على معنى فاسد من جارحتين وعضوين تفسيرا
لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للاستواء
ولا تردد في الاماكن التي تحيط به تفسيرا للمجيء وانما ذهبنا في ذلك
الى اطلاق ما اطلقه القرآن فنقطع من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به
القرآن والخبر فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال
الباري تعالى عالم في الازل بما سيكون على الوجه الذي سيكون وشاء
لتنفيذ علمه في معلوماته فلا ينقلب علمه جهلا ومريد لما يخلق في الوقت
الذي يخلق بارادة حادثة وقائل لكل ما يحدث يقوله كن حتى يحدث
وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق وقال نحن
نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى وانه اراد الكائنات كلها
خيرها وشرها وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعبد

فعلا بالقدرة الحادثة تسمى ذلك كسبا والقدرة الحادثة مؤثرة فى اثبات
فائدة زائدة على كونه مفعولا مخلوقا للبارى تعالى تلك الفائدة هى
مورد التكليف والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب واتفقوا على ان
العقل يحسن ويقبح قبل الشرع وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما
قالت المعتزلة الا انهم لم يشترطوا رعاية الصلاح والاصلح واللطف
عقلا كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون
التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا
فيما يرجع الى احكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع الى احكام الآخرة والجزا
فالمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الابدى
فى الآخرة وقالوا فى الامامة انها تثبت باجماع الامة دون النص
والتعيين كما قال اهل السنة الا انهم قالوا يجوز عقد البيعة لامامين
فى قطرين وعرضهم اثبات امامة معاوية بالشام باتفاق جماعة من
الصحابة واثبات امامة امير المؤمنين على بالمدينة والعراقيين باتفاق
جماعة من الصحابة وراوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام
الشرعية قتالا على طلب قتلة عثمان رضى الله عنه واستقلالا بمال
بيت المال ومذهبهم الاصلى اتهام على رضى الله عنه فى الصبر على
ماجرى مع عثمان رضى الله عنه والسكوت عنه وذلك عرق نزع *
الخوارج من ذلك والمرجئة والوعيدية كل من خرج على الامام الحق الذى
اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج فى ايام الصحابة
على الائمة الراشدين او كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة
فى كل زمان والمرجئة صنف آخر تكلموا فى الايمان والعمل الا انهم وافقوا
الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالامامة والوعيدية داخلة فى
الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده فى النار وقد ذكرنا
مذاهبهم فى اثناء مذاهب الخوارج اعلم ان اول من خرج على
امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب
صفين واشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الاشعث بن قيس ومسعود
ابن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى حين قالوا القوم يدعوننا
الى كتاب الله وانت تدعونا الى السيف حتى قال انا اعلم بما فى كتاب الله
انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله وانتم

تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعن الاشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان فاضطر الى رد الاشتر بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم الا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الاشتر امره وكان من امر الحكمين ان الخوارج حملوه على التحكيم اولا وكان يريد ان يبعث عبد الله بن عباس فما رضي الخوارج بذلك وقالوا هو منك فحملوه على بعث ابي موسى الاشعري على ان يحكما بكتاب الله تعالى فجرى الامر على خلاف ما رضي به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا لم حكمت الرجال لاحكم الا لله وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة والبيهسية فرؤسهم ويجمعهم القول بالتبري عن عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ويكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا المحكمة الاولى هم الذين خرجوا على امير المؤمنين علي عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكوا وعتاب بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية وكانوا يومئذ في اثني عشر الف رجل اهل صيام وصلاة اعني يوم النهروان وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم يحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم وصوم احدكم في جنب صيامهم ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم وهم المارقة الذين قال فيهم سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين اولهم ذو الخويصرة واخرهم ذو الثدية وانما خروجهم في الزمن الاول على امرين احدهما بدعتهم في الامامة اذ جوزوا ان تكون الامامة في غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله او قتله وهم اشد الناس قولا بالقياس وجوزوا ان لا يكون في العالم امام اصلا وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبدا او حرا او نبطيا او قرشيا والبدعة الثانية انهم قالوا الخطأ علي في التحكيم اذ حكم الرجال لا حكم الا لله تعالى وقد كذبوا على علي

عليه

عليه السلام من وجهين احدهما فى التحكيم انه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم والثانى ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الحاكمون فى هذه المسئلة وهم رجال ولذا قال عليه السلام كلمة حق اريد بها باطل وتخطئوا عن التخطئة الى التكفير ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين واغتنم اموالهم وما سبى ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين وما اغتنم اموالهم ولا سبى ثم رضى بالتحكيم وقاتل مقاتلة المارقين واغتنم اموالهم وسبى ذراريهم وطعنوا فى عثمان للاحداث التى عدوها عليه وطعنوا فى اصحاب الجمل واصحاب صفين فقاتلهم على عليه السلام بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم الا اقل من عشرة وما قتل من المسلمين الا اقل من عشرة فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل موزون باليمن وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم وبقيت الى اليوم واول من بويع بالامامة من الخوارج عبد الله بن وهب الراسبى فى منزل زيد بن حصين بايعه عبد الله بن الكوا وعروة بن جرير وزيد بن عاصم المحاربى وجماعة معهم وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقبلهم ويومى الى غيرهم تحرزا فلم يقنعوا الا به وكان يوصف برأى ونجدة فتبرأ من الحكمين وممن رضى بقولهما وصوب امرهما وكفروا امير المؤمنين عليا عليه السلام وقالوا انه ترك حكم الله وحكم الرجال وقيل ان اول من تلفظ بهذا رجل من بنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم يقال له الجراح بن عبد الله يلقب بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على اليته لما سمع بذكر الحكمين وقال التحكم فى دين الله لا حكم الا لله تحكم بما حكم القرآن به فسمعها رجل فقال طعن والله فانفذ فسموا المحكمة بذلك ولما سمع امير المؤمنين على عليه السلام هذه الكلمة قال كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة او فاجرة ويقال ان اول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن اذينة وذلك انه اقبل على الاشعث فقال ما هذه الدنية يا اشعث وما هذا التحكيم اشرط اوثق من شرط الله تعالى ثم شهر السيف والاشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رأى ذلك الاحنف مشى هو واصحابه الى الاشعث فسألوه الصفح ففعل

وعروة بن اذينة نجا بعد ذلك من حرب النهروان وبقي الى ايام معاوية
ثم اتى الى زياد بن ابيه ومعه مولى له فساله زياد عن ابى بكر وعمر فقال
فيهما خيرا وساله عن عثمان فقال كنت اتوالى عثمان على احواله فى خلافته
ستة سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للاحداث التى احدثها وشهد عليه
بالكفر فساله عن امير المؤمنين على كرم الله وجهه فقال اتوالاه الى
ان حكم ثم اتبرا منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر فساله عن معاوية
فسبه سبا قبيحا ثم ساله عن نفسه فقال اولك لزنية وآخرك لدعوة
وانت فيما بينهما بعد عاص ربك فامر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه
وقال له صف لى امره واصدق فقال اطنب ام اختصر فقال بل اختصر
فقال ما اتيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط هذه
معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده الازارقة اصحاب ابى
راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز
فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان فى ايام
عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى وكان مع نافع من
امراء الخوارج عطية بن الاسود الحنفى وعبد الله بن ماخون واخواه
عثمان والزبير وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة
ابن هلال اليشكرى واخوه محرز بن هلال وصخر بن حنيا التميمى وصالح
ابن مخراق العبدى وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير فى زهاء ثلاثين
الف فارس ممن يرى رايهم ويخرط فى سلكهم فانفذ اليه عبيد الله بن
الحرث بن نوفل النوفلى بساحب جيشه مسلم بن عنبس بن كوثر بن
حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم ايضا عثمان بن عبد
الله بن معمر التيمى فهزموه فاخرج اليهم حارثة بن بدر العتابى فى جيش
كثير فهزموه وخشى اهل البصرة على انفسهم وبلدهم من الخوارج فاخرج
اليهم المهلب بن ابى صفرة فبقى فى حرب الازارقة تسع عشرة سنة الى
ان فرغ من امرهم فى ايام الحجاج ومات نافع قتيل وقائع المهلب مع الازارقة
وبايعوا بعده قطرى بن الفجاءة وسموه امير المؤمنين وبدع الازارقة
ثمانية احداها انه كفر عليا عليه السلام وقال ان الله انزل فى شانه
ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه
وهو الد الخصام وصوب عبد الله بن ملجم لعنه الله وقال ان الله

انزل

انزل فى شانه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقال
عمران بن حصان وهو مفتى الخوارج وزاهدها وشاعرها الاكبر فى تصويبه
ابن ملجم لعنه الله * يا ضربة من متيب ما اراد بها * الا ليبلغ من ذى
العرش رضوانا * انى لاذكره يوما فاحسبه * اوفى البرية عند الله
ميزانا * وعلى هذه البدعة مضت الازارقة وزادوا عليه تكفير عثمان
وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم وسائر
المسلمين معهم وتخليدهم فى النار والثانية انه كفر القعدة وهو اول
من اظهر البراءة من القعدة على القتال وان كان موافقا على دينه وكفر
من لم يهاجر اليه والثالثة اباحته قتل اطفال المخالفين والنسوان
والرابعة اسقاطه الرجم عن الزانى اذ ليس فى القرآن ذكره واسقاطه
حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف
المحصنات من النساء الخامسة حكمه بان اطفال المشركين فى النار
مع آبائهم السادسة ان التقية غير جائزة فى قول ولا عمل السابعة
تجويزه ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان
كافرا قبل البعثة والكبائر والصغائر اذا كانت بمثابة عنده وهى
كفر وفى الامة من جوز الكبائر والصغائر على الانبياء عليهم السلام
فهى كفر الثامنة اجتمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من
الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا فى
النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر ابليس لعنه الله وقالوا اما ارتكب
الا كبيرة حيث امر بالسجود لآدم فامتنع والا فهو عارف بوحدانية
الله تعالى النجدات العاذرية اصحاب نجدة بن عامر الحنفى وقيل
عاصم وكان من شانه انه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق
بالازارقة فاستقبله ابو فديك وعطية بن الاسود الحنفى فى
الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فاخبروه بما احدثه نافع
من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحداث والبدع وبايعوا
نجدة وسموه امير المؤمنين ثم اختلفوا على نجدة فاكفره قوم منهم
لامور نقموها عليه منها انه بعث ابنه مع جيش الى اهل القطيف
فقتلوا وسبوا نساءهم وقسموها على انفسهم وقالوا ان صارت
قيمهن فى حصصنا فذاك والا رددنا الفضل ونكحوهن قبل

القسمة واكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا الى نجدة واخبروه
بذلك قال فلم يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم ان ذلك لا يسعنا
فعذرهم بجهالتهم واختلف اصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه
وعذر بالجهالات في الحكم الاجتهادي وقالوا الدين امران احدهما
معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين
يعنون موافقيهم والاقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على
الجميع والجهل به لا يعذر فيه والثاني ما سوى ذلك فالناس معذورون
فيه الى ان يقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام قالوا ومن خالف العذاب
على الاجتهاد المخطئ في الاحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر واستحل
نجدة بن عامر دماء اهل العهد والذمة واموالهم في دار التقية
وحكم بالبراءة ممن حرمها قال واصحاب الحدود من موافقيه لعل
الله تعالى يعفو عنهم وان عذبهم ففي غير النار ثم يدخلهم الجنة فلا
يجوز البراءة عنهم وقال من نظر نظرة او كذب كذبة صغيرة واصر
عليها فهو مشرك ومن زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير
مشرك وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا ولما كاتب عبد
الملك بن مروان واعطاه الرضا نقم عليه اصحابه فيه فاستتابوه
فاظهر التوبة فتركوا التقية عليه والتعرض له وندمت طائفة على
هذه الاستتابة وقالوا اخطأنا وما كان لنا ان نستتيب الامام
وما كان له ان يستتيب باستتابتنا اياه فتابوا عن ذلك واظهروا
الخطأ وقالوا له تب عن توبتك والا نابذناك فتاب من توبته وفارقه
ابو فديك وعطية ووثب عليه ابو فديك فقتله ثم برئ ابو فديك من
عطية وعطية من ابي فديك وانفذ عبد الملك بن مروان معمر بن عبد
الله بن معمر الى حرب ابي فديك فحاربه اياما فقتله ولحق عطية
بارض سجستان ويقال لاصحابه العطوية ومن اصحابه عبد الكريم
ابن عجرد زعيم العجاردة وانما قيل للنجدات العاذرية لانهم عذروا
بالجهالات في احكام الفروع وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية
جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النفس قال واجمعت
النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا
فيما بينهم فان راوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز

ثم افترقوا بعد نجدة الى عطوية وفديكية وبرئ كل واحد منهما عن صاحبه
بعد قتل نجدة وصارت الدار لابي فديك الا من تولى نجدة واهل سجستان
وخراسان وكرمان وقهستان من الخوارج على مذهب عطية وقيل كان
نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن
الزبير ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة فصار نافع الى البصرة ونجدة
الى اليمامة وكان سبب اختلافهما ان نافعا قال التقية لا تحل والقعود
عن القتال كفر واحتج بقول الله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله وبقوله تعالى يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقوله تعالى الا ان تتقوا منهم
تقاة وبقوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال
القعود جائز وايهما اذا امكنه افضل وفضل الله المجاهدين على
القاعدين اجرا عظيما وقال نافع هذا في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
حين كانوا مقهورين واما في غيرهم مع الامكان فالقعدة كفر لقوله
تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله البيهسية اصحاب ابي
بيهس الهيصم بن جابر وهو احد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج
طلبه ايام الوليد فهرب الى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزني
فظفر به وحبسه وكان يسامره الى ان ورد كتاب الوليد بان يقطع
يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك وكفر ابو بيهس ابراهيم وميمون
في اختلافهما في بيع الامة وكذلك كفر الواقفية وزعم انه لا يسلم احد
حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم والولاية لاولياء الله تعالى والبراءة من اعداء الله
فمن جملة ما ورد به الشرع مما حرم الله وجاء به الوعيد فلا يسعه
الا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز عنه ومنه ما ينبغي ان يعرف
باسمه ولا يضر ان لا يعرفه بتفسيره حتى يبتلى به وعليه ان يقف
عند ما لا يعلم ولا يأتي بشئ الا يعلم وبرئ ابو بيهس عن الواقفية
لقولهم انا نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم احلال واقع ام حرام
قال كان من حقه ان يعلم ذلك والايمان هو ان يعلم كل حق من باطل
وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ويحكى عنه انه
قال الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو احد الامرين دون الآخر

وعامة البيهسية على ان العلم والاقرار والعمل كله ايمان وذهب
قوم منهم الى ان ما يحرم سوى ما فى قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى
الى محرما على طاعم يطعمه وما سوى ذلك فكله حلال ومن البيهسية
قوم يقال لهم السونية وهم فرقتان فرقة تقول من رجع الى دار الهجرة
الى القعود برئنا منه وفرقة تقول بل نتولاهم لانهم رجعوا الى امر
كان حلالا لهم والفرقتان اجمعتا على ان الامام اذا كفر كفرت الرعية
الغائب منهم والشاهد ومن البيهسية صنف يقال لهم اصحاب التفسير
زعموا ان من شهد عن المسلمين شهادة اخذ بتفسيرها وكيفيتها وصنف
يقال لهم اصحاب السؤال قالوا ان الرجل يكون مسلما اذا شهد الشهادتين
وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة وان لم يعلم فيسال ما افترض
الله عليه ولا يضره ان لا يعلم حتى يبتلى به فيسال وان واقع حراما
لم يعلم تحريمه فقد كفر وقالوا فى الاطفال بقول الثعلبية ان اطفال
المؤمنين مؤمنون واطفال الكافرين كافرون ووافقوا القدرية
فى القدر وقالوا ان الله تعالى فوض الى العباد فليس لله فى اعمال
العباد مشيئة فبرئت منهم عامة البيهسية وقال بعض البيهسية
ان واقع الرجل حراما لم يحكم بكفره حتى يرفع امره الى الامام والوالى
ويجده وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور وقال بعضهم ان السكر اذا
كان من شراب حلال فلا يؤاخذ صاحبه بما قال فيه وفعل وقالت
العونية السكر كفر ولا يشهدون انه كفر ما لم ينضم اليه كبيرة اخرى
من ترك الصلاة او قذف المحصن ومن الخوارج اصحاب صالح بن
مسرح ولم يبلغنا عنه انه احدث قولا تميز به عن اصحابه فخرج على
بشر بن مروان فبعث اليه بشر بن الحارث بن عميرة او الاشعث بن
عميرة الهمدانى انفذه الحجاج لقتاله فاصابت صالح جراحة فى قصر
حلولا فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد الشيبانى ويكنى ابا الضحارى
وهو الذى غلب على الكوفة وقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين
اميرا امراء الجيوش ثم انهزم الى الاهواز وغرق فى نهر الاهواز وذكر
اليمان ان الشيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا اليه من
الوقف فى امر صالح ويحكى عنه انه برئ منه وفارقه ثم خرج يدعى
الامامة لنفسه ومذهب شبيب ما ذكرناه من مذهب البيهسية

الا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين مما لم يكن لخارج من الخوارج وقصته مذكورة فى التواريخ العجاردة اصحاب عبد الكريم ابن عجرد وافق النجدات فى بدعهم وقيل انه كان من اصحاب ابى يبيس ثم خالفه وتفرد بقوله يجب البراءة عن الطفل حتى يدعى الى الاسلام ويجب دعاؤه اذا بلغ واطفال المشركين فى النار مع آبائهم ولا يرى المال فيأ حتى يقتل صاحبه وهم يتولون القعدة اذا عرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لا فرضا ويكفرون بالكبائر ويحكى عنهم انهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ويزعمون انها قصة من القصص قالوا ولا يجوز ان يكون قصة العشق من القرآن ثم ان العجاردة افترقت اصنافا ولكل صنف مذهب على حياله الا انهم لما كانوا من جملة العجاردة اوردناهم على حكم التفصيل فى الجدول والضلع *

الصلتية اصحاب عثمان بن ابى الصلت والصلت بن ابى الصلت تفردوا عن العجاردة بان الرجل اذا اسلم تولياه وتبرانا من اطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الاسلام ويحكى عن جماعة * الميمونية اصحاب ميمون بن منهم انهم قالوا ليس لاطفال المشركين * خالد كان من جملة العجاردة الا انه والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا * تفرد عنهم باثبات القدر خيره فيدعوا الى الاسلام فيقروا او ينكروا * وشره من العبد واثبات الفعل الحمزية اصحاب حمزة بن ادرك واتفقوا * للعبد خلقا وابداعا واثبات الميمونية فى القدر وفى سائر بدعها * الاستطاعة قبل الفعل والقول الا فى اطفال مخالفيهم والمشركين * بان الله تعالى يريد الخير دون الشر فانهم قالوا هؤلاء كلهم فى النار وكان * وليس له مشيئة فى معاصى العباد حمزة من اصحاب الحصين بن الرقاد * وذكر الحسين الكرابيسى فى كتابه الذى خرج بسجستان من اهل اوق وخالفه * الذى حكى فيه مقالات الخوارج ان خلف الخارجى فى القول بالقدر واتفقا * الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات الرياسة فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه * وبنات اولاد الاخوة والاخوات وجوز حمزة اماميين فى عصر واحد مالم * وقال ان الله حرم نكاح البنات يجتمع الكلمة ولم يقهر الاعداء الخلفية * وبنات الاخوة والاخوات ولم اصحاب خلف الخارجى وهم خوارج * يحرم نكاح بنات اولاد هؤلاء كرمان وسكران خالفوا الحمزية فى القول * ويحكى الكعبى والاشعرى عن

بالقدر وامنافوا القدر خيره وشره * الميمونية انكارها كون سورة يوسف من
الى الله تعالى وسلكوا فى ذلك * القرآن وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده
مذهب السنة وقالوا الحمزية * ومن رضى بحكمه فاما من انكره فلا يجوز قتاله
ناقضوا حيث قالوا الوعذب * الا اذا اعان عليه او طعن فى دين الخوارج
الله العباد على افعال قدرها * او صاره ليلا السلطان واطفال الكفار منهم
عليهم او على ما لم يفعلوه كان * فى الجنة الاطرافية فرقة على مذهب حمزة
ظالما وقضوا بان اطفالـــ * فى القول بالقدر الا انهم عذروا اصحاب
المشركين فى النار ولا عمل لهم * الاطراف فى ترك ما لم يعرفوه من الشريعة
ولا شرك فهذا من اعجب * اذا اتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل
ما يعتقد من التناقض * واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية
الشعيبية اصحاب شعيب * ورئيسهم غالب بن شاذل من سجستان
ابن محمد وكان مع ميمون من * وخالفهم عبد الله السرنورى وتبرأ منهم
جملة المجاردة الا انه برئ منه * ومنهم المحمدية اصحاب محمد بن زرق وكان من
حين اظهر القول بالقدر قال شعيب * اصحاب الحصين ثم برئ منه الحازمية
ان الله خالق اعمال العباد * اصحاب حازم بن على على قول شعيب
والعبد مكتسب لها قدرة وارادة * فان الله تعالى خالق اعمال العباد ولا
مسئول عنها خيرا وشرا مجازى * يكون فى سلطانه الا ما يشاء وقالوا بالموقاة
عليها ثوابا وعقابا ولا يكون * وان الله تعالى انما يتولى العباد على ما علم
شئ فى الوجود الا بمشيئته * انهم صائرون اليه فى آخر امرهم من الايمان وتبرأ
الله تعالى وهو على بدع * منهم على ما علم انهم صائرون اليه فى آخر امرهم
الخوارج فى الامامة والوعيد * من الكفر وانه سبحانه لم يزل محبا الاولياء
وعلى بدع المجاردة فى حكم * مبغضا الاعداء ويحكى عنهم انهم يتوقفون
الاطفال وحكم القعدة * فى امر على عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة
والتولى والتبرى * عنه ويصرحون بالبراءة فى حق غيره

الثعالبة من ذلك اصحاب ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم بن عجرد
يدا واحدة الى ان اختلفا فى امر الطفل فقال ثعلبة انا على ولا يتهم صغارا
وكبارا حتى نرى منهم انكارا للحق ورضى بالجور فتبرأت المجاردة من ثعلبة
ونقل عنه ايضا انه قال ليس لهم حكم فى حال الطفولية من ولاية وعداوة
حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان انكروا كفروا وكان يرى اخذ

الزكوات من عبيدهم وقال انى لا ابرأ منه بذلك ولا ادع اجتهادى فى خلاف
وجوز ان يصير سهام الصدقة سهما واحدا فى حال التقية الرشيدية
اصحاب رشيد الطوسى ويقال لهم العشرية واصلهم ان الثعالبة كانوا
يوجبون فيما سقى بالانهار والقنى نصف العشر فاخبرهم زياد بن عبد الرحمن
ان فيها العشر ولا يجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا فقال
الرشيد ان لم يجز البراءة منهم فانا نعمل بما عملوا فافترقوا فى ذلك فرقتين
الشيبانية اصحاب شيبان بن سلمة الخارج فى ايام ابى مسلم وهو المعين
له ولعلى بن الكرمانى على نصر بن سيار وكان من الثعالبة فلما اعانهما
برئت منه الخوارج فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته فقالت الثعالبة لا تصح
توبته لانه قتل الموافقين لنا فى المذهب واخذ اموالهم ولا يقبل توبة من
قتل مسلما واخذ ماله الا بان يقتص من نفسه ويرد الاموال او توهب
له ذلك ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان فى
مذهبه الى الجبر ونفى القدرة الحادثة وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيبانى
ابى خالد انه قال ان الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علما وان الاشياء
انما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها وينقل عنه انه تبرأ من
شيبان وكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان
ونسا وارمنية والذى تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجانى واصحابه
المكرمية اصحاب مكرم بن عبد الله العجلى من جملة الثعالبة وتفرد عنهم
بان قال تارك الصلاة كافر لا من اجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى
وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الانسان وقال انما يكفر لجهله بالله تعالى
وذلك ان العارف بالله تعالى وانه المطلع على سره وعلانيته والمجازى
على طاعته ومعصيته لن يتصور منه الاقدام على المعصية والاجتراء
على المخالفة مالم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالى بالتكليف فيه وعن
هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن
ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الخبر وخالفوا الثعالبة فى هذا
القول وقالوا بايمان الموافاة والحكم بان الله تعالى انما يوالى عباده
ويعاديهم على ما هم صائرون اليه من موافاة الموت لا على اعمالهم التى هم
فيها فان ذلك ليس بموثوق به اصرارا عليه مالم يصل المرء الى آخر عمره
ونهاية اجله فحينئذ ان بقى على ما يعتقده فذلك هو الايمان فيوالى عليه

وان لم يبق فيطاد به وكذلك في حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه مآل الموافاة المعلومية والمجهولية كانوا في الاصل حازمية الا ان المعلومية قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك فيكون مؤمنا وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق العبد فبرئت منهم الحازمية واما المجهولية قالت من علم بعض اسمائه تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالى وقالت افعال العباد مخلوقة لله تعالى الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض الذي خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله ابن محمد بن عطية فقاتله بنبالة وقيل ان عبد الله بن يحيى الاباضي كان رفيقا له في جميع احواله واقواله وقال ان مخالفينا من اهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة اموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة لا بعد نصب القتال واقامة الحجة وقالوا ان دار مخالفيهم من اهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي واجازوا شهادة مخالفيهم على اوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر انهم موحدون لا مؤمنون وحكى الكعبي عنهم ان الاستطاعة عرض من الاعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وافعال العباد مخلوقة لله تعالى احداثا وابداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ولا يسمون اماتهم امير المؤمنين ولا انفسهم مهاجرين وقالوا العالم يفنى كله اذا فنى اهل التكليف قال واجمعوا على ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة وتوقفوا في اطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام واجازوا ان يدخلوا الجنة تفضلا وحكى الكعبي عنهم انهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال ابو الهذيل ثم اختلفوا في النفاق ايسمى شركا ام لا فقالوا ان المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين الا انهم ارتكبوا الكبائر فكفروا في الكبيرة لا بالشرك وقالوا كل شئ امر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد امر به المؤمن والكافر وليس في القرآن خصوص وقالوا لا يخلق الله تعالى شيئا الا دليلا على وحدانيته ولا بد ان يدل به واحدا * وقال قوم منهم يجوز ان يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل ويكلفنا العباد بما يوحى اليه ولا يجب عليه اظهار المعجزة ولا

يجب

يجب على الله تعالى ذلك الى ان يظهر دليلا ويخلق معجزة وهم جماعة
متفرقون فى مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة الحفصية منهم اصحاب
حفص بن ابى المقدام تميز عنهم بان قال ان بين الشرك والايمان
خصلة واحدة وهى معرفة الله تعالى وحده فمن عرفه ثم كفر بما
سواه من رسول او كتاب او قيامة او جنة او نار او ارتكب الكبائر
من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه برئ من الشرك الحارثية
اصحاب الحارث الاباضى خالف الاباضية فى قوله بالقدر على ما ذهب
المعتزلة وفى الاستطاعة قبل الفعل وفى اثبات طاعة لا يراد بها الله
تعالى اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة الذى قال يتولى الحكمة
الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم وزعم
ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب فى
السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله
عليه وسلم ويكون على ملة الصابية المذكورة فى القرآن وليست هى
الصابية الموجودة بحران وواسط وتولى يزيد من شهد المصطفى
عليه السلام من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل فى دينه وقال ان
اصحاب الحدود ومن موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او
كبير فهو شرك الصفرية الزيادية اصحاب زياد بن الاصفر خالفوا
الازارقة والنجدات والاباضية فى امور منها انهم لم يكفروا القعدة
عن القتال اذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم
ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم وقالوا التقية
جائزة فى القول دون العمل وقالوا ما لم كان من الاعمال عليه حد واقع
فلا يتعدى باهله الاسم الذى لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف
فيسمى زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا ومن كان من الكبائر مما ليس
فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فانه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك
منهم انه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون دار
العلانية ورأى زياد بن الاصفر جميع الصدقات سهما واحدا فى حال
التقية ويحكى عنه انه قال نحن مؤمنون عند انفسنا ولا ندرى لعلنا
خرجنا من الايمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان
وشرك هو عبادة الاوثان والكفر كفران كفر بالنعمة وكفر بانكار الربوبية

والبراءة براءتان براءة من اهل الحدود سنة وبراءة من اهل الجحود فريضة
ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين عكرمة وابو هارون
العبدى وابو الشعثاء واسماعيل بن سميع ومن المتاخرين اليمان بن
رباب ثعلبى ثم بيهسى وعبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل
اباضى ومن شعرائهم عمران بن حطان وحبيب بن جدرة صاحب الضحاك
ابن قيس ومنهم ايضا جهم بن صفوان وابو مروان غيلان بن مسلم ومحمد
ابن عيسى وبرغوث كلثوم بن حبيب المهلبى ابو بكر محمد بن عبد الله بن
شبيب البصرى على بن حرملة صالح قبة بن صبيح بن عمرو مونس بن عمران
البصرى ابو عبد الله بن مسلمة الفضل بن عيسى الرقاشى ابو زكريا يحيى
ابن اصفح ابو الحسين محمد بن مسلم الصالحى ابو محمد عبد الله بن محمد بن
الحسن الخالدى محمد بن صدقة ابو الحسين على بن زيد الاباضى ابو عبد
الله محمد بن الكرام كلثوم بن حبيب المرادى البصرى والذين اعتزلوا الى
جانب فلم يكونوا مع على رضى الله عنه فى حروبه ولا مع خصومه وقالوا
لا ندخل فى غمار الفتنة من الصحابة عبد الله بن عمر وسعد بن ابى وقاص
ومحمد بن مسلمة الانصارى واسامة بن زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال قيس بن ابى حازم كنت مع على فى جميع
احواله وحروبه حتى قال يوم صفين انفروا الى بقية الاحزاب انفروا
الى من يقول كذب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله
نعرفت ايش كان يعتقد فى الجماعة فاعتزلت عنه المرجية الارجاء
على معنيين احدهما التاخير قالوا ارجه واخاه اى امهله واخره والثانى
اعطاء الرجاء اما اطلاق اسم المرجية على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح
لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد واما بالمعنى الثانى فظاهر
لانهم كانوا يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة
وقيل الارجاء تاخير حكم صاحب الكبيرة الى القيامة فلا يقضى عليه
بحكم ما فى الدنيا من كونه من اهل الجنة او من اهل النار فعلى هذا المرجية
والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الارجاء تاخير على عليه السلام
عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا المرجية والشيعة فرقتان متقابلتان
والمرجية اصناف اربعة مرجية الخوارج ومرجية القدرية ومرجية الجبرية
والمرجية الخالصة ومحمد بن شبيب والصالحى والخالدى من مرجية القدرية

وانما نعد مقالات المرجية الخالصة اليونسية اصحاب يونس
النميري زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار
عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما
سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة
الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا
وزعم ان ابليس كان عارفا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه
ابى واستكبر وكان من الكافرين قال ومن تمكن في قلبه الخضوع لله والمحبة
له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وان صدرت منه معصية فلا
يضر بيقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله
وطاعته العبيدية اصحاب عبيد المكتب حكى عنه انه قال ما دون
الشرك مغفور لا محالة وان العبد اذا مات على توحيده لم يضره ما اقترف
من الآثام واجترح من السيئات وحكى اليمان عن عبيد المكتب واصحابه
انهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيئا غيره وان كلامه لم يزل شيئا
غيره وكذلك دين الله لم يزل شيئا غيره وزعم ان الله تعالى عن قولهم
على صورة انسان وحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم خلق آدم على
صورة الرحمن الغسانية اصحاب غسان بن الكوفي زعم ان الايمان
هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والاقرار بما انزل الله مما جاء به الرسول
في الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولا ينقص وزعم ان قائلا لو قال
اعلم ان الله قد حرم اكل الخنزير ولا ادري هل الخنزير الذي حرمه هذه
الشاة ام غيرها كان مؤمنا ولو قال ان الله قد فرض الحج الى الكعبة
غير اني لا ادري اين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان
امثال هذه الاعتقادات امور وراء الايمان لانه شاك في هذه الامور
فان عاقلا لا يستجيز من عقله ان يشك في ان الكعبة الى اي جهة وان
الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر ومن العجب ان غسان كان يحكي عن
ابي حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعده من المرجية ولعله كذب
ولعمري كان يقال لابي حنيفة واصحابه مرجية السنة وعده كثير من
اصحاب المقالات من جملة المرجية ولعل السبب فيه انه لما كان يقول
الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا به انه يؤخر العمل
عن الايمان والرجل مع تخرجه في العمل كيف يفتي بترك العمل ولم سبب

آخر وهو انه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجيا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد ان اللقب انما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج والله اعلم الثوبانية اصحاب ابي ثوبان المرجي الذين زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام وبكل ما لا يجوز في العقل ان يفعله وما جاز في العقل تركه فليس من الايمان واخرج العمل كله من الايمان ومن القائلين بمقالته ابو مروان غيلان بن مروان الدمشقي وابو شمر ومويس بن عمران والفضل الرقاشي ومحمد بن شبيب والعتابي وصالح قبة وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفي الامامة انها تصلح في غير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها وانها لا تثبت الا باجماع الامة والعجب ان الامة اجتمعت على انها لا تصلح لغير قريش وبهذا دفعت الانصار عن دعواهم منا امير ومنكم امير فقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القدر والارجاء والخروج والجماعة التي عددناهم اتفقوا على ان الله تعالى لو عفا عن عاص في القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله وان اخرج من النار واحدا اخرج من هو في مثل حاله ومن العجب انهم لم يجزموا القول بان المؤمنين من اهل التوحيد يخرجون لا محالة من النار ويحكى عن مقاتل ابن سليمان ان المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان وانه لا يدخل النار مؤمن والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصي يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحية على المقلاة الموجحة بالنار ونقل عن بشر بن عتاب المريسي انه قال ان ادخل اصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد ان عذبوا بذنوبهم واما التخليد فيها فمحال وليس بعدل وقيل ان اول من قال بالارجاء الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وكان يكتب فيه الكتب الى الامصار لانه ما اخرج العمل عن الايمان كما قالت المرجية اليونسية والعبيدية لكنه حكم بان صاحب الكبيرة لا يكفر بالطاعات وترك المعاصي ليست من اصل الايمان حتى يزول الايمان بزوالها التومنية اصحاب ابي معاذ التومني الذي زعم ان الايمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر ولو ترك خصلة واحدة منها كفر

ولا

ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية
صغيرة او كبيرة لم يجمع عليها المسلمون بانها كفر لا يقال لصاحبها
فاسق ولكن يقال فسق وعصى وقال تلك الخصال هي المعرفة
والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول قال
ومن ترك الصلاة والصيام مستخفا كفر وان تركها على نية القضاء
لم يكفر ومن قتل نبيا او لطمه كفر لا من اجل القتل واللطم ولكن
من اجل الاستخفاف والمداوة والبغض والى هذا المذهب ميل ابن
الروندي وبشر المريسي قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان
جميعا والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم
ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر الصالحية اصحاب صالح
ابن عمرو الصالحي ومحمد بن شبيب وابو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين
القدر والارجاء ونحن وان شرطنا ان نورد مذاهب المرجية الخالصة
الا اننا بدانا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجية باشياء فاما الصالحي
فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى على الاطلاق وهو ان للعالم
صانعا فقط والكفر هو الجهل به على الاطلاق قال وقول القائل
ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا من كافر وزعم ان معرفة الله
تعالى هو المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع جحد الرسول ويجب في
العقل ان يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله غير ان الرسول عليه السلام
قد قال من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى وزعم ان الصلاة
ليست بعبادة لله تعالى وانه لا عبادة الا الايمان به وهو معرفته
وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة
لا يزيد ولا ينقص واما ابو شمر المرجي القدري فانه زعم ان الايمان
هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به
انه واحد ليس كمثله شيء ما لم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلام
فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار
بما جاؤا به من عند الله غير داخل في الايمان الاصلي وليس كل خصلة
من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كلها ايمانا
وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره
من العبد من غير ان يضاف الى الباري تعالى منه شيء واما غيلان

ابن مروان من القدرية المرجية زعم ان الايمان هو المعرفة الثانية
بالله والمحبة والخضوع له والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من
عند الله والمعرفة الاولى فطرية ضرورية فالمعرفة على اصله نوعان
فطرية وهو علمه بان للعالم صانعا ولنفسه خالقا وهذه المعرفة
لا تسمى ايمانا انما الايمان هو المعرفة الثانية المكتسبة تتمة
رجال المرجية كما نقل الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب وسعيد
ابن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل
ابن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن ابي سليمان وابو حنيفة
وابو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهؤلاء كلهم ائمة
الحديث لم يكفروا اصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم
في النار خلافا للخوارج والقدرية الشيعة هم الذين شايعوا عليا
عليه السلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية
اما جليا وخفيا واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده وان
خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده قالوا وليست الامامة
قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم
بل هي قضية اصولية هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام
اغفاله واهماله ولا تفويضه الى العامة وارساله ويجمعهم القول
بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الائمة وجوبا عن الكبائر
والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقدا الا في حال
التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعديد الامام
كلام وخلاف كثير وعند كل تعديد وتوقف مقالة ومذهب
وخبط وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة
واسمعيلية وبعضهم يميل في الاصول الى الاعتزال وبعضهم الى
السنة وبعضهم الى التشبيه الكيسانية اصحاب كيسان مولى
امير المؤمنين علي عليه السلام وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية
يعتقدون فيه اعتقادا بالغا من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه
من السيد بن الاسرار جملتها من علم التاويل والباطن وعلم الآفاق
والانفس ويجمعهم القول بان الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك
على تاويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج

وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول
الى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل
بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر
على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز ان يموت حتى يرجع ومن معد
حقيقة الامامة الى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن مدع حكم
الامامة وليس من الشجرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد ان
الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ونعوذ بالله من الحيرة والحور
بعد الكور المختارية اصحاب المختار بن عبيد كان خارجيا ثم صار
زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا قال بامامة محمد بن الحنفية بعد علي
وقيل لا بل بعد الحسن والحسين وكان يدعو الناس اليه ويظهر انه من
رجاله ودعاته ويذكر علوما مزخرفة ينوطها به ولما وقف محمد بن
الحنفية على ذلك تبرأ منه واظهر لاصحابه انه انما نمس على الخلق ذلك
ليتمشى امره ويجتمع الناس عليه وانما انتظم له ما انتظم بامرين
احدهما انتسابه الى محمد بن الحنفية علما ودعوة والثاني قيامه بثار
الحسين عليه السلام واشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين
اجتمعوا على قتل الحسين فمن مذهب المختار انه يجوز البدا على الله تعالى
والبدا له معان البدا في العلم وهو ان يظهر له خلاف ما علم ولا اظن
عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد والبدا في الارادة وهو ان يظهر له صواب
على خلاف ما اراد وحكم والبدا في الامر وهو ان يامر بشيء ثم يامر
بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في
الاوقات المختلفة متناسخة وانما صار المختار الى اختيار القول بالبدا
لانه كان يدعي علم ما يحدث من الاحوال اما بوحي يوحى اليه واما
برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد اصحابه بكون شيء وحدوث
حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وان لم
يوافق قال قد بدا لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبدا قال اذا
جاز النسخ في الاحكام جاز البدا في الاخبار وقد قيل ان السيد محمد
ابن الحنفية تبرا من المختار حين وصل اليه انه قد لبس على الناس انه
من دعاته ورجاله وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من
البداوات الفاسدة والمخاريق المموهة فمن مخاريقه انه كان عنده

كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بانواع الزينة وقال هذا من ذخائر امير المؤمنين علي عليه السلام وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل فكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصفة ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهوا وقد اخبرهم قبل ذلك بان الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التي الفها ابرد تاليف مشهور وانما حمله على الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه والسيد كان كثير العلم عزيز المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب فد اخبره امير المؤمنين عن احوال الملاحم واطلعه على مدارج المعالم فد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة وقد قيل انه كان مستودع علم الامامة حتى سلم الامانة الى اهلها وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها وكان السيد الحميري وكثير الشاعر من شيعته قال كثير فيه

الا ان الائمة من قريش * ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري ايضا يعتقد انه لم يمت وانه في جبل رضوى بين اسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا كما ملئت جورا وهذا هو الاول حكم بالغيبة والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك في بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من اركان التشيع ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبا فالهاشمية اتباع ابي هاشم بن محمد ابن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة منه الى ابنه ابي هاشم قالوا فانه افضى اليه اسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الافاق على الانفس وتقدير

التنزيل على التاويل وتصوير الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر
باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تاويلا ولكل مثال في هذا العالم
حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الافاق من الحكم والاسرار مجتمع
في الشخص الانساني وهو العلم الذي استاثر علي عليه السلام به
ابنه محمد بن الحنفية وهو افضى ذلك السر الى ابنه ابي هاشم وكل
من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا واختلف بعد ابي هاشم
شيعته خمس فرق قالت فرقة ان ابا هاشم مات منصرفا من الشام
بارض الشراة واوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واجرت
في اولاده الوصية حتى صارت الخلافة الى ابي العباس قالوا ولهم
في الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمه العباس اولى بالوراثة وفرقة قالت ان الامامة بعد موت
ابي هاشم لابن اخيه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية وفرقة قالت لا
بل ان ابا هاشم اوصى الى اخيه علي بن محمد وعلي اوصى الى ابنه الحسن
فالامامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج الى غيرهم وفرقة قالت ان
ابا هاشم اوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة
خرجت من بني هاشم الى عبد الله وتحولت روح ابي هاشم اليه والرجل
ما كان يرجح الى علم ودیانة فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه
فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر بن ابي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الارواح تتناسخ
من شخص الى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص اما
اشخاص بني آدم واما اشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت
حتى وصلت اليه وحلت فيه وادعى الالهية والنبوة معا وانه
يعلم الغيب فعبده شيعته الحمقى وكفروا بالقيامة لاعتقادهم
ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص
وتاول قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا الآية على ان من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج
في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال والبلاغ وعنه نشات الخرمية
والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان واحترقت اصحابه
فمنهم من قال انه بعد حي لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات

وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه وبين اصحاب عبد الله بن معاوية وبين اصحاب محمد بن علي خلاف شديد في الامامة فان كل واحد منهما يدعي الوصية من ابي هاشم اليه ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد البيانية اتباع بنان بن سمعان النهدي قالوا بانتقال الامامة من ابي هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين بالهية امير المؤمنين علي عليه السلام قال حل في علي جزء الهي واتحد بجسده فيه كان يعلم الغيب اذا اخبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن هذا قال والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية ينور بها مضيئة فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الالهي كالنور في المصباح قال وربما يظهر علي في بعض الازمان وقال في تفسير قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام اراد به عليا فهو الذي يأتي في ظلل والرعد صوته والبرق تبسمه ادعى بنان انه قد انتقل اليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ ولذلك استحق ان يكون اماما وخليفة وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة وزعم ان معبوده على صورة انسان عضوا فعضوا جزوا فجزوا وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه ومع هذا الخزي الفاحش كتب الى محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه الى نفسه وفي كتابه اسلم تسلم وترتقي من سلم فانك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فاعرض الباقر ان ياكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فاكله فمات في الحال وكان اسم الرسول عمر بن ابي حفيف وقد اجتمعت طائفة على بنان بن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك الزرامية اتباع رزام ساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابنه ابي هاشم ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي واوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام وهو صاحب ابي مسلم الذي دعاه اليه وقال بامامته وهؤلاء ظهروا بخراسان في ايام ابي مسلم

حتى قيل ان ابا مسلم كان على هذا المذهب لانهم ساقوا الامامة
الى ابى مسلم فقالوا له حظ فى الامامة وادعوا حلول روح الاله
فيه ولهذا ايده على بنى امية حتى قتلهم عن بكرة ابيهم وقالوا بتناسخ
الارواح والمقنع الذى ادعى الالهية لنفسه على مخاريق اخرجها
كان فى الاول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ماوراء النهر وهؤلاء صنف
من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط
ومنهم من قال الدين امران معرفة الامام واداء الامانة ومن حصل
له الامران فقد وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف ومن هؤلاء
من ساق الامامة الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس من ابى هاشم
ابن محمد بن الحنفية وصية اليه لا من طريق آخر وكان ابو مسلم صاحب
الدولة على مذهب الكيسانية فى الاول واقتبس من دعاتهم العلوم
التى اختصوا بها واحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم وكان
يطلب المستقر فيه فنفذ الى الصادق جعفر بن محمد انى قد اظهرت
الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بنى امية الى موالاة اهل البيت
فان رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت من رجالى
ولا الزمان زمانى فحاد الى ابى العباس بن محمد وقلده الخلافة الزيدية
اتباع زيد بن على بن الحسين بن على عليه السلام ساقوا الامامة فى
اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة فى غيرهم الا انهم
جوزوا ان يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج بالامامة يكون
اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين
وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابنى عبد
الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا فى ايام المنصور وقتلا على ذلك
وجوزوا خروج امامين فى قطرين يجتمعان هذه الخصال ويكون
كل واحد منهما واجب الطاعة وزيد بن على لما كان مذهبه هذا المذهب
اراد ان يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتلمذ فى الاصول
لواصل بن عطاء الغزال راس المعتزلة مع اعتقاد واصل بان جده على
ابن ابى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين اصحاب الجمل واصحاب
الشام ما كان على يقين من الصواب وان احد الفريقين منهما كان على
الخطاء لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت اصحابه كلها معتزلة

وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كانت
علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر
لمصلحة راوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة
وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة
كان قريبا وسيف امير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين
من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثار
كما هي فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل
الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشان من عرفوه
باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى انه لما اراد في مرضه الذي
مات فيه تقليد الامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس
وقالوا لقد وليت علينا فظا غليظا فما كانوا يرضون بامير المؤمنين
عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة على الاعداء حتى
سكنهم ابو بكر رضي الله عنه وكذلك يجوز ان يكون المفضول اماما
والافضل قائم فيراجع اليه في الاحكام ويحكم بحكمه في القضايا
ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا انه لا يتبرأ
عن الشيخين رفضوه حتى اتى قدره عليه فسميت رافضة وجرت
بينه وبين اخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث
كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده
في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب اليه
اهل البيت ومن حيث انه كان يشترط الخروج شرطا في كون الامام اماما
حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بامام فانه لم يخرج قط
ولا تعرض للخروج ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيى
ابن زيد ومضى الى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل
اليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بانه يقتل كما قتل
ابوه ويصلب كما صلب ابوه فجرى عليه الامر كما اخبر وقد فوض
الامر بعده الى محمد وابراهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضى
ابراهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضا واخبرهم
الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان اباه عليهم السلام اخبروه

بذلك

بذلك كله وان بني امية يتظاولون على الناس حتى لوطاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض اهل البيت ولا يجوز ان يخرج واحد من اهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وكان يشير الى ابى العباس وابى جعفر ابنى محمد بن على بن عبد الله بن العباس انا لا نخوض فى الامر حتى يتلاعب بها هذا واولاده اشارة الى المنصور فزيد بن على قتل بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله اميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة امر بقتلهما المنصور ولم ينتظم امر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانا ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل ولم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعى الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد ابن على فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلى امرهم وخالفوا بنى اعمامهم من الموسوية فى مسائل الاصول ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول وطعنت فى الصحابة طعن الامامية وهم اصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد الجارودية اصحاب ابى الجارود زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على على عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده على والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا ابا بكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف ابو الجارود فى هذه المقالة امامة زيد بن على فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد واختلفت الجارودية فى التوقف والسوق فساق بعضهم الامامة من على الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى على بن الحسين زين العابدين ثم الى زيد بن على ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بامامته وكان ابو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الامر الى المنصور فحبسه حبس الابد حتى مات فى الحبس وقيل انه انما بايع محمد بن عبد الله الامام فى ايام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقى الامام ابو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة اهل البيت فرفع خالد الى المنصور فتم عليه ما تم

والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملأ الارض عدلا ومنهم من اقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان وقد اسر في ايام المعتصم وحمل اليه فحبسه في داره حتى مات ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في ايام المستعين وحمل راسه الى محمد بن عبد الله ابن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية *

فقلت اعز من ركب المطايا * وجئتك استلينك في الكلام
وعز علي ان الفتك الا * وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي واما ابو الجارود فكان يسمى سرحوب سماه بذلك ابو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه وسرحوب شيطان اعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا ومن اصحاب ابي الجارود فضيل الرسان وابو خالد الواسطي وهم مختلفون في الاحكام والسير فزعم بعضهم ان علم ولد الحسن والحسين عليهما السلام كعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز ان يوخذ عنهم وعن غيرهم من العامة السليمانية اصحاب سليمان بن جرير وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ويصح ان ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وانها تصح في المفضول مع وجود الافضل واثبت امامة ابي بكر وعمر حقا باختيار الامة حقا اجتهاديا وربما كان يقول ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطأ لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادي غير انه طعن في عثمان للاحداث التي احدثها وانكره بذلك وانكر عائشة والزبير وطلحة باقدامهم على قتال علي ثم انه طعن في الرافضة فقال ان ائمة الرافضة قد وضعوا امرين لشيعتهم لا يظهر احد قط عليهم احدهما القول بالبداء اذا اظهروا قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا الله تعالى في ذلك والثانية التقية وكل ما اراد وا تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم انه باطل قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية وتابعه على القول

بجواز امامة المفضول مع قيام الافضل قوم من المعتزلة منهم جعفر
ابن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من اصحاب الحديث
قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج اليها لمعرفة الله تعالى
وتوحيده فان ذلك حاصل بالعقل لكنها يحتاج اليها لاقامة
الحدود والقضا بين المتحاكمين وولاية اليتامى والايامى وحفظ
البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع اعداء الدين وحتى يكون
للمسلمين جماعة ولا يكون الامر فوضى بين العامة فلا يشترط فيها
ان يكون الامام افضل الامة علما واقدمهم رايا وحكمة اذ الحاجة تنسد
بقيام المفضول مع وجود الفاضل والافضل ومالت جماعة من اهل
السنة الى ذلك حتى جوزوا ان يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع
الاجتهاد ولكن يجب ان يكون معه من يكون من اهل الاجتهاد فيراجعه
في الاحكام ويستفتي منه في الحلال والحرام ويجب ان يكون في الجملة
ذا رأي متين وبصر في الحوادث نافذ الصالحية اصحاب الحسن بن
صالح بن حي والبترية اصحاب كثير النوى الابتر وهما متفقان في
المذهب وقولهم في الامامة كقول السليمانية الا انهم توقفوا في امر
عثمان اهو مؤمن ام كافر قالوا اذا سمعنا الاخبار الواردة في حقه
وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب ان يحكم بصحة اسلامه
وايمانه وكونه من اهل الجنة واذا رأينا الاحداث التي احدثها من
استئثاره بتربية بني امية وبني مروان واستبداده بامورهم لم توافق
سيرة الصحابة قلنا يجب ان يحكم بكفره فتحيرنا في امره وتوقفنا في
حاله ووكلناه الى احكم الحاكمين واما علي فهو افضل الناس بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاهم بالامامة لكنه سلم الامر
لهم راضيا وفوض الامر اليهم طائعا وترك حقه راغبا فنحن راضون
بما رضي مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك ولو لم يرض علي بذلك
لكان ابو بكر لها لكا وهم الذين جوزوا امامة المفضول وتاخير الافضل
والافضل اذا كان الافضل راضيا بذلك وقالوا من شهر سيفه من
اولاد الحسن والحسين وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الامام وشرط بعضهم
صباحة الوجه ولهم خبط عظيم في امامين وجد فيهما هذه الشرائط
وشهرا سيفهما ينظر الى الافضل والازهد وان تساويا ينظر الى الاسن

رايا والاحزم امرا وان تساويا تقابلا فينقلب الامر عليهم كلا ويعود
الطلب جدعا والامام مامورا والامير مامورا ولو كانا في قطرين
انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه ولو
افتى احدهما بخلاف ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيبا وان
افتى باستحلال دم الامام الآخر واكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون
الى راى واجتهاد اما في الاصول فيرجعون الى راى المعتزلة حذو
القذة بالقذة ويعظمون ائمة الاعتزال اكثر من تعظيمهم ائمة اهل
البيت واما في الفروع فهم على مذهب ابي حنيفة الا في مسائل قليلة
يوافقون فيها الشافعي والشيعة رجال الزيدية ابو الجارود زياد بن
المنذر العبدي جعفر بن محمد والحسن بن صالح ومقاتل بن سليمان
والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمرو بن الحسين
ابن علي والداعي الاخر صاحب طبرستان الحسين بن زيد بن محمد بن
اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن نصر الامامية
هم القائلون بامامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا
ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين
قالوا وما كان في الدين والاسلام امر اهم من تعيين الامام حتى يكون
مفارقته الدنيا على فراغ قلب من امر الامة فاذا بعث لرفع الخلاف
وتقرير الوفاق فلا يجوز ان يفارق الامة ويتركهم هملا يرى كل واحد
منهم رايا ويسلك كل واحد طريقا لا يوافقه في ذلك غيره بل يجب
ان يعين شخصا هو المرجوع اليه وينص على واحد هو الموثوق به
والمعول عليه وقد عين عليا عليه السلام في مواضع تعريضا
وفي مواضع تصريحا اما تعريضا فمثل ان بعث ابا بكر ليقرأ سورة
البراءة على الناس في المشهد وبعث بعد عليا ليكون هو القارئ
عليهم والمبلغ عنه اليهم وقال نزل علي جبريل فقال يبلغه رجل
منك او قال من قومك وهو يدل على تقديمه عليا عليه السلام
ومثل ما كان يؤمر علي ابي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث
وقد امر عليهما عمرو بن العاص في بعث واسامة بن زيد في بعث
وما امر على احد قط واما تصريحا فمثل ما جرى في اثناء
الاسلام حين قال من الذي يبايعني على ماله فبايعته جماعة

ثم قال من الذى يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الامر من
بعدى فلم يبايعه احد حتى مد امير المؤمنين على عليه السلام يده
اليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير اباطالب
انه امر عليك ابنك ومثل ما جرى فى كمال الاسلام وانتظام الحال
حين نزل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته فلما وصل الى غدير خم امر بالدوحات
فقممن وناد وا الصلاة جامعة ثم قال عليه السلام وهو على الرجال
من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار الا هل بلغت
ثلاثا فادعت الامامية ان هذا نص صريح فانا ننظر من كان النبى
صلى الله عليه وسلم مولى له وباى معنى فنظر ذلك فى حق على وقد
فهمت الصحابة من التولية ما قضيناه حتى قال عمر حين استقبل
عليا طوبى لك يا على اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة قالوا وقول
النبى عليه السلام اقضاكم على نص فى الامامة فان الامامة لا معنى لها
الا ان يكون اقضى القضاة فى كل حادثة الحاكم على المتخاصمين فى كل واقعة
وهو معنى قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم
فاولى الامر من اليه القضاء والحكم حتى وفى مسئلة الخلافة لما تخاصمت
المهاجرون والانصار كان القاضى فى ذلك هو امير المؤمنين على
دون غيره فان النبى صلى الله عليه وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة
باخص وصف له فقال افرضكم زيد اقراكم ابى اعرفكم بالحلال والحرام
معاذ كذلك حكم لعلى باخص وصف وهو قوله اقضاكم على والقضاء
يستدعى كل علم وليس كل علم يستدعى القضاء ثم ان الامامية تخطت
عن هذه الدرجة الى الوقيعة فى كبار الصحابة طعنا وتكفيرا واقله ظلما
وعدوانا وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا من جملتهم
قال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وكانوا اذ ذاك الفا واربعمائة وقال تعالى ثناء على المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه
وقال لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه

فى ساعة العسرة وقال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض وفى ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله
وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعرى كيف يستجيز ودين
الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم وقد قال النبى عليه السلام عشرة
فى الجنة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد
ابن زيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة الجراح الى غير ذلك من
الاخبار الواردة فى حق كل واحد منهم على الانفراد وان نقلت هناة
من بعضهم فليتدبر النقل فان اكاذيب الروافض كثيرة ثم ان الامامية
لم يثبتوا فى تعيين الائمة بعد الحسن والحسين وعلى بن الحسين على
راى واحد بل اختلافاتهم اكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال
بعضهم ان نيفا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى
الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الامة وهم متفقون
فى سوق الامامة الى جعفر بن محمد الصادق مختلفون فى المنصوص
عليه بعده من اولاده اذ كانت له خمسة اولاد وقيل ستة محمد
واسحاق وعبد الله وموسى واسماعيل وعلى ومن ادعى منهم النص
والتعيين محمد وعبد الله وموسى واسماعيل ثم منهم من مات واعقب
ومنهم من لم يعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ومنهم
من قال بالسوق والتعدية كما سيأتى اختلافاتهم عند ذكر طائفة
طائفة وكانوا فى الاول على مذهب ائمتهم فى الاصول ثم لما اختلفت
الروايات عن ائمتهم وتمادى الزمان اختار كل فرقة طريقة وصارت
الامامية بعضها معتزلة اما وعيدية واما تفضيلية وبعضها الخبارية
اما مشبهة واما سلفية ومن ضل الطريق وتاه ابيال الله به فى اى
واد هلك الباقرية والجعفرية الواقفة اصحاب ابى جعفر محمد بن على
الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بامامتهما وامامة والدهما زين العابدين
الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة الى اولادهما
ومنهم من ساق وانما ميزنا هذه فرقة دون الاصناف المتشيعة
التى نذكرها الان من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته كما
توقف القائلون بامامة ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو
علم مزين فى الدين وادب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا وورع

تام

نام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين
اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق واقام بها
مدة ما تعرض للامامة قط ولا نازع احدا فى الخلافة ومن غرق فى
بحر المعرفة لم يطمح فى شط ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من
حط وقيل من آنس بالله توحش عن الناس ومن استأنس بغير الله
نهبه الوسواس وهو من جانب الاب ينتسب الى شجرة النبوة ومن
جانب الام ينتسب الى ابى بكر رضى الله عنه وقد تبرا عما كان ينسب
بعض الغلاة اليه وتبرا عنه ولعنهم وبرئ من خصائص مذاهب
الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ
والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم
مذهبا واراد ان يروجه على اصحابه وينسبه اليه ويربط به والسيد
برئ من ذلك ومن الاعتزال والقدر ايضا هذا قوله فى الارادة ان الله
تعالى اراد بنا شيئا واراد منا شيئا فما اراده بنا طواه عنا وما اراده منا
اظهره لنا فما بالنا نشتغل بما اراده بنا عما اراده منا وهذا قوله فى القدر
هو امر بين امرين لا جبر ولا تفويض وكان يقول فى الدعاء اللهم لك الحمد
ان اطعتك ولك الحجة ان عصيتك لا صنع لى ولا لغيرى فى احسانك
ولا حجة لى ولا لغيرى فى اساءة فنذكر الاصناف الذين اختلفوا فيه
وبعده لا على انهم من تفاصيل اشياعه بل على انهم ينتسبون الى اصل
شجرته وفروع اولاده الناوسية اتباع رجل يقال له ناوس وقيل
نسبوا الى قرية ناوسا قالت ان الصادق حى بعد ولن يموت حتى يظهر
فيظهر امره وهو القائم المهدى وروى عنه انه قال لو رايتم راسى
يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فانى صاحبكم صاحب السيف
وحكى ابو حامد الزوزنى ان الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق
الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا الافطحية قالوا بانتقال
الامامة من الصادق الى ابنه عبد الله الافطح وهو اخو اسماعيل
من ابيه وامه وامهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن على وكان
اسن اولاد الصادق زعموا انه قال الامامة فى اكبر اولاد الامام
وقال الامام من يجلس مجلسى وهو الذى جلس مجلس ابيه الامام
لا يغسله ولا يصلى عليه ولا ياخذ خاتمه ولا يوارى به الا الامام

وهو الذى تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض اصحابه
وامره ان يدفعها الى من يطلبها منه وان يتخذه اماما وما طلبها منه
احد الا عبد الله ومع ذلك ما عاش بعد ابيه الا سبعين يوما وما
ولم يعقب ولذا ذكرا الشميطية اتباع يحيى بن ابى شميط قالوا ان
جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان ولد
لك ولد فسميته باسمى فهو امام فالامام بعده ابنه محمد الموسوية
والمفضلية فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه
بالاسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم
الا وهو سمى صاحب التورية ولما رايت الشيعة ان اولاد الصادق
على تفرق فمن مات فى حال حياة ابيه لم يعقب ومن مختلف فى موته
ومن قائم بعد موته مدة يسيرة مات غير معقب وكان موسى هو
الذى تولى الامر وقام به بعد موت ابيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه
مثل المفضل بن عمر وزرارة بن اعين وعمارة السباطى وروت الموسوية
عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض اصحابه عد الامام فعدها من
الاحد حتى بلغ السبت فقال له كم عددت فقال سبعة فقال جعفر
سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب
وهو سابعكم قائمكم هذا واشار الى موسى وقال فيه ايضا انه شبيه
بعيسى ثم ان موسى لما خرج واظهر الامامة حمله هارون الرشيد
من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم اشخصه الى بغداد فحبسه
عند السندى بن شاهك وقيل ان يحيى بن خالد بن برمك سمه فى
رطب فقتله وهو فى الحبس ثم اخرج ودفن فى مقابر قريش ببغداد
واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف فى موته وقال لا ندرى امات
ام لم يمت ويقال لهم المطورة وسماهم بذلك على بن اسماعيل فقال
ما انتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية
ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال
لهم الواقفية اسامى الائمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضى والمجتبى
والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والتقى والنقى
والزكى والحجة القائم المنتظر الاسماعيلية الواقفية قالوا ان الامام
بعد جعفر اسماعيل نصا عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا فى موته

فقال

في حال حياة ابيه فمنهم من قال لم يمت الا انه اظهر موته تقية من
خلفاء بني العباس وعقد محضرا واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة
ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع فقهري والفائدة في النص
بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسمعيل
محمد بن اسمعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية ثم منهم من وقف على محمد
ابن اسمعيل وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الامامة
في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية
وسنذكر مذهبهم على الانفراد وانما هذه فرقة الوقف على اسمعيل
ابن جعفر ومحمد بن اسمعيل والاسماعيلية المشهورة في الفرق هم
الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة الاثنا عشرية ان الذين
قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الامامة
بعده في اولاده فقالوا الامام بعد موسى علي الرضا ومشهده
بطوس ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش ثم بعده علي بن محمد
النقي ومشهده بسر من رأى ثم بعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه
القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى وهو الثاني عشر هذا هو طريق
الاثنا عشرية في زماننا الا ان الاختلافات التي وقعت في حال
كل واحد من هؤلاء الاثني عشر والمنازعات التي جرت بينهم وبين
اخوتهم وبني اعمامهم يجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره
ومقالة لم نوردها فاعلم ان من الشيعة من قال بامامة احمد بن
موسى بن جعفر دون اخيه علي الرضا ومن قال بعلي شك اولا في محمد
ابن علي اذ مات ابوه وهو صغير غير مستحق للامامة ولا علم عنده
بمناهجها فثبت قوم على امامته واختلفوا بعد موته فقال قوم بامامة
موسى بن محمد وقال قوم بامامة علي بن محمد ويقولون هو العسكري
واختلفوا بعد موته ايضا فقال قوم بامامة جعفر بن علي وقال قوم بامامة
الحسن بن علي وكان لهم رئيس يقال له علي بن فلان الطاحن وكان
من اهل الكلام قوي اسباب جعفر بن علي وامال الناس اليه واعانه
فارس بن حاتم بن ماهويه وذلك ان محمدا قد مات وخلف الحسن
العسكري فقالوا امتحنا الحسن ولم نجد عنده علما ولقبوا من قال
بامامة الحسن الحمارية وقووا امر جعفر بعد موت الحسن واحتجوا

بان الحسن مات بلا خلف فبطلت امامته لانه لم يعقب والامام لايكون
الا ويكون له خلف وعقب وجاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى
ادعاها عليه انه فعل ذلك من حبل فى جواريه وغيره وانكشف امرهم
عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من
قال بامامة الحسن وتفرقوا اصنافا كثيرة فثبت هذه الفرقة على امامة
جعفر ورجع اليهم كثير ممن قال بامامة الحسن منهم الحسن بن على
ابن فضال وهو من اجل اصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث
ثم قالوا بعد جعفر بعلى بن جعفر وفاطمة بنت على اخت جعفر وقال
قوم بامامة على بن جعفر دون فاطمة السيدة ثم اختلفوا بعد موت
على وفاطمة اختلافا كثيرا وغلا بعضهم فى الامامة غلو ابى الخطاب
الاسدى واما الذين قالوا بامامة الحسن افترقوا بعد موته احدى
عشرة فرقة وليست لهم القاب مشهورة ولكنا نذكرها ويلهم الفرقة
الاولى قالت ان الحسن لم يمت وهو القائم ولايجوز ان يموت ولا
ولد له ظاهر الان الارض لاتخلو من امام وقد ثبت عندنا ان
القائم له غيبتان وهذه احدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم
يغيب غيبة اخرى الثانية قالت ان الحسن مات لكنه يحيى وهو
القائم لانا رأينا ان معنى القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت
الحسن لاشك فيه ولا ولد له فيجب ان يحيى بعد الموت الثالثة
قالت ان الحسن قد مات واوصى الى جعفر اخيه ورجعت امامة جعفر
الرابعة قالت ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين
فى الائتمام به اذ لم يكن اماما فلما مات ولا عقب له تبينا ان جعفرا
كان محقا فى دعواه والحسن مبطلا الخامسة قالت ان الحسن قد
مات وكنا مخطئين فى القول به وان الامام كان محمد بن على اخو الحسن
وجعفر ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به وعلمنا ان الحسن كان
على مثل حاله الا انه كان يتستر عرفنا انهما لم يكونا امامين فرجعنا
الى محمد ووجدنا له عقبا وعرفنا انه كان هو الامام دون اخويه السادسة
قالت ان للحسن ابنا وليس الامر على ماذكروا انه مات ولم يعقب ولد
قبل وفاة ابيه بسبعتين فاستخوفا من جعفر وغيره من الاعداء
واسمه محمد وهو القائم المنتظر السابعة قالت ان له ابنا ولكنه ولد

بعد موته بثمانية اشهر وقول من ادعى انه مات وله ابن باطل لان
ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان الثامنة قالت صحت وفاة
الحسن وصح ان لا ولد له وبطل ما ادعى من الحبل في سرية له وثبت
ان لا امام بعد الحسن وهو جائز في المعقول ان يرفع الله الحجة عن
اهل الارض لمعاصيهم وهي فترة وزمان لا امام فيه والارض اليوم
بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة
قالت ان الحسن قد مات وصح موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف
ولا ندري كيف هو ولا نشك انه قد ولد له ابن ولا ندري قبل موته او
بعد موته الا انا نعلم يقينا ان الارض لا تخلو عن حجة وهو الخلف الغائب
فنحن نتولاه ونتمسك باسمه حتى يظهر بصورته العاشرة قالت
نعلم ان الحسن قد مات ولا بد للناس من امام ولا يخلو الارض من
حجة ولا ندري من ولده او من غيره الحادية عشر فرقة توقفت
في هذه المخابط وقالت لا ندري على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع
في الرهنا ونقول بامامته وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن
من الواقفية في ذلك الى ان يظهر الله الحجة ويظهر بصورته فلا يشك
في امامته من ابصره ولا يحتاج الى معجزة وكرامة وبينة بل معجزته
اتباع الناس باسرهم اياه من غير منازعة وهذا فرقة فهذه جملة فرق
الاثنا عشرية قطعوا على واحد واحد منهم ثم قطعوا على كل باسرهم
ومن العجب انهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين وبيفا وخمسين سنة
وصاحبنا قال ان خرج القائم وقد طعن في الاربعين فليس بصاحبكم
ولسنا ندري كيف ينقضي مائتان وخمسون سنة في اربعين سنة
واذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور قالوا اليس الخضر
والياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من الاف سنة لا يحتلمان
الى طعام وشراب فلم لا يجوز ذلك في واحد من اهل البيت قيل لهم
ومع اختلاف كلم هذا كيف يصح لكم دعوى الغيبة ثم الخضر عليه السلام
ليس مكلفا بضمان جماعة والامام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل
والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته ومن لا يرى كيف
يقتدى به فلهذا صارت الامامية متمسكين بالعدلية في الاصول
وبالمشبهة في الصفات متحيرين تائهين وبين الاخبارية منهم والكلامية

سيف وتكفير وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل
اعاذنا الله من الحيرة ومن العجب ان القائلين بامامة المنتظر مع
هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه احكام الالهية
ويتاولون قوله تعالى عليه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة قالوا هو الامام
المنتظر الذى يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لا يغيب عنا ويستخبرنا
باحوالنا حين يحاسب الخلق الى تخيلات باردة وكلما عن العقول ردة شعر
لقد طفت فى تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم
الغالية هم الذين غلوا فى حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية
وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله
وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير وانما نشات
شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود
والنصارى اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت
الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات فى اذهان الشيعة الغلاة حتى
حكمت باحكام الهية فى حق بعض الائمة وكان التشبيه بالاصل
والوضع فى الشيعة وانما عادت الى بعض اهل السنة بعد ذلك وتمكن
الاعتزال فيهم لما راوا ان ذلك اقرب الى المعقول وابعد من التشبيه
والحلول وبدع الغلاة محصورة فى اربع التشبيه والبدا والرجعة
والتناسخ ولهم القاب وبكل بلد لقب يقال لهم باصفهان الحرمية
والكودية وبالرى المزدكية والسنبادية وباذربيجان الذقولية
وبموضع المجمرة وبما وراء النهر المبيضة السبائية اصحاب عبدالله
ابن سبا الذى قال لعلى عليه السلام انت انت يعنى انت الاله
فنفاه الى المدائن وزعموا انه كان يهوديا فاسلم وكان فى اليهودية
يقول فى يوشع بن نون وصى موسى مثل ما قال فى على عليه السلام
وهو اول من اظهر القول بالفرض بامامة على ومنه انشعبت اصناف
الغلاة وزعموا ان عليا حى لم يقتل وفيه الجزء الالهى ولا يجوز ان
يستولى عليه وهو الذى يجئ فى السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وانه سينزل بعد ذلك الى الارض فيملأ الارض عدلا كما ملئت

جورا وانما اظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام
واجتمعت عليه جماعة وهم اول فرقة قالت بالتوقف والغيبة
والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الالهي في الائمة بعد علي وهذا
المعنى مما كان يعرفه الصحابة وان كانوا على خلاف مراده هذا عمر
رضي الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد في الحرم ورفعت
القصة اليه ماذا اقول في يد الله فقأت عينا في حرم الله فاطلق
عمر اسم الالهية عليه لما عرف منه ذلك الكاملية اصحاب
ابي كامل اكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلام وطعن
في علي ايضا بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال وكان عليه
ان يخرج ويظهر الحق على انه غلا في حقه وكان يقول الامامة نور
يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي
شخص يكون امامة وربما يتناسخ الامامة فتصير نبوة وقال
يتناسخ الارواح وقت الموت والغلاة على اصنافها كلهم متفقون على
التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل امة تلقوها
من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابية
ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص
من اشخاص البشر وذلك معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون
بكل اما الحلول بجزء هو كاشراق الشمس في كوة او كاشراقها على البلور
واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب
التناسخ اربعة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسياتي شرح ذلك
عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل واعلى المراتب مرتبة الملكية
او النبوة واسفل المراتب الشيطانية او الجنية وهذا ابو كامل كان
يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم العلبائية اصحاب
العلبا بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الاسدي وكان يفضل عليا
على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم انه الذي بعث محمدا وسماه الهما
وكان يقول بذم محمد زعم انه بعث ليدعوا الى علي فدعى الى نفسه ويسمون
هذه الفرقة الذمية ومنهم من قال بالهيتهما جميعا ويقدمون عليا في الحكم
الالهية ويسمونهم العينية ومنهم من قال بالهيتهما جميعا ويقدمون
محمدا في الالهية ويسمونهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة اشخاص

اصحاب الكسا محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شئ واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالتانيث بل قالوا فاطم وفى ذلك يقول بعض شعرائهم شعر * * * *

تولیت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

المغيرية اصحاب المغيرة بن سعيد العجلى ادعى ان الامام بعد محمد ابن على بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حى لم يمت وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسرى وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه وغلا فى حق على عليه السلام غلوا لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالى صورة وجسم ذو اعضاء على هجاء حروف الهجاء وصور منه صورة رجل من نور على راسه تاج من نور وله قلب ينبع منه الحكمة وزعم ان الله تعالى لما اراد خلق العالم تكلم بالاسم الاعظم فطار فوقع على راسه تاجا قال وذلك قوله سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى ثم اطلع على اعمال العباد وهى تحته على كفه فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما ماء والآخر عذب والماء مظلم والعذب نير فاطلع فى البحر النير فابصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وامرهما ان يبقيا فى ظله وقال لا ينبغى ان يكون معى آلهة غيرى قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النير والكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس واول ما خلق هو ظل محمد وعلى قبل ظلال الكل ثم عرض على السموات والارض والجبال ان يحملن الامانة وهى ان يمنعن على بن ابى طالب من الامامة فابين ذلك ثم عرض على الناس فامر عمر بن الخطاب ابا بكر ان يتحمل منعه من ذلك وضمن ان يعينه على الغدر به على شرط ان يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه واقدما على المنع متظاهرين فى ذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وزعم انه نزل فى عمر قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك ولما ان قتل المغيرة اختلف اصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار امامة محمد كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة لاصحابه

انتظروه

انتظروه فانه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام
المنصورية اصحاب ابي منصور العجلي وهو الذي عزا نفسه الى ابي
جعفر محمد بن علي الباقر في الاول فلما تبرا عنه الباقر وطرده زعم انه هو
الامام ودعا الناس الى نفسه ولما توفي الباقر قال انتقلت الامامة
الي وتظاهر بذلك وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة حتى وقف
يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في ايام هشام بن عبد الملك على قصته
وخبث دعوته فاخذه وصلبه زعم العجلي ان عليا عليه السلام هو
الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو
الله عز وجل وزعم حين ادعى الامامة لنفسه انه عرج به الى السماء
ورأى معبوده فمسح بيده راسه وقال له يا بني انزل فبلغ عني ثم اهبطه
الى الارض فهو الكسف الساقط من السماء وزعم ايضا ان الرسل لا تنقطع
ابدا والرسالة لا تنقطع وزعم ان الجنة رجل امرنا بموالاته وهو امام الوقت
وان النار رجل امرنا بمعاداته وهو خصم الامام وتاول المحرمات كلها
على اسماء رجال امر الله تعالى بمعاداتهم وتاول الفرائض على اسماء رجال
امرنا بموالاتهم واستحل اصحابه قتل مخالفيهم واخذ اموالهم واستحلال
نسائهم وهم صنف من الخرمية وانما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات
على اسماء رجال هو ان من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه
التكليف وارتفع عنه الخطاب اذ وصل الى الجنة وبلغ الى الكمال
وهما ايدعه العجلي ان قال اول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم علي بن
ابي طالب. الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الاسدي
الاجدع وهو الذي عزا نفسه الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق
فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه واخبر
اصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري عنه واللعن
عليه فلما اعتزل عنه ادعى الامر لنفسه زعم ابو الخطاب ان الائمة انبياء
ثم الهة وقال بالهية جعفر بن محمد والهية اباءه وهم ابناء الله واحباؤه
وان الهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من
هذه الاثار والانوار وزعم ان جعفرا هو الاله في زمانه وليس هو
المحسوس الذي يروه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة
فراه الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث

دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقا فزعمت
فرقة ان الامام بعد ابى الخطاب رجل يقال له معمر وانوا به كما دانوا
بابى الخطاب وزعموا ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هى التى نصيب الناس
من خير ونعمة وعافية وان النار هى التى نصيب الناس من شر ومشقة
وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلوة
والفرائض وتسمى هذه الفرقة معمرية وزعمت طائفة ان الامامة
بعد ابى الخطاب بزيغ وكان يزعم ان جعفرا هو الاله اى ظهر الاله
بصورته المخلوق وزعم ان كل مؤمن يوحى اليه وتاول قول الله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى يوحى من الله اليه وكذلك
قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وزعم ان فى اصحابه من هو افضل
من جبريل وميكائيل وزعم ان الانسان اذا بلغ الكمال لا يقال انه
مات لكن الواحد منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع الى الملكوت وادعوا
كلهم معاينة اموالهم وزعموا انهم يرونهم بكرة وعشيا وتسمى
هذه الطائفة البزيغية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابى الخطاب
عمير بن بنان العجلى وقالوا كما قالت الطائفة الاولى الا انهم اعترفوا
بانهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون
فيها على عبادة الصادق فرفع خبرهم الى بزيغ بن موسى بن عمير فاخذ
عميرا فصلبه فى كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة العميرية
وزعمت طائفة ان الامام بعد ابى الخطاب مفضل الصيرفى وكان يقول
بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن
محمد الصادق وطردهم ولعنهم فان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون
بحال الائمة تائهون الكيالية اتباع احمد بن الكيال وكان من
دعاة واحد من اهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق واظنه من الائمة
المستورين ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برايه الغائل وفكره
العاطل وابدع مقالة فى كل باب علمى على قاعدة غير مسموعة ولا
معقولة وربما عاند الحسن فى بعض المواضع ولما وقفوا على بدعته
تبرؤا منه ولعنوه وامروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما
عرف الكيال ذلك صرف الدعوة الى نفسه وادعى الامامة اولا
ثم ادعى انه القائم ثانيا وكان من مذهبه ان كل من قدر الافاق

على الانفس وامكنه ان يبين مناهج العالمين اعنى عالم الافاق
وهو العالم العلوى وعالم الانفس وهو العالم السفلى كان هو الامام
وان من قرر الكل فى ذاته وامكنه ان يبين كل كلى فى شخصه المعين
الجزئى كان هو القائم قال ولم يوجد فى زمن الازمان احد يقرر هذا
التقرير الا احمد الكيال فكان هو القائم وانما قبله من انتمى اليه اولا
على بدعته ذلك انه الامام ثم القائم وبقيت من مقالته فى العالم
تصانيف عربية وعجمية كلها من خرفة مردودة شرعا وعقلا قال
الكيال العوالم ثلاثة العالم الاعلى والعالم الادنى والعالم الانسانى
واثبت فى العالم الاعلى خمسة اماكن الاول مكان الاماكن وهو
مكان فارغ لا يسكنه موجود ولا يديره روحانى وهو محيط بالكل
قال والعرش الوارد فى الشرع عبارة عنه ودونه مكان النفس
الاعلى ودونه مكان النفس الناطقة ودونه مكان النفس الحيوانية
ودونه مكان النفس الانسانية قال وارادت النفس الانسانية
الصعود الى عالم النفس الاعلى فصعدت وخرقت المكانين اعنى
الحيوانية والناطقية فلما قربت من الوصول الى عالم النفس الاعلى
كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت اجزاؤها فاهبطت
الى العالم السفلى ومضت عليها اكوار واداوار وهى فى تلك الحالة
من العفونة والاستحالة ثم ساحت عليها النفس الاعلى وافاضت
عليها من انوارها جزءا فحدثت التراكيب فى هذا العالم وحدثت السموات
والارض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ووقعت
فى بلاء هذا التركيب تارة سرورا وتارة غما وتارة فرحا وتارة ترحا
وطورا سلامة وعافية وطورا بلية ومحنة حتى يظهر القائم ويردها
الى حال الكمال وتنحل التراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحانى
على الجسمانى وماذلك القائم الا احمد الكيال ثم دل على تعيين ذاته
باضعف ما يتصور واوهى ما يقدر وهو ان اسم احمد مطابق
للعوالم الاربعة فالالف من اسمه فى مقابلة النفس الاعلى والحاء
فى مقابلة النفس الناطقة والميم فى مقابلة النفس الحيوانية
والدال فى مقابلة النفس الانسانية قال فالعوالم الاربعة
هى المبادى والبسائط واما مكان الاماكن فلا وجود فيه البتة

ثم اثبت فى مقابلة العوالم العلوية العالم السفلى الجسمانى قال فالسماء
خالية وهى فى مقابلة مكان الاماكن ودونها النار ودونها الهواء ودونها
الارض ودونها الماء وهذه الاربعة فى مقابلة العوالم الاربعة ثم
قال الانسان فى مقابلة النار والطائر فى مقابلة الهواء والحيوان
فى مقابلة الارض والحوت فى مقابلة الماء فجعل مركز الماء اسفل
المراكز والحوت اخس المركبات ثم قابل الانسانى الذى هو احد الثلاثة
وهو عالم الانفس مع افاق العالمين الاولين الروحانى والجسمانى
قال الحواس المركبة فيه خمس فالسمع فى مقابلة مكان الاماكن
اذ هو فارغ وفى مقابلة السماء والبصر فى مقابلة النفس الاعلى
من الروحانى وفى مقابلة النار من الجسمانى وفيه انسان العين لان
الانسان مختص بالنار والشم فى مقابلة الناطقى من الروحانى
والهواء من الجسمانى لان الشم من الهواء يتروح ويتنسم والذوق
فى مقابلة الحيوان من الروحانى والارض من الجسمانى والحيوان
مختص بالارض والطعم بالحيوان واللمس فى مقابلة الانسانى من
الروحانى والماء من الجسمانى والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت وربما
عبر عن اللمس بالكناية ثم قال احمد الف وحاء وميم ودال وهو
فى مقابلة العالمين اما فى مقابلة العالم العلوى الروحانى فقد ذكرنا
واما فى مقابلة العالم السفلى الجسمانى فالالف يدل على الانسان
والحاء على الحيوان والميم على الطائر والدال على الحوت فالالف من حيث
استقامة القامة كالانسان والحاء كالحيوان لانه معوج منكوس
ولان الحاء من ابتدا اسم الحيوان والميم يشبه راس الطائر والدال
يشبه ذنب الحوت ثم قال ان البارى تعالى انما خلق الانسان على
شكل اسم احمد فالقامة مثل الالف واليدان مثل الحاء والبطن
مثل الميم والرجلان مثل الدال ثم من العجب انه قال الانبياء هم
قادة اهل التقليد واهل التقليد عميان والقائم قائد اهل البصيرة
واهل البصيرة اولوا الالباب وانما يحصلون البصائر بمقابلة
الافاق والانفس والمقابلة كما سمعتها من اخس المقالات وهى
المقابلات بحيث لا يستجيز عاقل ان يسمعها فكيف يرضى ان يعتقدها
واعجب من هذا كله تاويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض

الشرعية والاحكام الدينية وبين موجودات عالمي الافاق والانفس وادعاؤه انه متفرد بها وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من اهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذى قرره الكمال وحمله الميزان على العالمين والصراط على نفسه والجنة على الوصول الى علمه من البصائر والنار على الوصول الى ما يضاده ولما كانت اصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع الهشامية اصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه وهشام بن سالم الجواليقى الذى نسج على منواله فى التشبيه وكان هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين ابى الهذيل مناظرات فى علم الكلام منها فى التشبيه ومنها فى تعلق علم البارى تعالى حكى ابن الروندى عن هشام انه قال ان بين معبوده وبين الاجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذاك لما دللت عليه حكى الكعبى عنه انه قال هو جسم ذو ابعاض له قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شئ ونقل عنه انه قال هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة وحكى عنه ابو عيسى الوراق انه قال ان الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شئ من العرش ولا يفضل عن العرش شئ منه ومن مذهب هشام انه لم يزل عالما بنفسه ويعلم الاشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث او قديم لانه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو هو او غيره او بعضه وليس قوله فى القدرة والحياة كقوله فى العلم لانه لا يقول بحدوثهما قال ويريد الاشياء وارادته حركة ليست غير الله ولا هى عينه وقال فى كلام البارى تعالى انه صفة لله تعالى لا يجوز ان يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق وقال الاعراض لا تصلح دلالة على الله تعالى لان منها ما يثبت استدلالا وما يستدل به على البارى تعالى يجب ان يكون ضرورى الوجود وقال الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل الا به كالآلات والجوارح والوقت والمكان وقال هشام بن سالم انه تعالى على صورة انسان اعلاه مجوف واسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وانف واذن وعين وفم وله ذؤابة سوداء

وهو نور اسود لكنه ليس بلحم ولا دم وقال هشام الاستطاعة بعض المستطيع وقد نقل عنه انه اجاز المعصية على الانبياء مع قوله بعصمة الائمة ويفرق بينهما بان النبي يوحى اليه فينبه على وجه الخطا فيتوب منه والامام لا يوحى اليه فيجب عصمته وغلا هشام بن الحكم في حق علي حتى قال انه الله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الاصول لا يجوز ان يغفل عن الزاماته على المعتزلة فان الرجل وراء مايلزمه على الخصم ودون مايظهره من التشبيه وذلك انه الزم الخلاف فقال انك تقول الباري عالم بعلم وعلمه ذاته فيشاركك المحدثات في انه عالم بعلم وبباينها في ان علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا كالاجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالاقدار الى غير ذلك ووافقه زرارة بن اعين في حدوث علم الله تعالى وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته وانه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالما ولا قادرا ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا ولا متكلما وكان يقول بامامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه في مسائل ولم يجده بها مليا رجع الى موسى بن جعفر وقيل ايضا انه لم يقل بامامته الا انه اشار الى المصحف فقال هذا امامي وانه كان قد التوى على جعفر بعض الالتواء وحكى عن الزرارية ان المعرفة ضرورية وانه لا يسع جهل الائمة فان معارفهم كلها ضرورية وكل مايعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم اولى ضروري ونظرياتهم لا يدركها غيرهم النعمانية اصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول الملقب بشيطان الطاق والشيعة تقول هو مؤمن الطاق وافق هشام بن الحكم في ان الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون والتقدير عنده الارادة والارادة فعله تعالى وقال ان الله تعالى نور على صورة انسان ويابى ان يكون جسما لكنه قال قد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن فلا بد من تصديق الخبر ويحكى عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته في الصورة وكذلك يحكى عن داود الجواربي ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من اصحاب الحديث انه تعالى ذو صورة واعضاء ويحكى عن داود انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسالوني عن ما وراء ذلك فان في الاخبار مايثبت ذلك وقد صنف ابن النعمان كتابا جمة للشيعة منها افعل

لم فعلت ومنها افعل لا تفعل ويذكر فيها ان كبار الفرق اربعة القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عين الشيعة بالنجاة في الاخرة من هذه الفرق وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان انهما امسكا عن الكلام في الله وروياعمن يوجبان تصديقه انه سئل عن قول الله وان الى ربك المنتهى قال اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا فامسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتى ماتا هذا نقل الوراق ومن جملة الشيعة اليونسية اصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي مولى ال يقطين زعم ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالى اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تأط اطيطا من وطاءة عظمة الله تعالى على العرش وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتبا في ذلك النصيرية والاسحاقية من غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن اصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في اطلاق اسم الالهية على الائمة من اهل البيت قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني امر لا ينكره عاقل اما في جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر واما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه فلذلك نقول ان الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بايديهم فعن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لانه كان مخصوصا بتاييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار قال النبي صلى الله عليه وسلم انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر وعن هذا كان قتال المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين الى علي وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم والا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة اذ قال فيكم من يقاتل على تاويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم التاويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من ادل الدليل على ان فيه جزء الهيا وقوة ربانية او يكون

هو الذى ظهر الا له بصورته وخلق بيده وامر بلسانه وعن هذا قالوا كان هو موجودا قبل خلق السموات والارض قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هى حقيقية وهى مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت فى هذا العالم او فى ذلك العالم وعن هذا قال على انا من احمد كالضوء من الضوء يعنى لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثانى لاحق به قال له وهذا يدل على نوع شركة فالنصيرية اميل الى تقرير الجزء الالهى والاسحاقية اميل الى تقرير الشركة فى النبوة ولهم اختلافات اخر لم نذكرها وقد بحرت الفرق الاسلامية وما بقيت الا فرقة الباطنية وقد اوردهم اصحاب التصانيف فى كتب المقالات اما خارجة عن الفرق واما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة رجال الشيعة ومصنفو اكثرهم من الزيدية ابو خالد الواسطى ومنصور بن الاسود وهارون بن سعيد العجلى ووكيع بن الجراح ويحيى بن آدم وعبد الله ابن موسى وعلى بن صالح والفضل بن دكين من الجارودية وابو حنيفة بترية وخرج محمد بن عجلان مع محمد الامام وخرج ابراهيم بن عباد بن عوام ويزيد بن هارون والعلا بن راشد وهشيم بن بشر والعوام بن حوشب ومسلم بن سعيد مع ابراهيم الامام من الامامية وسائر اصناف الشيعة سالم بن ابى الجعد وسالم بن ابى حفصة وسلمة بن كميل وتوبة بن ابى فاختة وحبيب بن ابى ثابت ابو المقدام وشعبة والاعمش وجابر الجعفى وابو عبد الله الجدلى وابو اسحاق السبيعى والمغيرة وطاوس والشعبى وعلقمة وهبيرة بن بريم وحبة العرنى والحارث الاعور ومن مؤلفى كتبهم هشام بن الحكم وعلى بن منصور ويونس بن عبد الرحمن وشكال والفضل بن شاذان والحسين بن اشكاب ومحمد بن عبد الرحمن بن رقية وابو سهل النوبختى واحمد بن يحيى الروندى ومن المتاخرين ابو جعفر الطوسى الاسماعيلية قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنا عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الاكبر المنصوص عليه فى بدو الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بولدة من

النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله فى حق خديجة وكسنة
علىّ فى حق فاطمة وذكرنا اختلافهم فى موته فى حال حياة ابيه فمنهم
من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه الى
اولاده خاصة كما نص موسى الى هارون عليهما السلام ثم مات
هارون فى حال حياة اخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه
الى اولاده فان النص لا يرجع فيقهرى والقول بالبدأ محال ولا ينص
الامام على واحد من ولده الا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز
على الابهام والجهالة ومنهم من قال انه لم يمت لكن اظهر موته تقية عليه
حتى لا يقصد بالقتل ولهذا القول دلالات منها ان محمدا كان صغيرا وهو
اخوه لامه مضى الى السرير الذى كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاة
فابصره وهو قد فتح عينه وعدا الى ابيه مفزعا وقال عاش اخى عاش
اخى قال والده ان اولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة قالوا
وما السبب فى الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتا سجل
على موته وعن هذا ما رفع الى المنصور ان اسماعيل بن جعفر راى بالبصرة
مر على مقعد فدعاله فبرئ باذن الله بعث المنصور الى الصادق ان
اسماعيل فى الاحياء وانه راى بالبصرة انفذ السجل اليه وعليه شهادة
عامله بالمدينة قالوا وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام
وانما تم دور السبعة به ثم ابتدأ منه بالائمة المستورين الذين كانوا
يسيرون فى البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا قالوا ولن تخلو الارض
قط عن امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان
الامام ظاهرا يجوز ان يكون حجته مستورة واذا كان الامام مستورا
فلا بد ان يكون حجته وداعيه ظاهرين وقالوا انما الائمة تدور احكامهم
على سبعة سبعة كايام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبع
والنقباء تدور احكامهم على اثنى عشر قالوا وعن هذا وقعت الشبهة
للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للائمة ثم بعد الائمة
المستورين كان ظهور المهدى والقائم بامر الله واولادهم نصا بعد
نص على امام بعد امام ومذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه
مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام
مات ميتة جاهلية وكانت لهم دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة

بكل لسان فنذكرهقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة
الجديدة واشهد القابهم الباطنية الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب
لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تاويلا ولهم القاب كثيرة سوى
هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية
وبخراسان التعليمية والملحدة وهم يقولون نحن اسماعيلية لانا
تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص ثم ان الباطنية
القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على
ذلك المنهاج فقالوا فى البارى تعالى انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود
ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك فى جميع الصفات فان
الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة
التى اطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يمكن الحكم بالاثبات المطلق والنفى
المطلق بل هو اله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين
ونقلوا فى هذا ايضا عن محمد بن على الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين
قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم قادر
بمعنى انه وهب العلم والقدرة لا بمعنى انه قام به العلم والقدرة او وصف
بالعلم والقدرة فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات
عن جميع الصفات قالوا وكذلك نقول فى القدم انه ليس بقديم ولا محدث
بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته ابدع بالامر العقل الاول
الذى هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس الثانى الذى هو غير
تام ونسبة النفس الى العقل اما نسبة النطفة الى تمام الخلقة والبيض
الى الطير واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة الى المنتج واما نسبة الانثى
الى الذكر والزوج الى الزوج قالوا ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل
احتاجت الى حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى الة الحركة
فحدثت الافلاك السموية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت
الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس ايضا
فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت
النفوس الجزوية بالابدان وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات
بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار وكان عالمه فى مقابلة العالم
كله وفى العالم العلوى عقل ونفس كلى وجب ان يكون فى هذا العالم عقل

مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة هو كل ايضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه الى الكمال او حكم النطفة المتوجهة الى التمام او حكم الانثى المزدوج بالذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي قالوا وكما تحركت الافلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهي الى الدور الاخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها وكمالها بلوغها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الى مرتبة فعلا وذلك هو القيامة الكبرى فتختل تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وينشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الارض غير الارض وتطوى السموات كطي السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي ويتصل جزئيات الحق بالنفس الكل وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل فمن وقت الحركة الى السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الى ما لا نهاية له هو الكمال ثم قالوا اما من فريضة وسنة وحكم من احكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الاوله وزان من العالم عدد ان سقابلة عدد وحكما في مطابقة حكم فان الشرائع عوالم روحانية امرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والاجسام والحروف المفردة نسبتها الى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة الى المركبات من الاجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتاثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للابدان وقد قدر الله تعالى ان يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه فعلى هذا الوزان صاروا الى ذكر اعداد الكلمات والآيات وان التسمية مركبة من سبعة واثنى عشر وان التهليل مركب من اربع كلمات في احدى الشهادتين وثلث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الاولى وست في الثانية واثنا عشر حرفا في الثانية وكذلك في كل اية امكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكر فيه الا

ويعجز عن ذلك خوفا عن مقابلته بضده وهذه المقابلات كانت طريقة
اسلافهم قد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس الى امام فى كل زمان يعرف
موازنات هذه العلوم ويهتدى الى مدارج هذه الاوضاع والرسوم
ثم اصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين اظهر الحسن بن
الصباح دعوته وقصر عن الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن
بالقلاع وكان بدو صعوده الى قلعة الموت فى شعبان سنة ثلاث
وثمانين واربعمائة وذلك بعد ان هاجر الى بلاد امامه وتلقى منه كيفية
الدعوة لابناء زمانه فعاد ودعا الناس اول دعوة الى تعيين امام صادق
قائم فى كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة
وهو ان لهم اماما وليس لغيرهم امام وانما يعود خلاصة كلامه بعد
ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية الى هذا الحرف ونحن
ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولا معاب على الناقل والموفق من
اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين فنبدأ بالفصول الاربعة
التى ابتدأ الدعوة بها وكتبها بعجمية فعربتها قال للمفتى فى معرفة البارى
تعالى احد قولين اما ان يقول اعرف البارى تعالى بمجرد العقل والنظر
من غير احتياج الى تعليم معلم واما ان يقول لا طريق الى المعرفة مع العقل
والنظر الا بتعليم معلم صادق قال ومن افتى بالاول فليس له الانكار
على عقل غيره ونظره فانه متى انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل على ان
المنكر عليه يحتاج الى غيره قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا
افتى بفتوى او قال قولا فاما ان يقول من نفسه او من غيره وكذلك
اذا اعتقد عقدا فاما ان يعتقده من نفسه او من غيره هذا هو الفصل
الاول وهو كسر على اصحاب الراى والعقل وذكر فى الفصل الثانى انه اذا ثبت
الاحتياج الى معلم افيصلح كل معلم على الاطلاق ام لابد من معلم صادق
قال ومن قال انه يصلح كل معلم ما ساغ له الانكار على معلم خصمه واذا انكر
فقد سلم انه لابد من معلم معتمد صادق قيل وهذا كسر على اصحاب الحديث
وذكر فى الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم صادق افلابد
من معرفة المعلم اولا والظفر به ثم التعلم منه ام جاز التعلم من كل معلم
من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه والثانى رجوع الى الاول ومن لم
يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهو كسر

على الشيعة وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت يحتاج
في معرفة البارى تعالى الى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولا
ثم التعلم منه وفرقة اخذت في كل علم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات
السابقة ان الحق مع الفرقة الاولى فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رأس المحققين
واذا تبين ان الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رؤساء
المبطلين قال وهذه الطريقة التي عرفنا الحق بالحق معرفة مجملة ثم
نعرف بعد ذلك الحق بالحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دور ان المسائل
وانما عنى بالحق ها هنا الاحتياج وبالحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج
عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب
اى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات قال والطريق
الى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة ثم ذكر فصولا في تقرير مذهبه
اما تمهيدا واما كسرا على المذاهب واكثرها كسر والزام واستدلال بالاختلاف
على البطلان وبالاتفاق على الحق منها فصل الحق والباطل والصغير
والكبير يذكران في العالم حقا وباطلا ثم يذكران علامة الحق هي الوحدة
وعلامة الباطل هي الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الراى
والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والراى مع الفرق المختلفة وهي
مع رؤسائهم وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز
بينهما من وجه التضاد في الطرفين والترتب في احد الطرفين ميزانا
يزن به جميع ما يتكلم فيه قال وانما انشات هذا الميزان من كلمة
الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات او النفي والاستثناء قال فما هو
مستحق النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ووزن بذلك الخير
والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات ونكتته انه يرجع في كل
مقالة وكلمة الى اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معا
حتى يكون توحيدا وان النبوة هي النبوة والامامة معا حتى يكون نبوة وهذا
هو منتهى كلامه وقد منع العوام عن الخوض في المعلوم وكذلك الخواص
عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة
الرجال في كل علم ولم يتعد باصحابه في الالهيات عن قوله ان الهنا اله
محمد قال انا وانتم نقولون الهنا اله المعقول اى ما هدى اليه عقل كل
عاقل فان قيل لواحد منهم ما تقول في البارى تعالى وانه هل هو وانه

واحد ام كثير عالم قادر ام لا لم يجب الا بهذا القدر ان الهى اله محمد
وهو الذى ارسل رسوله بالهدى والرسول هو الهادى اليه وكم قد ناظرت
القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم افتحتاج اليك او نسمع
هذا منك او نتعلم عنك وكم قد ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت اين
المحتاج اليه وايش يقدر لى فى الالهيات وماذا يرسم فى المعقولات
اذ المعلم لا يعنى لعينه وانما يعنى ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم
باب التسليم والتقليد وليس يرضى عاقل بان يعتقد مذهبا على غير
بصيرة وان يسلك طريقا من غير بينة فكانت مبادى الكلام تحكيمات
وعواقبها تسليمات فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اهل الفروع
المختلفون فى الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية اعلم ان اصول
الاجتهاد واركانه اربعة وربما تعود الى اثنين الكتاب والسنة والاجماع
والقياس وانما تلقوا صحة هذه الاركان واعتصارها من اجماع الصحابة
وتلقوا اصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم ايضا فان العلم بالتواتر
قد حصل انهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الى
الاجتهاد وابتدؤا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصا او ظاهرا
تمسكوا به واجروا حكم الحادثة على مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصا فزعوا
الى السنة فان روى لهم فى ذلك خبر اخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم
يجدوا الخبر فزعوا الى الاجتهاد فكانت الاركان الاجتهادية عندهم
اثنين او ثلاثة ولنا بعدهم اربعة اذ وجب علينا الاخذ بمقتضى
اجماعهم واتفاقهم والجرى على مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة
اجماعا اجتهاديا وربما كان اجماعا مطلقا لم يصرح فيه بالاجتهاد وعلى الوجهين
جميعا فالاجماع حجة شرعية لاجماعهم على التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان
الصحابة الذين هم الائمة الراشدون لا يجتمعون على ضلال وقد قال النبى
صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتى على الضلالة ولكن الاجماع لا يخلوا
عن نص خفى او جلى قد اختصه لانا على القطع نعلم ان الصدر الاول
لا يجمعون على امر الا عن ثبت وتوقيف فاما ان يكون ذلك النص فى نفس
الحادثة قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها واما ان
يكون النص فى ان الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة وبالجملة مستند

الاجماع

الاجماع نص خفي او جلي لا محالة والا فيؤدي الى اثبات الاحكام المرسلة
ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو ايضا مستند الى نص
مخصوص في جواز الاجتهاد فرجعت الاصول الاربعة في الحقيقة الى
اثنين وربما يرجع الى واحد وهو قول الله تعالى وبالجملة نعلم قطعا ويقينا
ان الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد
ونعلم قطعا ايضا انه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضا والنصوص
اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ومالا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى
علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل
حادثة اجتهاد ثم لا يجوز ان يكون الاجتهاد مرسلا خارجا عن ضبط
الشرع فان القياس المرسل شرع آخر واثبات حكم من غير مستند
وضع آخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب على المجتهد ان لا يعدوا
في اجتهاده عن هذه الاركان وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة صدر صالح
من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز بين الالفاظ الوضعية
والمستعارة والنص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل
والمفصل ومحوى الخطاب ومفهوم الكلام وما يدل على مفهومه بالمطابقة
وما يدل بالتضمن وما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالآلة التي
بها يحصل الشئ ومن لم يحكم الآلة والاداة لم يصل الى تمام الصنعة
ثم معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق بالاحكام وما ورد من
الاخبار في معاني الآيات وما راى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا
مناهجها واى معنى فهموا من مدارجها ولو جهل تفسير سائر الآيات
التي تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضره ذلك في الاجتهاد فان
من الصحابة من كان لا يدري تلك المواعظ ولا يتعلم بعد جميع القرآن
وكان من اهل الاجتهاد ثم معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة
باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة
بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ورد في حادثة خاصة وما هو خاص عم
في الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب والندب والاباحة والحظر والكراهة
حتى لا يشذ عنه وجه من هذه الوجوه ولا يختلط عليه باب بباب ثم
معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع
اجتهاده في مخالفة الاجماع ثم التهدي الى مواضع الاقيسة وكيفية

النظر والتردد فيها من طلب اصل اولا ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه
فيعلق الحكم عليه او شبه مغلب على الظن فيلحق الحكم به فهذه خمس
شرائط لابد من اعتبارها حتى يكون المجتهد مجتهدا واجب الاتباع
والتقليد في حق العامي والا فكل حكم لم يستند الى قياس واجتهاد مثل
ماذكرنا فهو مرسل مهمل قالوا فاذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له
الاجتهاد ويكون الحكم الذي ادى اليه اجتهاده سائغا في الشرع ووجب
على العامي تقليده والاخذ بفتواه وقد استفاض الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه لما بعث معاذا الى اليمن قال يا معاذ بم تحكم قال بكتاب
الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد
راي قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما
يرضاه وقد روى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا الى اليمن قلت يا رسول الله
كيف اقضي بين الناس وانا حديث السن فضرب رسول الله بيده صدري
وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فما شككت بعد ذلك في قضاء بين
اثنين ثم اختلف اهل الاصول في تصويب المجتهدين في الاصول والفروع
فعامة اهل الاصول على ان الناظر في المسائل الاصولية والاحكام العقلية
اليقينية القطعية يجب ان يكون متعينا الاصابة فالمصيب فيها واحد
بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف في
بالنفي والاثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفي احدهما ما يثبته
الاخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته الاوان يقتسما
الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين اهل الاصول
في الاسلام او بين اهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه
لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة
وهو مثل قول احد المخبرين زيد في هذه الدار في هذه الساعة وقول الثاني
ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم قطعا ان احد المخبرين
صادق والثاني كاذب لان المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا
فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار نعم قد يختلف المختلفان في مسئلة
ويكون محل الاختلاف مشتركا وشرط تقابل القضيتين فاقدا حينئذ
يمكن ان يصوب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك او يعود

النزاع الى احد الطرفين مثال ذلك المختلفان فى مسئلة الكلام ليسا
يتواردان على معنى واحد بالنفى والاثبات فان الذى قال هو مخلوق
اراد به ان الكلام هو الحروف والاصوات فى اللسان والرقوم والكلمات
فى الكتابة قال وهذا مخلوق والذى قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف
والرقوم وانما اراد معنى آخر فلم يتوارد بالتنازع فى الخلق على معنى واحد
وكذلك فى مسئلة الرؤية فان النافى قال الرؤية اتصال شعاع بالمرئى
وهو لا يجوز فى حق البارى تعالى والمثبت قال الرؤية ادراك او علم
مخصوص ويجوز تعلقه بالبارى تعالى فلم يتوارد النفى والاثبات
على معنى واحد الا اذا رجع الكلام الى اثبات حقيقة الرؤية فيتفقان
اولا على انها ما هى ثم يتكلمان نفيا واثباتا وكذلك فى مسئلة الكلام يرجعان
الى اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان نفيا واثباتا والا فيمكن ان يصدق
القضيتان وقد صار ابو الحسن العنبرى الى ان كل مجتهد ناظر فى الاصول
مصيب لانه ادى ما كلف من المبالغة فى تسديد النظر والمنظور فيه
وان كان متعينا نفيا واثباتا الا انه اصاب من وجه وانما ذكر هذا فى
الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص
والاجماع على كفرهم وخطائهم وكان سياق مذهبهم يقتضى تصويب كل
ناظر مجتهد على الاطلاق الا ان النصوص والاجماع صدته عن تصويب
كل ناظر وتصديق كل قائل وللاصوليين خلاف فى تكفير اهل الاهواء
مع قطعهم بان المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعى والتصويب
حكم عقلى فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ومن متساهل
متالف لم يكفر ومن كفر قرب كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من اهل
الاهواء والملل كتقريب القدرية بالمجوس وتقريب المشبهة باليهود
والرافضة بالنصارى فاجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة واكل الذبيحة
ومن ساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وحكم بانهم هلكى فى الاخرة واختلفوا
فى اللعن على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليل وكذلك من خرج على
الامام الحق بغيا وعدوانا فان كان صدر خروجه عن تاويل واجتهاد
سمى باغيا مخطئا ثم البغى هل يوجب اللعن فعند اهل السنة اذا لم يخرج
بالبغى عن الايمان لم يستوجب اللعن وعند المعتزلة يستحق اللعن
بحكم فسقه والفاسق خارج عن الايمان وان كان صدر خروجه عن

البغي والحسد والمروق عن اجماع المسلمين استحق اللعن باللسان والقتل بالسيف والسنان واما المجتهدون في الفروع فاختلفوا في الاحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها وانما يبتني ذلك على اصل وهو انا نبحث هل لله تعالى حكم في كل حادثة ام لا فمن الاصوليين من صار الى ان لا حكم لله تعالى في الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفي كل حركة يتحرك بها الانسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطلب لابد له من مطلوب والاجتهاد يجب ان يكون في شيء الى شيء فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية او التقريب من حيث الاحكام والصور حتى يثبت في المجتهد فيه مثل ما تلقاه في المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه فعلى هذا المذهب المصيب واحد المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان الثاني معذورا نوع عذر اذا لم يقصر في الاجتهاد ثم هل يتعين المصيب ام لا فاكثرهم على انه لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينه ومن الاصوليين من فصل الامر فيه فقال ينظر في المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة في احد المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم يكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب في اجتهاده واحدهما مصيب في الحكم لا بعينه هذه جملة كافية في احكام المجتهدين في الاصول والفروع والمسئلة والقضية معضلة ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الاعيان حتى اذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصر فيه اهل عصر عصوا بتركه واشرفوا على خطر عظيم فان الاحكام الاجتهادية اذا كانت مرتبة على الاجتهاد ترتيب المسبب على السبب ولم يوجد السبب كانت الاحكام عاطلة والاراء كلها فائلة فلا بد اذا من مجتهد واذا اجتهد المجتهدان وادى اجتهاد كل واحد منهما الى خلاف ما ادى اليه اجتهاد الآخر فلا يجوز لاحدهما تقليد الآخر وكذلك اذا اجتهد مجتهد واحد في حادثة وادى اجتهاده الى جواز او حظر ثم حدثت تلك الحادثة بعينها في وقت آخر فلا يجوز له ان يأخذ

باجتهاده الاول اذ يجوز ان يبدو له فى الاجتهاد الثانى ما اغفله فى الاول
واما العامى فيجب عليه تقليد المجتهد وانما مذهبه فيما يساله مذهب
من يساله عنه هذا هو الاصل الا ان علماء الفريقين لم يجوزوا ان
ياخذ العامى الحنفى الا بمذهب ابى حنيفة والعامى الشفعوى الا بمذهب
الشافعى لان الحكم بان لا مذهب للعامى وان مذهبه مذهب المفتى يؤدى
الى خلط وخبط فلهذا لم يجوزوا ذلك واذا كان مجتهدان فى بلد اجتهد
العامى فيهما حتى يختار الافضل والاورع ويأخذ بفتواه واذا افتى المفتى
على مذهبه وحكم به قاض من القضاة على مقتضى فتواه ثبت الحكم على
المذاهب كلها وكان القضاء اذا اتصل بالفتوى الزم الحكم كالقبض مثلا
اذا اتصل بالعقد ثم العامى باى شئ يعرف ان العالم قد وصل الى حد
الاجتهاد وكذلك المجتهد نفسه متى يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد
ففيه نظر ومن اصحاب الظاهر مثل داود الاصفهانى وغيره ممن لم يجوز
القياس والاجتهاد فى الاحكام وقال الاصول هو الكتاب والسنة
والاجماع فقط ومنع ان يكون القياس اصلا من الاصول وقال اول
من قاس ابليس وظن ان القياس امر خارج عن مضمون الكتاب
والسنة ولم يدر انه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ولم ينضبط
قط شريعة من الشرائع الا باقتران الاجتهاد به لان من ضرورة
الانتشار فى العالم الحكم بان الاجتهاد معتبر وقد رأينا الصحابة كيف
اجتهدوا وكم قاسوا خصوصا فى مسائل الميراث من توريث الاخوة
مع الجد وكيفية توريث الكلالة وذلك مما لا يخفى على المتدبر لاحوالهم
ثم المجتهدون من ائمة الامة محصورون فى صنفين لا يعدوان الى ثالث
اصحاب الحديث واصحاب الراى اصحاب الحديث وهم اهل الحجاز هم
اصحاب مالك بن انس واصحاب محمد بن ادريس الشافعى واصحاب
سفيان الثورى واصحاب احمد بن حنبل واصحاب داود بن على بن محمد
الاصفهانى وانما سموا اصحاب الحديث لان عنايتهم بتحصيل الاحاديث
ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس
الجلى والخفى ما وجدوا خبرا او اثرا وقد قال الشافعى رضى الله عنه اذا
وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى فاعلموا ان مذهبى
ذلك الخبر ومن اصحابه ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى والربيع بن

سليمان الجيزي وحرملة بن يحيى التجيبي والربيع المرادي وابو يعقوب
البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبد
الحكم المصري وابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون على اجتهاده
اجتهادا بل ينصرفون فيما نقل عنه توجيها واستنباطا ويصدرون عن
رايه جملة ولا يخالفونه بتة اصحاب الراي وهم اهل العراق هم اصحاب
ابي حنيفة النعمان بن ثابت ومن اصحابه محمد بن الحسن وابو يوسف يعقوب
ابن محمد القاضي وزفر بن هذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة
وعافية القاضي وابو مطيع البلخي وبشر المريسي وانما سموا اصحاب الراي
لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام
وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار وقد قال
ابو حنيفة رحمه الله علمنا هذا راي وهو احسن ما قدرنا عليه فمن قدر على
غير ذلك فله ما راى ولنا ما رايناه وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا
ويخالفونه في الحكم الاجتهادي والمسائل التي خالفوه فيها معروفة وبين
الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات
وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كانهم اشرفوا على القطع واليقين
وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا الخارجون
عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ممن يقول بشريعة واحكام
وحدود واعلام وهم قد انقسموا الى من له كتاب محقق مثل التوراة
والانجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل يا اهل الكتاب والى من له شبهة
كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي انزلت على ابراهيم عليه
السلام قد رفعت الى السماء لاحداث احدثها المجوس ولهذا يجوز عقد
العهد والذمام معهم وننحى بهم نحو اليهود والنصارى اذ هم من اهل الكتاب
ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم فنحن نقدم
ذكر اهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب
اهل الكتاب الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون
والامي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون
بمكة واهل الكتاب كانوا ينصرون دين الاسباط ويذهبون مذهب بني
اسرائيل والاميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بني
اسماعيل ولما انشعب النور الوارد من آدم عليه السلام الى ابراهيم ثم

الصادر عنه على شعبين شعب فى بنى اسرائيل وشعب فى بنى اسماعيل وكان
النور المنحدر منه الى بنى اسرائيل ظاهرا والنور المنحدر منه الى بنى اسماعيل
مخفيا كان يستدل على النور الظاهر بظهور الاشخاص واظهار النبوة فى
شخص شخص ويستدل على النور المخفى بابانة المناسك والعلامات
وستر الحال فى الاشخاص وقبلة الفرقة الاولى بيت المقدس وقبلة الفرقة
الثانية بيت الله الحرام وشريعة الاولى ظواهر الاحكام وشريعة الثانية
رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الاول الكافرون مثل فرعون وهامان
وخصماء الفريق الثانى المشركون مثل عبدة الاصنام والاوثان فتقابل
الفريقان وصح التقسيم بهذين المتقابلين اليهود والنصارى هاتان
الامتان من كبارام اهل الكتاب والامة اليهودية اكبر لان الشريعة
كانت لموسى عليه السلام وجميع بنى اسرائيل كانوا متعبدين بذلك
مكلفين بالتزام احكام التوراة والانجيل النازل على المسيح عليه السلام
لم يختص احكاما ولا استنبطن حلالا وحراما ولكنه رموز وامثال ومواعظ
ومزاجر وما سواها من الشرائع والاحكام فمحالة على التوراة كما سنبين
فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى عليه السلام وادعوا
عليه انه كان مامورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة فغير وبدل وعدوا
عليه تلك التغييرات منها تغيير السبت الى الاحد ومنها تغيير اكل الخنزير
وكان حراما فى التوراة ومنها الختان والغسل و
قد بينوا ان الامتين قد بدلوا وحرفوا والا فعيد
به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمحمد
الله عليهم اجمعين وقدامرهم ائمتهم وانبياؤهم وكتابهم بذلك وانما بنى
اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول آخر الزمان
فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الى تلك القلاع والبقاع حتى اذا ظهر
وعلن الحق بعدان هاجروا الى يثرب هجروه وتركوا نصره وذلك قوله
تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين وانما الخلاف بين اليهود والنصارى
ماكان يرتفع الا بحكمة اذا كانت اليهود تقول ليست النصارى على شئ
وكانت النصارى تقول ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب وكان
النبى عليه السلام يقول لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل

وماكان يمكنهم اقامتها الا باقامة القرآن وتحكيم نبي الرحمة رسول آخر الزمان
فلما ابوا ذلك ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك
بانهم كانوا يكفرون بايات الله اليهود خاصة هاد الرجل اى رجع وتاب
وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك اى رجعنا
وتضرعنا وهم امة موسى وكتابهم التوراة وهو اول كتاب نزل من السماء
اعنى ان ماكان نزل على ابراهيم وغيره من الانبياء ماكان يسمى كتابا بل
صحفا وقد ورد فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فاثبت لها
اختصاصا آخر سوى سائر الكتب وقد اشتمل ذلك على اسفار فيذكر
مبتدا الخلق فى السفر الاول ثم يذكر الاحكام والحدود والاحوال والقصص
والمواعظ والاذكار فى سفر سفر وانزل عليه ايضا الالواح على شبه
مختصر ما فى التوراة يشتمل على الاقسام العلمية والعملية قال عز ذكره
وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة اشارة الى تمام القسم العلمى
وتفصيلا لكل شئ اشارة الى تمام القسم العملى قالوا لما كان موسى قد افضى
باسرار التوراة والالواح الى يوشع بن نون وصيه من بعده ليفضى الى
اولاد هارون لان الامر كان مشتركا بينه وبين اخيه هارون اذ قال
واشركه فى امرى وكان هو الوصى فلما مات هارون فى حال حياته انتقلت
الوصاية الى يوشع بن نون وديعة فليوصلها الى شبير وشبر ابنى هارون
قرارا وذلك ان الوصية والامامة بعضها مستقر وبعضها مستودع *
واليهود تدعى ان الشريعة لا تكون الا واحدة وهى ابتدات بموسى وعمت
به فلم يكن قبله شريعة الا حدود عقلية واحكام مصلحية ولم يجيزوا
النسخ اصلا قالوا فلا يكون بعده شريعة اخرى لان النسخ فى الاوامر
بداء ولا يجوز البداء على الله ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى
التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واحالتها اما
النسخ فكما ذكرنا واما التشبيه فلانهم وجدوا التوراة ملئ من المتشابهات
مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول عند طور سينا انتقالا
والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤية فوقا وغير ذلك واما
القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين فى الاسلام
فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا والقرائون كالمجبرة والمشبهة واما جواز

الرجعة فانما وقع لهم من امرين احدهما حديث عزير اذ اماته الله مائة عام
ثم بعثه والثانى حديث هارون عليه السلام اذ مات فى التيه وقد نسبوا
موسى الى قتله قالوا حسده لان اليهود كانت اليه اميل منهم الى موسى
واختلفوا فى حال موته فمنهم من قال مات وسيرجع ومنهم من قال غاب
وسيرجع واعلم ان التوراة قد اشتملت باسرها على دلالات وايات تدل
على كون شريعة المصطفى عليه السلام حقا وكون صاحب الشريعة
صادقا قابلة ما حرفوه وغيروه وبدلوه اما تحريفا من حيث الكتابة
والصورة واما تحريفا من حيث التفسير والتاويل واظهرها ذكر ابراهيم
عليه السلام وابنه اسماعيل ودعاؤه فى حقه وفى ذريته واجابة الرب
تعالى اياه انى باركت على اسماعيل واولاده وجعلت فيهم الخير كله *
وساظهرهم على الامم كلها وسابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتى
واليهود معترفون بهذه القصة الا انهم يقولون اجابه بالملك دون
النبوة والرسالة وقد الزمتهم ان الملك الذى سلمتم انه ملك بعدل
وحق ام لا فان لم يكن بعدل وحق فكيف يمن على ابراهيم بملك فى اولاده
هو جور وظلم وان سلمتم العدل والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان
يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه ويقوله وكيف يكون الكاذب
على الله تعالى صاحب عدل وحق اذ لا ظلم اشد من الكذب على الله تعالى
ففى تكذيبه تجويزه وفى التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف ومن
العجب ان فى التوراة ان الاسباط من بنى اسرائيل كانوا يراجعون القبائل
من بنى اسماعيل ويعلمون ان فى ذلك الشعب علما لدنيا لم يشتمل التوراة
عليه وورد فى التواريخ ان اولاد اسماعيل كانوا يسمون آل الله واهل الله
واولاد اسرائيل آل يعقوب وآل موسى وآل [illegible]
وقد ورد فى التوراة ان الله تعالى جاء من
بفاران وساعير جبال بيت المقدس الذ[illegible]
وفاران جبال مكة الذى كانت مظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم ولما
كانت الاسرار الالهية والانوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة
والتاويل على مراتب ثلاث مبدأ ووسط وكمال والمجئ اشبه بالمبدا والظهور
بالوسط والاعلان بالكمال عبر التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل
بالمجئ على طور سينا وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير وعن البلوغ

الى درجة الكمال والاستواء بالاعلان على فاران وفى هذه الكلمة اثبات
نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام وقد قال المسيح فى الانجيل ما جئت
لابطل التوراة بل جئت لاكملها قال صاحب التوراة النفس بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والجروح قصاص واقول
اذا لطمك لخوك على خدك الايمن فضع له خدك الايسر والشريعة الاخيرة
وردت بالامرين جميعا اما القصاص ففى قوله تعالى كتب عليكم القصاص
واما العفو ففى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ففى التوراة احكام
السياسة الظاهرة العامة وفى الانجيل احكام السياسة الباطنة الخاصة
وفى القرآن احكام السياستين جميعا ولكم فى القصاص حياة اشارة الى
تحقيق السياسة الظاهرة خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
اشارة الى تحقيق السياسة الباطنة الخاصة وقد قال عليه السلام
هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك ومن العجب
ان من راى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة الى درجة
كيف يسوغ له تكذيبه والنسخ فى الحقيقة ليس ابطالا بل هو تكميل وفى
التوراة احكام عامة واحكام مخصوصة اما باشخاص واما بازمان واذا
انتهى الزمان لم يبق ذلك لا محالة ولا يقال انه ابطال او بداء كذلك ها هنا
واما السبت فلو ان اليهود عرفوا لم ورد التكليف بملازمة السبت وهو
يوم اى شخص من الاشخاص وفى مقابلة اية حالة وجزوى اى زمان
عرفوا ان الشريعة الاخيرة حق وانها جاءت لتقرير السبت لا لابطاله
وهم الذين عدوا فى السبت حتى مسخوا قردة خاسئين وهم يعترفون
بان موسى عليه السلام بنى بيتا وصور فيه صورا واشخاصا وبين مراتب
الصور واشار الى تلك الرموز لكن لما فقدوا اللباب باب حطة ولم يمكنهم
التسور على سنن اللصوص تحيروا تائهين وتاهوا متحيرين واختلفوا
نيفا وسبعين فرقة ونحن نذكر منها اشهرها واظهرها عندهم ونترك
الباقى فهلو العنانية ينسبوا الى رجل يقال له عنان بن داود راس الجالوت
يخالفون سائر اليهود فى السبت والاصياد ويقتصرون على اكل الطير والظبا
والسمك ويذبحون الحيوان على القفا ويصدقون عيسى عليه السلام
فى مواعظه واشاراته ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قررها
ودعا الناس اليها وهو من بنى اسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن

المسجين

المستجيبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون بنبوته ورسالته ومن
هؤلاء من يقول ان عيسى عليه السلام لم يدع انه نبي مرسل وانه صاحب
شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من اولياء الله المخلصين
العارفين احكام التوراة والانجيل ليس كتابا منزلا عليه ووحيا من الله
تعالى بل هو جمع احواله من مبدئه الى كماله وانما جمعه اربعة من اصحابه
الحواريين فكيف يكون كتابا منزلا قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه اولا
ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخرا ولم يعلموا بعد محله ومغزاه وقد
ورد في التوراة ذكر المسيح في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم
يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة ورد فارقليطا وهو الرجل العالم وكذلك
ورد ذكره في الانجيل فوجب حمله على ما وجد وعلى من ادعى ذلك تحقيقه
وحده العيسوية نسبوا الى ابي عيسى اسحاق بن يعقوب الاصفهاني
وقيل اسمه عوفيد الوهيم اى عابد الله كان في زمان المنصور وابتدأ دعوته
في زمن اخر ملوك بني امية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود
وادعوا له آيات ومعجزات وزعموا انه لما حورب خط على اصحابه خطا بعود
آس وقال اقيموا في هذا الخط فليس بينكم عدو بسلاح فكان العدو يحملون
عليهم حتى اذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم او عزيمة ربما وضعها
ثم ابو عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيرا
وذهب الى بني موسى بن عمران الذين هم وراء الرمل ليسمعهم كلام الله
وقيل انه لما حارب اصحاب المنصور بالري قتل وقتل اصحابه وزعم
عيسى انه نبي وانه رسول المسيح المنتظر وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل
يأتون قبله واحدا بعد واحد وزعم ان الله تعالى كلمه وكلفه ان يخلص بني
اسرائيل من ايدي الامم العاصين والملوك الظالمين وزعم ان المسيح
افضل ولد آدم وانه اعلى منزلة من الانبياء الماضين واذ هو رسوله
فهو افضل الكل ايضا وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي
وزعم ان الداعي ايضا هو المسيح وحرم في كتابه الذبائح كلها ونهى عن
اكل ذي روح على الاطلاق طيرا كان او بهيمة واوجب عشر صلوات
وامر اصحابه باقامتها وذكر اوقاتها وخالف اليهود في كثير من احكام
الشريعة الكبيرة المذكورة في التوراة المقاربة واليوذعانية نسبوا
الى يوذعان رجل من همدان وقيل كان اسمه يهودا يحث على الزهد

وتكثير الصلاة وينهى عن اللحوم والانبذة وفيما نقل عنه تعظيم امر الداعى
وكان يزعم ان للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتاويلا خالف بتاويلاته
عامة اليهود وخالفهم فى التشبيه ومال الى القدر واثبت الفعل حقيقة
للعبد وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد فى ذلك ومنهم الموشكانية
اصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه
ونصب القتال معهم فخرج فى تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر
عن جماعة من الموشكانية انهم اثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى
العرب وسائر الناس سوى اليهود لانهم اهل ملة وكتاب وزعمت فرقة
من المقاربة ان الله تعالى خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه
على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل ما فى التوراة وسائر الكتب
من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز ان يوصف
البارى تعالى بوصف قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما
هو ذلك الملك والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك ويتعالى
الرب تعالى عن ان يكلم بشرا تكليما وحمل جميع ما ورد فى التوراة من طلب
الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله فى السحاب وكتب التوراة بيده
واستوى على العرش قرارا وله صورة آدم وشعر قطط وفرة سوداء وانه
بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه
الى غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز فى العادة ان يبعث ملكا واحدا
من جملة خواصه ويلقى عليه اسمه ويقول هذا هو رسولى ومكانه فيكم
مكانى وقوله وامرى قولى وامرى وظهوره عليكم ظهورى كذلك يكون حال
ذلك الملك وقيل ان اريوس قال فى المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم
اخذ قوله من هؤلاء وهم كانوا قبل اريوس باربعمائة سنة وهم اصحاب زهد
وتقشف وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندى قرر لهم
هذا المذهب واعلمهم ان الآيات المتشابهة فى التوراة كلها مؤولة وانه تعالى
لا يوصف باوصاف البشر ولا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شئ
منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة فى التوراة ذلك الملك المعظم وهذا
كما يحمل فى القرآن المجئ والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال
فى حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفى مواضع اخر فنفخنا
فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشرا سويا ليهب لها

غلاما زكيا السامرة هؤلاء قوم يسكنون بيت المقدس وقرايا من اعمال
مصر يتقشفون فى الطهارة اكثر من تقشف سائر اليهود اثبتوا نبوة
موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وانكروا نبوة من
بعدهم رأسا الا نبيا واحدا وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبى واحد
يأتى من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا
يخالفها البتة وظهر فى السامرة رجل يقال له الالفان ادعى النبوة
وزعم انه هو الذى بشر به موسى وانه هو الكوكب الذى ورد فى التوراة
انه يضئ ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب
من مائتى سنة وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الالفانية والى
كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية
معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب
فيها والدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب فى الدنيا وبين الفريقين
اختلاف فى الاحكام والشرائع وقبلة السامرة جبل يقال له غريم
بين بيت المقدس ونابلس قالوا ان الله تعالى امر داود النبى عليه السلام
ان يبنى بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذى كلم الله عليه موسى
عليه السلام فحول داود الى ايليا وبنى البيت ثمة وخالف الامر وظلم
والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة
اليهود وزعموا ان التوراة كانت بلسانهم وهى قريبة من العبرانية
فنقلت الى السريانية فهذه اربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق
الى احدى وسبعين فرقة وهم باسرهم اجمعوا على ان فى التوراة بشارة
بواحد بعد موسى وانما افترقهم اما فى تعيين ذلك الواحد او فى الزيادة
على الواحد وذكر المشيحا واثاره ظاهر فى الاسفار وخروج واحد فى آخر
الزمان وهو الكوكب المضئ الذى تشرق الارض بنوره ايضا متفق
عليه واليهود على انتظاره والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء
بعد الخلق وقد اجمعت اليهود على ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات
استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا احدى رجليه على الاخرى
فقالت فرقة منهم ان الستة الايام هى ستة آلاف سنة فان يوما عند الله
كالف سنة مما يعد بالسير القمرى وذلك هو ما مضى من لدن آدم الى
يومنا هذا وبه يتم الخلق ثم اذا بلغ الخلق الى النهاية ابتدأ الامر ومن

ابتداء الامر يكون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك امرا
كان ومضى بل هو في المستقبل اذا عددنا الايام بالالوف النصارى
امة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وهو المبعوث حقا بعد موسى
عليه السلام المبشر به في التوراة وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة
مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته آية
كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير
تعليم سالف وجميع الانبياء بلاغ وحيهم اربعون سنة وقد اوحى اليه
انطاقا في المهد واوحى اليه ابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته
ثلوث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام فلما رفع الى السماء اختلف الحواريون
وغيرهم فيه وانما اختلافهم تعود الى امرين احدهما كيفية نزوله واتصاله
بامه وتجسد الكلمة والثاني كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد
الكلمة اما الاول فقضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد
كلام فمنهم من قال اشرق على الجسد اشراق النور على الجسم المشف ومنهم
من قال انطبع فيه انطباع النقش في الشمعة ومنهم من قال ظهر به ظهور
الروحاني بالجسماني ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من
قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واثبتوا لله تعالى
اقانيم ثلاثة قالوا الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس
لا التحيز والجسمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالاقنومية ويعنون
بالاقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم والاب والابن وروح
القدس وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الاقانيم وقالوا في الصعود
انه قتل وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا وانكار النبوة ودرجة ولكن
القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي وانما ورد على الجزء الناسوتي قالوا
وكمال الشخص الانساني في ثلاثة اشياء نبوة وامامة وملكة وغيره
من الانبياء كانوا موصوفين بهذه الخصال الثلاث او ببعضها والمسيح
عليه السلام درجته فوق ذلك لانه الابن الوحيد فلا نظير له ولا
قياس له الى غيره من الانبياء وهو الذي به غفر زلة آدم عليه السلام
وهو الذي يحاسب الخلق ولهم في النزول خلاف فمنهم من يقول ينزل
قبل يوم القيامة كما قال اهل الاسلام ومنهم من يقول لا نزول له الا
بين الحين والحين وهو بعد ان قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا

فكلم

فكلمه واوصى اليه ثم فارق الدنيا وصعد الى السماء وكان وصيه
شمعون الصفا وهو افضل الحواريين علما وزهدا وادبا غير ان فولوس
شوش امره وصير نفسه شريكا له وغيرا وضاع علمه وخلطه بكلام
الفلاسفة ووسوس خاطره ورايت رسالة لفولوس كتبها الى اليونانيين
انكم تظنون ان مكان عيسى عليه السلام كمكان سائر الانبياء وليس
كذلك بل انما مثله مثل ملكيزداق وهو ملك السلام الذى كان ابراهيم
عليه السلام يعطى اليه العشور فكان يبارك على ابراهيم ويمسح راسه
ومن العجب انه نقل فى الاناجيل ان الرب تعالى قال انك انت الابن الوحيد
ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر ثم ان اربعة من الحواريين اجتمعوا
وجمع كل واحد منهم جمعا للانجيل وهم متى ولوقا ومارقوس ويوحنا
وخاتمة انجيل متى انه قال انى ارسلكم الى الامم كما ارسلنى ابى اليكم فاذهبوا
وادعوا الامم باسم الرب والابن وروح القدس وفاتحة انجيل يوحنا
على القديم الازلى قد كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو
كان الكلمة وكل كان بيده ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة
وكبار فرقهم ثلاثة الملكائية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها
الاليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية
والبولية الى سائر الفرق الملكائية اصحاب ملكا الذى ظهر بالروم
واستولى عليها ومعظم الروم ملكائية قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح
وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ويعنون بروح القدس
اقنوم الحياة ولا يسمون العلم قبل تدرعه بابنا بل المسيح مع ما تدرع به
ابن فقال بعضهم ان الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن او الماء
اللبن وصرحت الملكائية بان الجوهر غير الاقانيم وذلك كالموصوف
والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القرآن لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقالت الملكائية المسيح ناسوت كلى
لاجزئى وهو قديم ازلى من قديم ازلى ولقد ولدت مريم عليها السلام
الها ازليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت واما لفظ
الابوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث
قال انك انت الابن الوحيد وحيث قال شمعون الصفا انك ابن الله حقا
ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا ابناء الدنيا ولطلاب الآخرة

ابناء الآخرة وقد قال المسيح للحواريين انا اقول لكم احبوا اعداءكم وباركوا على
لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكى تكونوا ابناء ابيكم
الذى فى السماء الذى تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وينزل قطره على
الابرار والاثمة وتكونوا تامين كما ان اباكم الذى فى السماء تام وقال انظروا
صدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لترآوهم فلا يكون لكم اجر عند ابيكم
الذى فى السماء وقال حين كان يصلب اذهب الى ابى وابيكم ولما قال اريوس
القديم هو الله والمسيح مخلوق اجتمعت البطارقة والمطارنة والاساقفة
فى بلد قسطنطنية بمحضر من ملكهم وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا واتفقوا
على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك قولهم نؤمن بالله الواحد الاب
مالك كل شئ وصانع مايرى ومالايرى وبالابن الواحد ايشوع المسيح
ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من
جوهر ابيه الذى بيده اتقنت العوالم وكل شئ الذى اجلنا ومن اجل
خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول
وصلب ايام فيلاطوس ودفن ثم قام فى اليوم الثالث وصعد الى السماء
وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجئ تارة اخرى للقضاء بين الاموات
والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من ابيه
وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية
وبقيام ابداننا وبالحياة الدائمة ابد الابدين هذا هو الاتفاق الاول
على هذه الكلمات وفيه اشارة الى حشر الابدان وفى النصارى من قال
بحشر الارواح دون الابدان وقال ان عاقبة الاشرار فى القيامة غم وحزن
الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم وانكروا ان يكون فى الجنة نكاح
واكل وشرب وقال مار اسحاق منهم ان الله تعالى وعد المطيعين وتوعد
العاصين ولا يجوز ان يخالف الوعد لانه لا يليق بالكرم لكن يخالف الوعيد
فلا يعذب العصاة ويرجع الخلق الى سرور وسعادة وعم هذا فى الكل
از العقاب الابدى لا يليق بالجواد الحق النسطورية اصحاب نسطور
الحكيم الذى ظهر فى زمان المامون وتصرف فى الاناجيل بحكم رايه واضافته
اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم
ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات
ولا هى هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق

الامتزاج كما قالت الملكائية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية
ولكن كاشراق الشمس فى كوة او على بلور او كظهور النقش فى الخاتم واشبه
المذاهب بمذهب نسطور فى الاقانيم لحوال ابى هاشم من المعتزلة فانه
يثبت خواص مختلفة لشئ واحد ويعنى بقوله هو واحد بالجوهر اى ليس
مركبا من جنس بل هو بسيط واحد ويعنى بالحياة والعلم اقنومين
جوهريين اى اصلين مبدائين للعالم ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ويرجع
منتهى كلامه الى اثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا كما تقوله الفلاسفة
فى حد الانسان الا ان هذه المعانى تتغاير فى الانسان لكونه مركبا
وهو جوهر بسيط غير مركب وبعضهم يثبت لله تعالى صفات اخر
بمنزلة القدرة والارادة ونحوهما ولم يجعلوها اقانيم كما جعلوا الحياة
والعلم اقنومين ومنهم من اطلق القول بان كل واحد من الاقانيم الثلاثة
حى ناطق اله وزعم الباقون ان اسم الاله لا ينطلق على كل واحد من
الاقانيم وزعموا ان الابن لم يزل متولدا من الاب وانما تجسد واتحد
بجسد المسيح حين ولد والحدوث راجع الى الجسد والناسوت فهو اله
وانسان اتحدا وهما جوهران اقنومان طبيعتان جوهر قديم وجوهر
محدث اله تام وانسان تام ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث
المحدث لكنهما صارا مسيحا واحدا مشيئة واحدة وربما بدلوا العبارة
فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة ومكان الاقنوم شخصا واما قولهم فى
القتل والصلب فيخالف قول الملكائية واليعقوبية قالوا ان القتل
وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لان الاله لا تحله
الالام وبوطينوس وبولى الشمشاطى يقولان ان الاله واحد وان المسيح
ابتدأ من مريم عليها السلام وانه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى
شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على التبنى لا على الولادة والاتحاد
ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين قالوا فى المسيح مثل ما قالت
نسطور الا انهم قالوا اذا اجتهد الرجل فى العبادة وترك التغذى باللحم
والدسم ورفض الشهوات النفسانية الحيوانية يصفى جوهره حتى يبلغ
ملكوت السموات ويرى الله تعالى جهرا وينكشف له ما فى الغيب فلا
يخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ومن النسطورية من ينفى
التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية

اليعقوبية اصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم
قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده
بل هو هو وعنهم اخبرنا القرآن الكريم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم فمنهم من قال المسيح هو الله ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت
فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل
اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو وهذا كما يقال ظهر
الملك بصورة الانسان او ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما اخبر
التنزيل عن جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا وزعم اكثر
اليعقوبية ان المسيح جوهر واحد اقنوم واحد الا انه من جوهرين وربما
قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان
المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا اقنوما واحدا
وهو انسان كله والله كله فيقال الانسان صار الها ولا ينعكس فلا
يقال الاله صار انسانا كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة
نارا ولا يقال صارت النار فحمة وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة
مطلقة بل هي جمرة وزعموا ان الكلمة اتحدت بالانسان الجزوي
لا الكلي وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول
كحلول صورة الانسان في المرآة المجلوة واجمع اصحاب التثليث
منهم على ان القديم لا يجوز ان يتحد بالمحدث الا ان الاقنوم الذي هو
الكلمة اتحدت دون سائر الاقانيم واجمعوا على ان المسيح عليه السلام
ومريم عليها السلام وقتل وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك
فقالت الملكانية واليعقوبية ان الذي ولدت مريم هو الاله
فالملكانية لما اعتقدت ان المسيح ناسوت كلي ازلي قالوا ان مريم
انسان جزوي والجزوي لا يلد الكلي وانما ولدته الاقنوم القديم واليعقوبية
لما اعتقدت ان المسيح هو جوهر من جوهرين وهو اله وهو المولود
قالوا ان مريم ولدت الها تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وكذلك قالوا
في القتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين قالوا ولو وقع على احدهما
لبطل الاتحاد وزعم بعضهم انا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح
قديم من وجه محدث من وجه وزعم قوم من اليعقوبية ان الكلمة
لم تظهر من مريم شيئا لكنها مرت بها كالماء في الميزاب وما ظهر من

شخص

شخص المسيح عليه السلام في الاعين هو كالخيال والصورة في المرآة
والا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة وكذلك القتل والصلب
انما وقع على الخيال والحسبان وهؤلاء يقال لهم الاليانية وهم قوم
بالشام واليمن والارمينية قالوا وانما صلب الاله من اجلنا حتى
يخلصنا وزعم بعضهم ان الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلام
احيانا فتصدر عنه الآيات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وتفارقه في بعض الاوقات فترد عليه الالام والاوجاع ومنهم بليارس
واصحابه وحكي عنه انه كان يقول اذا صارت الناس الى الملكوت الاعلى
اكلوا الف سنة وشربوا ونالكحوا ثم صاروا الى النعيم الذي وعدهم
اريوس كلها لذة وسرور وراحة وحبور لا اكل فيها ولا شرب
ولا نكاح وزعم مقدانيوس ان الجوهر القديم اقنوم ان فحسب اب
وابن والروح مخلوق وزعم سبا ليوس ان القديم جوهر واحد اقنوم
واحد له ثلاث خواص واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم عليهما
السلام وزعم اريوس ان الله واحد سماه اباوان المسيح كلمة الله
وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق
الاشياء وزعم ان الله تعالى روحا مخلوقة اكبر من سائر الارواح
وانها واسطة بين الاب والابن تؤدي اليه الوحي وزعم ان المسيح
ابتدا جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بشئ
من الطبائع وانما تدرع بالطبائع الاربع عند الاتحاد بالجسم
الماخوذ من مريم وهذا اريوس قبل الفرق الثلاث فنبرؤا منه
لمخالفتهم اياه في المذهب من له شبهة كتاب قد بينا كيفية تحقيق
الكتاب وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الكتاب وان الصحف
التي كانت لابراهيم عليه السلام كانت شبهة كتاب وفيها مناهج
علمية ومسالك عملية اما العلميات فتقرير كيفية الخلق والابداع
وتسوية المخلوقات على نسبة نظام وقوام تحصل منها حكمة الازلية
وتنفذ فيها مشيئته السرمدية ثم تقرير التقدير والهداية عليها
ليتقدر كل نوع وصنف بقدرة المحكوم المحتوم ويقبل هدايته
السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدوا
هذين النوعين وذلك قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق

فسوى والذى قدر فهدى وقال عز وجل خبرا عن ابراهيم عليه السلام
الذى خلقنى فهو يهدين وخبرا عن موسى عليه السلام الذى
اعطى كل شئ خلقه ثم هدى واما العمليات فتزكية النفوس عن
دون الشبهات وذكر الله تعالى باقامة العبادات ورفض الشهوات
الدنية وايثار السعادات الاخروية ولن يحصل البلوغ الى كمال
المعاد الا باقامة هذين الركنين اعنى الطهارة والشهادة والعمل
كل العمل لا يعدوا هذين النوعين وذلك قوله تعالى قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى
ثم قال عز من قائل ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
فبين ان الذى اشتمل عليه الصحف هو ما اشتمل عليه هذه السورة
وبالحقيقة هذا هو الاعجاز المعنوى المجوس واصحاب الاثنين
والمانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمى
اذ كانت دعوة الانبياء بعد ابراهيم الخليل عليه السلام لم تكن فى
العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك
والسيف مثل الملة الحنيفية اذ كانت ملوك العجم كلها على ملة
ابراهيم وجميع من كان فى زمان كل واحد منهم من الرعايا فى البلاد
على اديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان اعلم العلماء
واقدم الحكماء يصدرون عن امره ولا يرجعون الا الى رايه ويعظمونه
تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت وكانت دعوة بنى اسرائيل اكثرها
فى بلاد الشام وما وراها من المغرب وقل ما سرى من ذلك الى بلاد
العجم وكانت الفرق فى زمان ابراهيم الخليل راجعة الى صنفين احدهما
الصابية والثانية الحنفاء فالصابية كانت تقول انا نحتاج فى معرفة
الله تعالى ومعرفة طاعته وامره واحكامه الى متوسط لكن ذلك
المتوسط يجب ان يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات
وطهارتها وقربها من رب الارباب والجسمانى بشر مثلنا ياكل مما
ناكل ويشرب مما نشرب يماثلنا فى المادة والصورة قالوا ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون والحنفاء كانت تقول انا نحتاج
فى المعرفة والطاعة الى متوسط من جنس البشر يكون درجته فى
الطهارة والعصمة والتاييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من

من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيلقى الوحى بطرف
الروحانية ويلقى الى نوع الانسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى وقال جل ذكره قل سبحان ربى هل كنت
الا بشرا رسولا ثم لما لم يطرق لمصابيه الاقتصار على الروحانيات البحتة
والتقرب اليها باعيانها والتلقى منها بذواتها فزعت جماعة الى هياكلها
وهى السيارات السبع وبعض الثوابت فصابئة الروم مفزعها السيارات
وصابئة الهند مفزعها الثوابت وسنذكر مذاهبهم على التفصيل ان شاء الله
تعالى ودعا نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن
الانسان شيئا والفرقة الاولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة
الاصنام وكان الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية
السمحة السهلة احتج على عبدة الاصنام قولا وفعلا كسرا من حيث
القول وكسرا من حيث الفعل فقال لابيه اذر يا ابت لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا الايات حتى جعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم وذلك الزام من حيث الفعل واقحام من حيث الكسر فقزع من
ذلك كما قال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من
نشاء ان ربك حكيم عليم ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الاوثان على صيغة
الموافقة كما قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
اى كما ابتناه الحجة كذلك نريه الحجة فساق الالزام على اضحا الهياكل
مساق الموافقة فى المبدأ والمخالفة فى النهاية ليكون الالزام ابلغ والافحام
أقوى والا فابراهيم الخليل عليه السلام لم يكن فى قوله هذا ربى
مشركا كما لم يكن فى قوله بل فعله كبيرهم هذا كاذبا وسوق الكلام على
جهة الالزام غير وسوقه على جهة الالتزام غير فلما اظهر الحجة وبين
المحجة قرر الحنيفية التى هى الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك
هو الدين القيم وكان الانبياء من اولاده كلهم يقررون الحنيفية
وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان فى تقريرها
قد بلغ النهاية القصوى واصاب فى المرمى واصمى ومن انحصار
التوحيد من احض اركان الحنيفية ولهذا اقترن نفى الشرك بكل موضع
ذكر الحنيفية حنيفا وما كان من المشركين حنفاء لله غير مشركين به
ثم الثنوية اختصت بالمجوس حتى اثبتوا اصلين اثنين مدبرين قديمين

بقسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد ويسمون احدهما
النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ولهم في ذلك تفصيل
مذهب ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احداهما بيان سبب
امتزاج النور بالظلمة والثانية سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا
الامتزاج مبدأ والخلاص معاد المجوس اثبتوا اصلين كما ذكرنا
الا ان المجوس الاصلية زعموا ان الاصلين لا يجوز ان يكونا قديمين
ازليين بل النور ازلي والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها
امن النور حدثت والنور لا يحدث شرا جزويا فكيف يحدث اصل
الشرام شيء اخر ولا شيء يشترك النور في الاحداث والقدم وبهذا
يظهر خبط المجوس وهؤلاء يقولون المبدأ الاول من الاشخاص
كيومرث وربما يقولون زروان الكبير والنبي الاخر زرادشت والكيو
مرثية يقولون كيومرث هو ادم عليه السلام وقد ورد في تواريخ الهند
والعجم كيومرث آدم ويخالفهم سائر اصحاب التواريخ الكيومرثية هم
اصحاب المقدم الاول كيومرث اثبتوا اصلين يزدان واهرمن وقالوا
يزدان ازلي قديم واهرمن محدث مخلوق قالوا ان يزدان فكر في نفسه
انه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة ردية غير مناسبة
لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمي اهرمن وكان
مطبوعا على الشر والفتنة والفساد والضرر والاضرار فخرج على
النور وخالفه طبيعة وقولا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر
الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا فصالحوا على ان يكون العالم السفلي
خالصا لاهرمن سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى النور والذين
كانوا في الدنيا قبل الصلح اباده واهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث
وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس
وخرج من اصل ريباس رجل يسمى ميشه وامرأة اسمها ميشانه
وهما ابوا البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات
وزعموا ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم
عن مواضع اهرمن وبين ان تلبسهم الاجساد فيحاربون اهرمن
فلخاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن على ان يكون لهم النصرة
من عند النور والظفر بجنود اهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر به

واهلاك جنود يكون القيامة فذلك سبب الامتزاج وهذا سبب
الخلاص الزروانية قالوا ان النور ابدع اشخاصا من نور كلها روحانية
نورانية ربانية لكن الشخص الاعظم الذى اسمه ذروان شك
فى شئ من الاشياء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك وقال
بعضهم لابل ان زروان الكبير قام قرن دسعة الاف وتسعماية
وتسعا وتسعين سنه ليكون له ابن فلم يكن ثم حدث نفسه وفكر
وقال لعل هذا العالم ليس بشئ فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد
وحدث هرمز من ذلك العلم فكانا جميعا فى بطن واحد وكان هرمز
اقرب من باب الخروج فاحتال اهرمن الشيطان حتى شق بطن امه
فخرج قبله واخذ الدنيا وقيل انه لما مثل بين يدى زروان فابصره
ورأى ما فيه من الخبث والشرارة والفساد لعنه فلعنه وطرده
فمضى واستولى على الدنيا واما هرمز فبقى زمانا لابد له عليه وهو
الذى اتخذه قوم ربا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة
والصلاح وحسن الاخلاق وزعم بعض الزروانية انه لم يزل كان
مع الله شئ ردى اما فكرة ردية اما عفونة رديه وذلك هو مصدر
الشيطان وزعموا ان الدنيا كانت سليمة من الشرور والافات
والفتن وكان اهلها فى خير محض ونعيم خالص فلما حدث اهرمن
حدثت الشرور والافات والفتن وكان يعزل من السماء فاحتال
حتى خرق السماء وصعد وقال بعضهم كان هو فى السماء والارض
خالية عنه فاحتال حتى خرق السماء ونزل الى الارض بجنوده كلها
فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتى حاصره فى جنة وحاربه
ثلاثة الاف سنه لايصل الشيطان الى الرب تعالى ثم توسطت
الملائكة وصالحا على ان يكون ابليس وجنوده فى قرار الضوء تسعة
الاف سنه بالثلاثة الاف التى قاتله فيها ثم يخرج الى موضعه وراى
الرب تعالى عن قولهم الصلاح فى احتمال المكروه من ابليس وجنوده
ولاينقضى الشر حتى تنقضى مدة الصلح فالناس فى البلايا والفتن
والرزايا والمحن الى انقضاء المدة ثم يعود الى النعيم الاول وشرط
ابليس عليه ان يمكنه من اشيا يفعلها ويطلقه فى اقفال ردية بيا شرطها
فلما فرغا من الشرط اشهد عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما

وقالا لهما من نكث فافتلاه بهذا السيف ولست اظن عاقلا يعتقد هذا
الرأى القائل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزا الى
ما يتصور فى العقل ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه
لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع هذه الخرافات سمعه واقرب
من هذا ما حكاه ابو حامد الزوزنى ان المجوس زعمت ان ابليس كان
لم يزل فى الظلمة والجو والخلاء معزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف
ويقرب بحيله حتى راى النور فوثب وثبة فصار فى سلطان الله فى النور
وادخل معه هذه الافات والشرور فخلق الله سبحانه وتعالى هذا
العالم شبكة له فوقع فيها وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع الى سلطانه
فهو محبوس فى هذا العالم مضطرب فى الحبس يرمى بالآفات والمحن
والفتن الى خلق الله فمن احياه الله رماه بالموت ومن اصحه رماه بالسقم
ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك الى يوم القيامة وكل يوم ينقص
سلطانه حتى لا يبقى له قوة فاذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت
نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه فى الجو والجو ظلمة ليس له
حد ولا منتهى ثم يجمع الله سبحانه وتعالى اهل الاديان فيحاسبهم
ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه واما المسخية فقالت ان النور
كان وحده نورا محضا ثم امتزج بعضه فصار ظلمة وكذلك الخير مدبنيه
قالوا باصلين ولهم ميل الى التناسخ والحلول وهم لا يقولون باحكام
وحلال وحرام ولقد كان فى كل امة من الامم قوم مثل الاباحية و
المزدكية والزنادقة والقرامطة كان يستولى من ذلك الدين منهم وفتنة
الناس مقصورة عليهم الزرادشتية اصحاب زرادشت بن بورشسب
الذى ظهر فى زمان كشتاسف بن لهراسب الملك وابو كان من اذربيجان
وامه من الرى واسمها دغدو زعموا ان لهم انبيا وملوكا اولهم كيومرث
وكان اول من ملك الارض وكان مقامه باصطخر وبعده اوشهنج
ابن فراول ونزل ارض الهند وكانت له دعوة تمة وبعده طهمورث
وظهرت الصابئة فى اول سنة من ملكه وبعده اخوه جم الملك
ثم بعده انبيا وملوك منهم منوجهر ونزل بابل واقام بها وزعموا ان
موسى عليه السلام ظهر فى زمانه حتى انتهى الملك الى كشتاسف
ابن لهراسب وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم زعموا ان الله عز وجل

خلق من وقت ما فى الصحف الاولى والكتاب الاعلى من ملكوته حلقا
روحانيا فلما مضت ثلاثة الاف سنه انفذ مشيئته فى صورة من
نور متلألئ على تركيب صورة الانسان واحف به سبعين من
الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب والارض وبنى
ادم غير متحركه ثلاثة الاف سنه ثم جعل روح زراد شت فى شجرة
انشاها فى اعلى عليين وغرسها فى قلة جبل من جبال اذربيجان يعرف
باسمويذ خرم ماذج سبح زراد شت بلبن بقرة فشربا بوزراد شت
فصار نطفة ثم مضغة فى رحم امه فقصدها الشيطان وغرها فسمعت
امه نداء من السماء فيه دلالات على بروها فبرات ثم لما ولد ضحك
ضحكة بينها من حضر واحتالوا على زراد شت حتى وضعوه بين
مد رجة البقر ومد رجة الخيل ومد رجة الذئب وكان ينتهض كل
واحد منهم بحمايته من جنسه وتشأ بعد ذلك الى ان بلغ ثلاثين سنة
فبعثه الله نبيا ورسولا الى الخلق فدعا كشتاسف الملك فاجابه
الى دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث وقال النور والظلمة اصلان
متضادان وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدا موجودات العالم
وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب
المختلفه والبارى تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد
لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة
كما قالت الزرد اشية لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهاره
والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان
وجود للعالم وهما بقاء ومان ويتعالبان الى ان تغلب النور الظلمة
والخير الشر ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر يحط الى عالمه وذلك
هو سبب الخلاص والبارى تعالى هو مزجهما وخلطهما لحكمة راها
فى التركيب وزعما جعل النور اصلا وقال وجوده وجود حقيقى
واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الى الشخص فانه يرى انه موجود وليس
بموجود حقيقة فابدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة
الوجود التضاد فوجوده ضرورى واقع فى الخلق لا بالمقصد الاول
كما ذكرنا فى الشخص والظل وله كتاب قد صنفه وقيل انزل ذلك عليه

وهو زند وستا يقسم العالم قسمين مينه وكيتى يعنى الروحانى والجسمانى
والروح والشخص وكما قسم الخلق الى عالمين يقول ان ما فى العالم ينقسم
قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على
الثانى ثم يتكلم فى موارد التكليف وهى حركات الانسان فيقسمها ثلاثة
اقسام منش وكوينش وكنش يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل
وبالثلاث يتم التكليف فاذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة
واذا جرى فى هذه الحركات على مقتضى الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر
وتدعى الزرادشتية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسف
فى بطنه وكان زرادشت فى الحبس فاطلق فانطلق قوائم الفرس ومنها
انه مر على اعمى بالمدينة فقال خذوا حشيشه وصفها لهم واعصروا
ماءها فى عينه فانه يبصر ففعلوا فابصر الاعمى وهذا من جملة معجزته
الخاصة الحشيشة وليس من المعجزات فى شئ ومن المجوس الزرادشتية
صنف يقال لهم السيسانية والبها فريدية رئيسهم رجل من سساق
بنسابور يقال له خواق خرج ايام ابى مسلم صاحب الدولة وكان
زمزميا فى الاصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعا المجوس الى ترك
الزمزمة وبغض عبادة النيران ووضع لهم كتابا وامرهم فيه بارسال
الشعور وحرم الامهات والبنات والاخوات وحرم عليهم الخمر وامرهم
باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وهم يتخذون الرباطات
ويتباذلون الاموال ولا يأكلون المسة ولا يذبحون الحيوان حتى عبدوم
وهو اعدى خلق الله للمجوس الزمازمة ثم ان موبد المجوس رفعه الى ابى
مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور وقال اصحابه انه صعد الى السما
على برذون اصفر وانه سينزل على البرذون فينتقم من اعدائه وهؤلاء
قد انقرضوا وانبوة زرادشت وعظموا الملوك الذين يعظمهم زرادشت
ومما اخبر به زرادشت فى كتاب زند وستا قال سيظهر فى اخر الزمان
رجل اسمه اشيذر بكا ومعناه الرجل العالم بن العالم بالدين والعدل
ثم يظهر فى زمانه بتيارة فيوقع الافة فى اخره وملكه عشرون سنة ثم يظهر
بعد ذلك اشيذر بكا على اهل العالم ويحيى العدل ويميت الجور ويرد
السنن المغيرة الى اوضاعها الاول وينقاد له الملوك ويتيسر له الامور
وينصر الدين المحق ويحصل فى زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال

المحن

المحن والله أعلم الثنوية هؤلاء اصحاب الاثنين الازليين بن عمون ان
النور والظلمة ازليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث
الظلام وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم
واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجناس
والابدان والارواح المانوية اصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذى
ظهر في زمان شابور بن ازدشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور
وذلك بعد عيسى عليه السلام اخذ دينا بين المجوسية والنصرانية
وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه
السلام حكى محمد بن هارون المعروف بابى عيسى الوراق وكان
في الاصل مجوسيا عادفا بمذاهب القوم ان الحكيم مانى زعم ان العالم
مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور والآخر ظلمة وانهما
ازليان لم يزالا ولن يزالا وانكروا وجود شئ لا من اصل قديم وزعم
انهما لم يزالا قوتين حساسين سميعين بصيرين وهما مع ذلك في
النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الحيز متحاذيان
تحاذى الشخص والظل وانما يتبينان جواهرهما واوفاقهما في
هذا الجدول

النور	الظلمة
الجوهر	الجوهر
جوهره حسن فاضل كريم صاف نقى طيب الريح حسن المنظر	جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر
النفس	النفس
نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة	نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة
الفعل	الفعل
فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق	فعلها الشر والفساد والضر والغم والتسوية والتبيير والاختلاف
الحيز	الحيز
جهة فوق واكثرهم على انه مرتفع من ناحية الشمال وزعم بعضهم انه يجانب الظلمة	جهة تحت واكثرهم على انها منحطة من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها يجانب النور
اجناسه	اجناسها
خمسة اربعة منها ابدان والخامس	خمسة اربعة منها ابدان والخامس

روحها فالابدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهي تتحرك في هذه الابدان

الصفات

حية طاهرة خيرة زكية وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له ارض وجو وارض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الارض بل هي على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة اطيب رائحة والوانها الوان قوس قزح وقال بعضهم ولا شيء الا الجسم والاجسام على ثلاثة انواع ارض الظلمة وشيء اخر اظلم منه وهو السموم قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين اراكنة وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما يتولد الحشرات من العفونات القذرة وقال وملك ذلك العالم هو روحه يجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

روحها فالابدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تدعى لهما وهي تتحرك في هذه الابدان

الصفات

خبيثة شريرة نجسة دنسة وقال بعضهم كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم لها ارض وجو فارض الظلمة لم تزل كثيفة على غير هذه الارض بل هي اكثف واصلب ورائحتها كريهة انتن الروائح والوانها لون السواد قال بعضهم ولا شيء الا الجسم والاجسام على ثلاثة انواع ارض الظلمة وشيء اخر اظلم منه وهو السموم قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين اراكنة وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما يتولد الحشرات من العفونات القذرة وقال وملك ذلك العالم هو روحه يجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه والخلاص وسببه وقال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخيط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال اكثرهم ان سبب المزاج ان ابدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الى الروح فرأت النور فبعثت الابدان على مما زجة النور فاجابتها لاسراعها الى الشر فلما راى ذلك ملك النور وجه اليها ملكا من ملائكته في خمسة اجزاء من اجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم وانما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم والهلاك والافات من

الدخان

الدخان وخالط الحريق النار والنور الظلمة والسموم الريح والضباب الماء فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن اجناس النور وما فيه من مضرة وفساد وشر فمن اجناس الظلمة فلما اراد ملك النور هذا الامتزاج اعني ملكا من ملائكته قبل هذا العالم على هذه الهيئة لتخليص اجناس النور من اجناس الظلمة واما سادت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء اجزاء النور من اجزاء الظلمة فالشمس تستصفي النور الذي امتزج بشياطين الحر والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد والنسيم الذي في الارض لا يزال يرتفع لان من شانها الارتفاع الى عالمها وكذلك جميع اجزاء النور ابدا في الصعود والارتفاع واجزاء الظلمة ابدا في النزول والتسفل حتى تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج ويحل التراكيب ويصل كل الى كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد وقال ومما يعين في التخليص والتمييز ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب واعمال البر فبرفع بذلك الاجزاء النورية في عمود الصبح الى فلك القمر فلا يزال القمر يقبل ذلك من اول الشهر الى النصف فيمتلئ فيصير بدرا ثم يؤدي الى الشمس الى اخر الشهر فتدفع الشمس الى نور فوقها فيسير في ذلك العالم الى ان يصل الى النور الاعلى الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور شئ في هذا العالم الا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل الارض ويدع الملك الذي يحتذب السموات فتسقط الاعلى على الاسفل ثم توقد نار حتى يضطرم الاعلى والاسفل ولا يزال يضطرم حتى يحلل ما فيها من النور ويكون مدة الاضطرام الفا واربعمائة وثمان وستين سنة وذكر الحكيم ماني في باب الالف من الجبلة وفي اول الشابرقان ان ملك عالم النور في كل ارضه لا يخلو منه شئ وانه ظاهر باطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهي ارضه الى ارض عدوه وقال ايضا ان ملك عالم النور في سعة ارضه وذكر ان المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث الخير والشر وقد فرض ماني على اصحابه العشر في الاموال والصلوات الاربع في اليوم والليلة والدعاء الى الحق وترك الكذب والغش والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان وان ياتي على ذي روح ما يكره ان يؤتى اليه عمله واعتقاده في الشرائع والانبياء ان اول من بعث

الله بالعلم والحكمة آدم ابو البشر ثم شيثا بعده ثم نوحا بعده ثم ابراهيم
بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة الى ارض الهند وزرادشت
الى ارض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الى ارض الروم والمغرب وفولس
بعد المسيح اليهم ثم باقي النبيين الى ارض العرب وذكر ابو سعيد المانوي
بشر من رؤسائهم ان الذي مضى من المزاج الى الوقت الذي هو فيه
وهو سنة احدى وسبعين ومايتين من الهجرة احد عشر الفا وسبعمائة
سنة وان الذي بقي الى وقت الخلاص ثلثمائة سنة وعلى مذهبه
مدة المزاج اثنى عشر الف سنة فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة
من زماننا هذا وهو احدى وعشرون وخمسمائة هجرية فنحن في اخر المزاج
وبدو الخلاص فالى الخلاص الكلي والخلال المراكيب خمسون سنة
والله اعلم المزدكية هو مزدك الذي ظهر في ايام قباد والد نوشروان
ودعا قبادا الى مذهبه فاجابه واطلع نوشروان على خبره وافترائه
فطلبه فوجده فقتله حكى الوراق ان قول المزدكيه كقول كثير من
المانوية في الكونين والاصلين الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل
بالقصد والاختيار والظلمة يفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم
حساس والظلام جاهل اعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا
بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار
وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان
اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال فاحل النساء واباح
الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلا
وحكى انه امر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة ومذهبه
في الاصول والاركان انها ثلاثة الماء والنار والارض ولما اختلطت
حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير
وما كان من كدرها فهو مدبر الشر وروى عنه ان معبوده قاعد على
كرسيه في العالم الاعلى على هيئة قعود خسرو وفي العالم الاسفل وبين
يديه اربع قوى قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدي خسرو
واربعة اشخاص موبدان موبد والهربذ الاكبر والاصبهبذ والوامشكر
وتلك الاربع يدبرون امر العالمين بسبعة من وزرائهم سالار وبشكار
وماوند وبروان وكاردان ودستور وكوذك وهذه السبعة تدور في اثنى

عشر روحانين خوانده دهنده ستاننده برنده خورنده دونده
خيزنده كشنده زننده كننده آينده شونده بايده وكل انشا اجمعت
له هذه القوى الاربع والسبعة والاثنى عشر صار ربانيا في العالم
السفلي وارتفع عنه التكليف قال وان خبر وبالعالم الاعلى انما يدبر
بالحروف التي مجموعها الاسم الاعظم ومن تصور من تلك الحروف
شيأ انفتح له السر الاكبر ومن حرم ذلك بقي في عمى الجهل والنسيان والبلاء
والغم في مقابلة القوى الاربع الروحانية وهم فرق الكروبيين وابو مسلمية
والماهينة والاسيد حامكية والكوذكية بنو احي الاهواز وفارس
وشهرزور والاخر بنو احي سغد سمرقند والشاش وايلاق الديصانية
اصحاب ديصان اثبتوا اصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا
واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا فما كان من خير ونفع
وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام
وزعموا ان النور حي عالم قادر حساس مدرك ومنه يكون الحركة والحياة
والظلام ميت جاهل عاجز جماد جواد لا فعل لها ولا تمييز وزعموا ان
الشر يقع منه طبعا وخرقا وزعموا ان النور جنس واحد وكذلك
الظلام جنس واحد وان ادراك النور ادراك متفق وان سمعه وبصره
وسائر حواسه شيء واحد فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما
قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانهما في نفسهما شيئان مختلفان
وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسة وانما وجده لونا
لان الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ووجده طعما لانها خالطته بخلاف
ذلك الضرب وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجستها
وزعموا ان النور بياض كله لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحته منه وان
الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحتها منها واختلفوا في المزاج والخلاص
فزعم بعضهم ان النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ قتاد
بها واحب ان يرتفعها ويليها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسيهما
ولكن كما ان المنشار جنسه حديد وصفحته لينة واسنانه خشنة فاللين
في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بليته حتى
يدخل تلك الفرج فما امكنه الا بتلك الخشونة فلا يقدر الوصول الى
كمال ووجود الا بليين وخشونة وقال بعضهم بل الظلام لما احتال

حتى تشبث بالنور من اسفل صيغته فاجتهد النور حتى تخلص منه
ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الانثى الذى
يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا
فيه فاحتاج النور الى زمانا ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه وقال
بعضهم ان النور انما دخل الظلام اختيارا ليصلحه ويستخرج منها
اجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبث به زمانا فصار يفعل الخير والقبيح
اضطرارا لا اختيارا ولو انفرد فى عالمه ما كان يحصل منه الا الخير
المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضرورى والفعل الاختيارى
المرفوع اثبتوا قديمين اصلين متضادين احدهما النور والاخر الظلمة
واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فان المتنافرين
المتضادين لا يمتزجان الا بجامع وقالوا الجامع دون النور فى الرتبة وفوق
الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول
الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل اذ هو قريب منها فامتزج به
ليغلبه ويلتذ بملاذه فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية
وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل السليم الواقع فى شبكة الظلام
الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه فلا يلامس النجاسة
ولم يقرب الزهومات اقلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك قالوا وانما اثبتنا
المعدل لان النور الذى هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان
وايضا فان الضدين يتنافران ان طبعا وبيانه ان ذاتا ونفسا فكيف
يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون منزلة دون
النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه وهذا على خلاف ما قاله
المانوية وان كان ديصان اقدم وانما اخذ ما اخذ منه مذهبه وخالفه
فى المعدل وهو ايضا خلاف ما قال من اثبت التضاد بين
النور والظلمة واثبت المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع المتضادين
لا يجوز ان يكون طبعه وجوهره من احد الضدين وهو الله عز وجل
الذى لا ضد له ولا ند وحكى محمد بن شعيب عن الديصانية انهم زعموا
ان المعدل هو الانثى الحساس الدراك اذ هو ليس بنور محض ولا
ظلام محض وحكى عنهم انهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه
وروحه حراما ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الالم وحكى

عن قوم من الثنوية ان النور والظلمة لم يزالا حيين الا ان النور حساس
عالم والظلام جاهل اعمى والنور يتحرك حركة مستوية والظلام يتحرك
حركة عجرفية خرقاء معوجة فبينا كذلك اذ هجم بعض هما مات الظلام
على حاشية من حواشي النور فابتلع النور منه قطعة على الجهل
لا على القصد والعلم وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين المرة والحمرة
وكان ذلك سببا لمزاج لان النور الاعظم ابرأ من الخلاص فبنى هذا
العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا
التدبير الكينونية والصيامية واصحاب التناسخ منهم حكى جماعة
من المتكلمين أن الكينونية زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء
وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين الذين
اثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع
فما دانت من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء و
الارض متوسطة وهؤلاء يتعصبون من النار شديدا من حيث انها
علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء
يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل والارض متوسطة بينهما فتركب
العالم من هذه الاصول والصيامية منهم من امسكوا عن طيبات الرزق
وتجردوا للعبادة لله وتوجهوا في عباداتهم الى النيران تعظيما لها وامسكوا
ايضا عن النكاح والذبائح والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الارواح في
الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقى من الراحة والتعب
والدعة والنصب فمرتب على ما اسلفه قبل وهو في بدن اخر حسن أو
على ذلك والانسان ابدا في احد حزبين اما في فعل واما في جزاء وما هو
فيه فاما مكافاة على عمل قدمه واما عمل ينتظر المكافاة عليه والجنة
والنار في هذه الابدان واعلى عليين درجة النبوة واسفل السافلين
دركة الحية فلا وجود اعلى من درجة الرسالة ولا وجود اسفل من رتبة
الحية ومنهم من يقول المدرج الاعلى درجة الملائكة والاسفل دركة
الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فانهم يعنون بايام
الخلاص رجوع اجزاء النور الى حالته الشريفة الحميدة وبايام اجزاء
الظلام في عالم الخسيس الذميم واما بيوت النيران للمجوس فاول بيت
بناه افريدون بيت نار بطوس واحر بمدينة بخارا هو نرسون

واتخذ بها بيتا بسجستان يدعى كركوا ولهم بيت نار في نواحي بخارا يدعا
قباذان وبيت نار يسمى كوديه بين فارس واصبهان بناه كيخسرو واخر
بقومس يسمى جريرو بيت نار يسمى كنكدز بناه سياوش في مشرق
الصين واخر بارجان من فارس اتخذه ارجان جد كشتاسف وهذه
البيوت كانت قبل زرادشت ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور
واخر ببلخ واما كشتاسف ان يطلب نارا كان يعظمها جم فوجدوها
بمدينة خوارزم فنقلها الى دارابجرد ويسمى آذرخواه والمجوس يعظمونها
اكثر من غيرها وكيخسرو لما خرج الى غزو افراسياب عظمها وسجد لها
ويقال ان نوشروان هو الذي نقلها الى الكارمان فتركوا بعضها وحملوا
بعضها الى نسا وفي بلاد الروم على باب قسطنطينيه بيت نار اتخذه
شابور بن اردشير فلم يزل كذلك الى ايام المهدي وبيت نار باسفينيا
على قرب مدينة التسلم لتوران بنت كسرى وكذلك بالهند والصين
بيوت نيران واما البوذانيون فكان لهم ثلاثة ابيات ليست فيها نار
وذكرناها والمجوس انما يعظمون النار لعلمهم منها انها جوهر شريف علوي
ومنها انها ما احرقت ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومنها ظنهم
ان التعظيم ينجيهم في المعاد عن عذاب النار وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة
واشارة أهل الاهواء والنحل وهؤلاء يقابلون ارباب الديانات
تقابل التضاد كما ذكرنا واعتمادهم على الفطرة السليمة والعقل الكامل
والذهن الصافي فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره بارادة ولا يهدي
عقله ونظره الى اعتقاد ولا يرشده فكره وذهنه الى معاد قد الف
المحسوس وركن اليه وظن انه لا عالم سوى ما هو فيه من مطعم ومشرب
ومنظر بهي ولذاذ عالم المحسوس وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون
لا يثبتون معقولا ومن تحصيل نوع تحصيل وترقى عن المحسوس واثبت
المعقول لكنه لا يقول بحدود واحكام وشريعة واسلام ويظن انه
اذا حصل المعقول واثبت للعالم مبدأ ومعادا وصل الى الكمال المطلق
من جنسه فتكون سعادته على قدر احاطته وعلمه وشقاوته بقدر
سفاهته وجهله وعقله هو المستيد بتحصيل هذه السعادة ووضعه
هو المستعد لقبول تلك الشقاوة وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون
قالوا والشرائع واضعها اموره صلحية عامة والحدود والاحكام الحلال

والحرام

والحرام امور وضعيه والشرائع لها رجال لهم حكم علمية وربما
يؤيدون من عند واهب الصور باثبات احكام ووضع حلال وحرام
مصلحة للعباد وعمارة للبلاد وما يخبرون عنه من الامور الكائنة
في الحال من احوال عالم الروحانيين من الملائكة والعرش والكرسي
واللوح والقلم فانما هي امور معقوله لهم وقد عبروا عنها بصور حسية
جسمانية وكذلك ما يخبرون من احوال المعاد من الجنة والنار ثم
قصور وانهار وطيور وثمار في الجنة فترغيبات للعوام مما يميل اليه
طباعهم وسلاسل واغلال وخزي ونكال في النار فترهيبات للعوام
مما ينزجر عنه طباعهم والا ففي العالم العلوي لا يتصور شكل ولا جسم
وصور جرمانية وهذا احسن ما يعتقد وبه في الانبياء لست اعني
بهم الذين اخذوا علومهم من مشكاة النبوة وانما اعني بهؤلاء الذين
كانوا في الزمن الاول دهرية وحشيشية وطبيعية والهية قد غلبوا
بحكمهم واستقلوا باهوائهم وبدعهم ثم يتلوهم ويقرب منهم قوم يقولون
بحدود واحكام عقلية ودنيا اخذوا اصولها وقوانينها مؤيدا بالوحي
الا انهم اقتصروا على الاول منهم وما بعدوا الى الاخر وهؤلاء هم الصابئة
الاولى الذين قالوا بما ذكرون وهم مس وهما شيث وادريس ولم يقولوا
بغيرهما من الانبياء والتقسيم الضابط ان يقول من الناس من لا
يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية ومنهم من يقول بالمحسوس
ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول
ولا يقول بحدود واحكام وهم الفلاسفة الدهرية ومنهم من يقول
بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام
وهم الصابئة ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة ما والاسلام ولا
يقول بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى
ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون ونحن قد فرغنا عمن يقول
بالشرائع والاديان فتكلم الان فيمن لا يقول بها وليستدبر ابراهيم وهواه
في مقابلتهم الصابئة قد ذكرنا ان الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة
صبا الرجل اذا مال وزاغ فحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ودينهم
عن نهج الانبياء قيل لهم الصابئة وقد يقال صبا الرجل اذا عشق
وهوى وهم يقولون الصبوة هو الانحلال عن قيد الرجال وانما ذاد

مذهبهم على التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الحنفاء هو
التعصب للبشر الجسمانيين والصابئة تدعي ان مذهبنا هو الاكتساب
والحنفا تدعي ان مذهبنا هو الفطرة فدعوة الصابئة الى الاكتساب
ودعوة الحنفا الى الفطرة اصحاب الروحانيات وفي العبادة لغتان
روحاني بالضم من الروح وروحاني بالفتح من الروح والروح
والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به
ومذهب هؤلاء ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات
الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما
يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون
المقدسون جوهرا وفعلا وحالة اما الجوهر فهم المقدسون
عن المواد الجسمانية المبرؤن عن القوى الجسدانية المنزهون عن
الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قد جبلوا على الطهارة وفطروا
على التقديس والتسبيح لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون وانما ارشدنا الى هذا معلمنا الاول عاذيمون وهرمس
فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم فهم اربابنا والهتنا ووسائطنا
وشفعاؤنا عند الله وهو رب الارباب واله الالهة فالواجب
علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب
اخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى يحصل مناسبة
ما بيننا وبين الروحانيات فنسأل حاجاتنا منهم ونعرض احوالنا
عليهم ونفوض الى جميع امورنا اليهم فيشفعون لنا الى خالقنا ويخالفهم
ويأمرنا بما نأمرهم وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل الا
بالكتاب ورياستنا وضبطنا انفسنا عن دنيات الشهوات واعتماد
من جهة الروحانيات والاستمداد هو التضرع والابتهال بالدعوات
والمواظبة على الصلوات وترك المنكرات والصيام عن المطعومات والمشروبات
وتقريب القربان والذبائح وتبخير البخورات وتعظيم العزائم فيحصل
لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم
من يدعي الوحي على وتيرة واحدة قالوا الانبياء عندنا في النوع
وانكحانا في الصورة يشاركوننا في المادة يأكلون مما نأكل ويشربون
مما نشرب وليسا هم يختلفون في الصورة اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم

وغاية مزية لهم لزومنا بعتهم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذ الخاسرون
مقالتهم واما الفعل فقالوا الروحانيات هم الاسباب المتوسطون
في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الى حال وتوجيه
المخلوقات من مبدا الى كمال يستمدون القوة من الحضرة الالهية
القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية فمنها مدبرات
الكواكب السبع السيارة في افلاكها وهي هياكلها ولكل روحاني
هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي
اختص به نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره وكانوا
يسمون الهياكل ابنايا ومما يسمونها اباء والعناصر امهات ففعل
الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات
في الطبايع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات
فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل انواع النبات
وانواع الحيوان ثم قد تكون التاثيرات كلية صادرة عن روحاني كل
وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمن جنس المطر ملك ومع
كل قطرة ملك ومنها مدبرات الاثار العلوية الظاهرة في الجو مما يصعد
من الارض فينزل مثل الامطار والثلوج والبرد والرياح ومما ينزل
من السماء مثل الصواعق والشهب ومما يحدث في الجو من الرعد والبرق
والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الاذناب والهالة والمجرة
ومما يحدث في الارض من الزلازل والمياه والابخرة الى غير ذلك
ومنها متوسطات القوى السماوية في جميع الموجودات ومدبرات الهيات
الشائعة في جميع الكائنات حتى لا ترى موجودا ما خاليا عن قوة وهذا
اذا كان قابلا لها قالوا واما الحالة فاحوال الروحانيات من الروح والريحان
والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الارباب كيف
يخفى تمتعهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل
وانسهم بذكر الله تعالى وطاعته فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ومن
قاعد لا يبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة ومن خاشع بصره
لا يرفع ومن ناظر لا يغمض ومن ساكن لا يتحرك ومن متحرك لا يسكن
ومن كروبي في عالم القدس ومن روحاني في عالم البسط لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد جردت مناظرات ومحاورات

بين الصابئة والحنفاء في المفاصلة بين الروحاني المحض وبين البشرية
البنوية ونحن اردنا ان نورد ها على شكل سؤال وجواب وفيها فوائد لا تحصى
قالت الصابئة الروحانيات ابدعت ابداعا من شئ لا مادة ولا هيولى
وهي كلها جوهر واحد على نسخ وجواهرها انوار محضة لا ظلام فيها
وهي من شدة ضيائها لا يدركها الحس ولا ينالها البصر ومن غاية لطافتها
يحادها العقل ولا يجول فيها الخيال ونوع الانسان مركب من العناصر
الاربعة مولف من مادة وصورة والعناصر متضادة ومزدوجة
بطبائعها اثنان منها عن وجان واثنان منها متناثران ومن التضاد
يصدر الاختلاف والهرج ومن الازدواج يحصل الفساد والمزج
فالهو مبدع لا من شئ لا يكون فيخترع من شئ والمادة والهيولى منبع الشر
ومنبع الفساد فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة
والظلام كيف يساوي النور والمحتاج الى الازدواج والمضطر في
هوة الاختلاف كيف يرقى الى درجة المستغني عنها اجابت الحنفاء
بعرفتم مما اشرنا الصابئة وجود هذه الروحانيات والحس ما دلكم
عليه والدليل ما ارشدكم اليه قالوا عرفنا وجودها ونعرفنا انواعها
من عاذ يهود وهو من شيث وادريس عليهما السلام قالت الحنفاء
فقد ناقضتم وضع مذهبكم فان غرضكم في ترجيح الروحاني على الجسماني
هو التوسط البشري فصار نفيكم اثباتا وعدادكم انكاركم اشراقا ثم من الذي
يسلم ان المبدع لا من شئ اشرف من المخترع عن شئ بل وحاني الروحاني
امر واحد وجاني الجسماني امران احدهما [illegible]
وجسده فهو من حيث الروح مبدع بامر الباري تعالى وهو من حيث الجسد
مخترع بخلقه ففيه اثنان امري وخلقي وهو في فضل يساوي الروحاني
بجهة وفضله بجهة خصوصا ان كان [illegible]
الاخرى بل كملت وظهرت وانما الخطاء هو من [illegible]
فاضلتم بين الروحاني المجرد والجسماني المجرد بان الفضل للروحاني
وصدقتم لكن المفاضلة بين الروحاني المجرد والجسماني والروحاني المجسم
ولا يحكم عاقل بان الفضل للروحاني المجرد فانه يطرف ساعاته ويعطل سعة
في الغرض مما ان المريد لس باسادة ولو ان منها ولم يقترن باستكمال الفساد
والازدواج بل كان مستحقها فيما يحيث لا يناله في شئ بوجه ويرضاه

بل صارت معينات له على الغرض الذى لاجله حصل التركيب وعطلت
الوحدة والبساطة وذلك تخصيص النفوس التى تدنست بالمادة
واوازمها وصارت العلائق عوائق وليت شعرى ماذا يشين اللباس
الحسن الشخص الجميل وكيف يزرى اللفظ الرائق بالمعنى المستقيم
ونعم ما قيل *

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل *
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

هذا كمن خاير بين اللفظ المجرد والمعنى المجرد اختار المعنى قيل له بل خاير
بين المعنى المجرد والعبارة والمعنى حتى لا يشك ان المعنى اللطيف فى العبارة
الرشيقة اشرف من المعنى المجرد واما الوجه الثانى انكم ما تصورتم
من النبوة الا كمالا وما ما تحسب ولم يقع بصركم على انها كمال هو مكمل
غيره فما ضللتم بين كما لين مطلقا وما حكمتم الا بالتساوى وترجيح
جانب الروحانى ونحن نقول ما قولكم فى كما لين احدهما كامل والثانى
كامل ومكمل عالم ايهما اشرف قالت الصابئة نوع الانسان ليس يخلو
من قوتى الشهوة والغضب وهما ينزعان الى البهيمة والسبعية وبما زعان
النفس الانسانية الى طباعهما فيثور من الشهوية الحرص والامل ومن
الغضبية الكبر والحسد الى غيرهما من الاخلاق الذميمة فكيف يماثل
من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنها وعن لوازمهما ولو احتها
صافية اوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها خالية طباعهم عن العواطع
البشرية باسرها لم يحملهم الغضب على حب الجاه ولا حملتهم الشهوة على حب
المال بل طباعهم محمولة على المحبة والموافقة وجواهرهم مفطورة على
الالفة والاتحاد اجابت الحنفاء بان هذه الملاحظة مثل الاخذ بالحذو والنعل
بالنعل فان فى طرف المتشبه نفسان نفس حيوانية لها قوتان قوة الغضب
وقوة الشهوة ونفس انسانية لها قوتان قوة عملية وقوة علمية وبينك
القوتين لها ان تجمع وتمنع وبهاتين القوتين لها ان تنقسم الامور وتفصل
الاحوال ثم تعرض الاقسام على العقل فيختار العقل الذى هو كالبصر الناقد
له من العقائد الحق دون الباطل ومن الاقوال الصدق دون الكذب ومن
الافعال الخير دون الشر ويختار بقوة العملية من لوازم القوة الغضبية
الشدة والشجاعة والحمية دون الذل والجبن والنذالة ويختار بها ايضا

من لوازم القوة الشهوية التالف والتوحد والبذاذة دون النعرة والمهانة
والخساسة فيكون من اشد الناس حمية على خصمه وعدوه ومن ارحم
الناس متذللا وتواضعا لوليه وصديقه واذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم
القوتين واستعملهما فى جانب الخير ثم يترقى منه الى ارتياد الخلائق
فى تزكية النفوس عن العلائق واطلاقها عن قيد الشهوة والغضب
وابلاغها الى حال الكمال ومن المعلوم ان كل نفس شريفة عالية زكية
هذه حالها لا تكون كنفس لا تنازعها قوة اخرى على خلاف طباعها وحكم
العنين العاجز فى امتناعه عن تنفيذ الشهوة لا يكون كحكم المتصون
الزاهد المتورع فى امساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه فان الاول
مضطر عاجز والثانى مختار فاذ حسن الاختيار جميل التصرف وليس
الكمال والشرف فى فقدان القوتين وانما الكمال كله فى استخدام القوتين
فنفس النبى صلى الله عليه وسلم كنفس الروحانيين فطرة ووضعا
وبذلك الوجه وقعت الشركة وفضلها وتقدمها باستخدام القوتين
التى دونها فلم تستخدمهما واستعملها فى جانب الخير والنظام فلم تستعملهما
وهو الكمال قالت الصابئة الروحانيات صور مجردة عن المواد وان قدر
لها اشخاص تتعلق بها تصرفا وتدبيرا لامانجة ومخالطة فاشخاصها
نورانية او هياكل كما ذكرنا والغرض انها اذا كانت صورا مجردة كانت
موجودات بالفعل لا بالقوة ناقصة لا كاملة والمتوسط يجب ان يكون
كاملا حتى يكمل غيره واما الموجودات البشرية صور فى مواد وان
قدرها نفوس فنفوسها اما مزاجية واما خارجة عن المزاج والغرض
انها اذا كانت صورا فى مواد كانت موجودات بالقوة لا بالفعل ناقصة
لا كاملة والمخرج من القوة الى الفعل يجب ان يكون امرا بالفعل ويجب
ان يكون غير ذات ما يحتاج الى المخرج فان ما بالقوة لا يخرج بذاته
من القوة الى الفعل بل بغيره والروحانيات هى المحتاج اليها حتى تخرج
الجسمانيات الى الفعل والمحتاج اليه كيف يساوى المحتاج اجابت الحنفا
هذا الحكم الذى ذكرتموه وهو كون الروحانيات موجودات بالفعل
غير مسلم على الاطلاق لان من الروحانيات ما وجوده بالقوة او ما فيه
وجود بالقوة ويحتاج الى ما وجوده بالفعل حتى يخرجه من القوة الى
الفعل فانه النفس لها استعداد القبول من العقل عندكم والعقل له

اعدادا لكل شئ وفيض على كل شئ واحد هما بالقوة والاخر بالفعل وهذا لضرورة الترتيب في الموجودات العلوية فان من لم يثبت الترتيب فيها لم يتمش له قاعدة عقلية اصلا واذا ثبت الترتيب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل روحاني كاملا من كل وجه ولا كل جسماني ناقصا من كل وجه فمن الجسمانيات ايضا ما وجوده كامل بالفعل وسائر النفوس ايضا محتاجة اليه وذلك ايضا لضرورة الترتيب في الموجودات السفلية وان من لم يثبت الترتيب لم يتمش له قاعدة عقلية اصلا واذا ثبت الترتيب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل جسماني ناقص من كل وجه قالت واذا سلمتم لنا ان هذا العالم الجسماني في مقابلة ذلك العالم الروحاني وانما يختلفان من حيث ان ما في هذا العالم من الاعيان فهو اثار ذلك العالم وما في ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم والعالمان متقابلان كالشخص والظل واذا ثبت هذا في ذلك العالم موجود اما بالفعل كاملا تاما يصدر عنه سائر الموجودات وجودا ووصولا الى الكمال فيجب ان يثبت ايضا في هذا العالم ايضا موجود اما بالفعل كاملا تاما حتى يصدر عنه سائر الموجودات تعلما ووصولا الى الكمال قالوا وانما طريقنا الى التعصب للروحانيات ونبابة الرسل في الصورة البشرية طريقكم في اثبات الارباب عندكم وهي الروحانيات السماوية وذلك احتاج كل مربوب الى رب يدبره ثم احتاج الارباب الى رب الارباب ومن العجب ان عند الصابئة اكثر الروحانيات قابلة منفعلة وانما الفاعل الكامل واحد وعن هذا اضاف بعضهم الى ان الملائكة اناث وقد اخبر التنزيل عنهم بذلك واذا كان الفاعل الكامل المطلق واحدا فما سواه قابل محتاج الى مخرج يخرج ما فيه بالقوة الى الفعل فكذلك نقول في الموجودات السفلية النفوس البشرية كلها قابلة للوصول الى الكمال بالعلم والعمل فيحتاج الى مخرج ما فيها بالقوة الى الفعل والمخرج هو النبي والرسول وما هو مخرج الشئ من القوة الى الفعل لا يجوز ان يكون امرا بالقوة محتاجا فان ما لم يتحقق بالفعل وجود لا يخرج غيره من القوة الى الفعل فالبيض لا يخرج البيض من القوة الى صورة الطير بل انما يخرج البيض وهذا الجواب يماثل الجواب الاول من وجه وفيه فائدة اخرى من وجه اخر

وأن عند الحنفا المعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في
المحسوس والا كان متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون محسوسا حتى يثبت
له مثال في المعقول والا كان سرابا مسدودا وما واذا ثبت هذه القاعدة
فمن اثبت عالما روحانيا واثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده
بالفعل وفعله اخراج الموجودات من القوة الى الفعل بفيض الصور
عليها على قدر الاستحقاق فيلزمه ضرورة ان يثبت عالما جسمانيا
ويثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجوده بالفعل وفعله اخراج
الموجودات من القوة الى الفعل بفيض الصور عليها على قدر
الاستحقاق ويسمى المدبر في ذلك العالم الروح الاول على مذهب
الصابئة والمدبر في هذا العالم الرسول والروح مناسبة وملاقاة
عقلية فيكون الروح الاول مصدرا والرسول مظهرا ويكون بين
الرسول وسائر البشر مناسبة وملاقاة حسية فيكون الرسول
مؤديا والبشر قابلا فقالت الصابئة الجسم مركب من مادة وصورة
والمادة لها طبيعة عدمية واذا بحثنا عن اسباب الشر والفساد والسفه
والجهل لم نجد لها سببا سوى المادة والعدم وهما منبعا الشر والروحانيات
غير مركبة من المادة والصورة بل هي صورة مجردة والصورة لها طبيعة
وجودية واذا بحثنا عن اسباب الخير والصلاح والحكمة والعلم لم نجد
لها سببا سوى الصورة وهي منبع الخير فنقول ماهية اصل الخير وما
هو اصل الخير كيف يماثل ما فيه اصل الشر اجابت الحنفاء بان ما
ذكرتم في المادة انها سبب الشر فغير مسلم فان من المواد ما هو سبب
الصور كلها عند قوم وذلك هو الهيولى الاولى والعنصر الاول حتى
صار كثير من قدماء الفلاسفة الى ان وجودها قبل وجود العقل
ثم ان سلم ان المركب من المادة والصورة كالمركب من الوجوب والجواز
عندكم فان الجواز لما لم يكن عدميا وما عن وجود سوى وجود الباري
تعالى الا وجوده جائز بذاته واجب بغيره فيجب ان يلازمه اصل الشر
قالوا وان سلم لكم ايضا تلك المقدمة ايضا فقد ناصور النفوس البشرية
وخسوصا صور النفوس الشريرة كانت موجودة قبل وجود المواد
وهي المبادي الاول حتى صار كثير من الحكماء الى اثبات اناسر مجردة
وهي الصور المجردة التي كانت موجودة كالظلال حول العرش تسجد

بجلد بهم وكانت هي اصل الخير ومبدا الوجود لكن لما البست الصور
البشرية لباس المادة تشبثت بالطبيعة وصارت المادة شبكة
لها فتاح عليها الواهب الاول شبعت اليها واحدا من عالة البس
لباس المادة ليخلص الصور عن الشبكة لا ليكون هو المتشبث
بها المنغمس فيها المتوسخ باوضارها المتدنس باثارها والى هذا
المعنى اشارت حكماء الهند رمزا بالحمامة المطوقة والحمامات الواقعة
في الشبكة فرقوا لوامعاشر الصابئة ابدا تشغفون علينا بالمادة
ولوازمها وما لم يفصل القول فيها لم ينج من تشغكم فتقول
النفوس البشرية وخصوصا النورية من حيث انها نفوس تهى مفارقة
للمادة مشاركة لتلك النفوس الروحانية اما مشاركة في النوع
بحيث يكون التميز بالاعراض والامور العرضية واما مشاركة في
الجنس بحيث يكون الفصل بالامور الذاتية ثم زادت على تلك
النفوس باقترانها بالجسد او بالمادة والجسد لم ينتقص منها بل
كملت هي لوازم الجسد وكملت بها حيث استفادت من الامور
الجسدانية ما تجسدت بها في ذلك العالم من العلوم الجزئية والاعمال
الخلقية والروحانية فتعددت هذه الابدان لتعدد هذه الاقتران
فكان الاقتران خيرا لاشرينه وصلاحا لافسادهم ونظاما لا يخل
له فكيف لزمنا ما ذكرتموه قالت الصابئة الروحانيات نورانية
علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية كثيفة فكيف يتساوى في
الاعمال في الشرف والفضيلة بذوات الاشياء وصفاتها وما اكثرها ومحاسنها
فقال الروحانيات العلو لغاية النور والشفافة وعالم الجسمانيات
السفل لغاية الكثافة والظلام والعالمان متقابلان تقابل الضدين
العلو لا للسفل والصفتان متقابلتان والفضيلة للنور لا للظلمة
اثبت الحيز ما ذكرتم لو لم تكن الروحانيات كلها نورانية
ولا ندعي هذا قلنا ان الشرف للعلو ولا شاهد لكم اصلا فان الاعمال
في التشرف بذوات الاشياء وعلمنا بان هذه المقدمات الثلاث فان
بها تتم دعواكم الاولى فالواجب حكمتم على الروحانيات بحكم المتساوي
وما اعتبرتم فيها التضاد والترتيب واذا كانت الموجودات كلها روحانية
وجسمانية فهل قضية التضاد والترتيب فلم اغفلتم الحكمين بها هنا

وذلك ان من قال الروحانى هو ما ليس بجسمانى فقد ادخل جواهر
الشياطين والابالسة والاراكنة فى جملة الروحانيات وكذلك من
اثبت الجن اثبتها روحانية لاجسمانية ثم من الجن من هو مسلم ومنها
من هو ظالم ومن قال الروحانى هو المخلوق روحانى من الارواح من هو
خير ومنها من هو شرير والارواح الخبيثه اضداد الارواح الطيبه
فلا بد اذا من اثبات تضاد بين الجنسين وتنافر بين الطرفين فلم نسلم
دعواكم انها كلها نورانية بل وعندنا معاشر الحنفاء الروح هو الحاصل
بامر البارى تعالى الباقى على مقتضى امره فمن كان لامره تعالى اطوع
وبرسالات رسله اصدق كانت الروحانية فيه اكثر والروح عليه
اغلب ومن كان لامره تعالى انكر ولشرائعه اكذب كانت الشيطنة
عليه اغلب هذه قاعدتنا فى الروحانيات فلا روحانى ابلغ فى الروحانية
من ذوات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واما قولكم
ان الشرف للعلو ان عنيتم به علو الجهة فلا شرف فيه فكم من عال جهة
سافل رتبة وعلما وذاتا وطبيعة وكم من سافل جهة عال على الاشياء
كلها رتبة وفضيلة وذاتا وطبيعة واما قولكم ان الاعتبار فى الشرف
بذوات الاشيا وصفاتها ومحالها ومراكزها فليس بحق وهو مذهب
اللعين الاول حيث نظر الى ذاته وذات ادم عليه السلام ففضل
ذاته اذ هى مخلوقة من النار وهى علوية نورانية على ذات ادم وهو
مخلوق من الطين وهو سفلى ظلمانى بل عندنا الاعتبار فى الشرف
بالامر وقبوله فمن كان اقبل لامره واطوع لحكمه وارضى بقدره فهو
اشرف ومن كان على خلاف ذلك فهو ابعد واخس واخبث فامر البارى
تعالى هو الذى يعطى الروح قل الروح من امر ربى وبالروح يحيى
الانسان الحياة الحقيقية وبالحياة يستعد للعقل العزيزى
وبالعقل يكتسب الفضائل ويجتنب من الرذايل ومن لم يقبل امر
البارى تعالى فلا روح له ولا حياة له ولا عقل له ولا فضيلة ولا
شرف عنده قالت الصابئة الروحانيات فضلت الجسمانيات
بقوتى العلم والعمل اما العلم فلانكر احاطتهم بغيبات الامور عنا
واطلاعهم على مستقبل الاحوال الجارية علينا ولان علومهم كلية
وعلوم الجسمانيات جزئية وعلومهم فعلية وعلوم الجسمانيات انفعالية

وعلومهم

وعلومهم فطرية وعلوم الجسمانيات كسبية فمن هذه الوجوه تحقق
لها الشرف على الجسمانيات واما العمل فلا ينكر ايضا علوهم على الدنيا
ودوامهم على الطاعة بسبب الليل والنهار لا يفترون لا يلحقهم
كلال ولا سامة ولا يوصفون بملال ولا بنام فتحقق لها الشرف ايضا
بهذا الطريق وكان امر الجسمانيات بالخلاف من ذلك احببت
الجمع عن هذا الجواب بين اصدقها المشورة بين الطريقين واثبات
زيادة في احدهما على الاخر فالاول بيان ثبوت الشرف في غير العمل
واما الاول فقال الفلاسفة الانبياء عليهم السلام كلية في جزئيه وفطرية في كسبيه
وفطرية وكسبية في جبلته وملائكة عقولهم عالم الغيب منصرفة عن
عالم الشهادة بحصول هذه العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة فاذا
لاحظوا عالم الشهادة حصلت لهم العلوم الجزئية اكتسابا بالحواس
على ترتيب وتدريج فكما ان للانسان علوما فطرية هي المعقولات وعلوما
حاصلة بالحواس عن المحسوسات فعالم المعقولات بالنسبة الى
الانبياء كعالم المحسوسات بالنسبة الى سائر الناس فطريا تاما فطرية
لهم وفطريا تهم لا تصل اليها فطنة ذكي وحسوسا تاما كتسبية لهم
بكواسب الجوارح جوارح الحواس فهذا من جهة الانبياء عليهم السلام
امر جبلة نفسانية وتقويم نفوس عقلية وعقول لهم عقول اخرى فطرية
ولو وقع حجاب في بعض الاوقات فذلك لموافقتنا ومنا لكنا كي نترك
هذه العقول وتقتضي هذه الاذهان والنفوس والافئدة رجاء
وراء ما يقدر الثاني انهم قالوا من العجائب لا يجتمع بهذه العلوم
بل ويؤثرون التسليم على البصيرة والعجز على القدرة والتبري من
الحول والقوة على الاستقلال والفطرة على الاكتساب ولا ادري
ما يفعل بي ولا بكم على انا اوتينا علم عندي ويعلمون ان الملائكة
والروحانيات باسرها وان علمت الى غاية قوة نظرها وادراكها
ما احاطت بما احاطة علم الباري تعالى بل لكل منهم مطرح نظر
ومسرح فكر ومجال عقل ومنتهى امل ومطار وهم وخيال وانهم
الى الحد الذي انتهى نظرهم اليه مستبصرون ومن ذلك الحد الى
ما وراءه مما لا يتناهى مسلمون مصدقون وانما كلامهم في التسليم لما لا
يعلمون والتصديق لما يجهلون ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ليس كمثل

حاشية بل سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا هو الكمال فمن اين لكم معاشر
الصابئة ان الكمال والشرف في العلم والعمل لا في التسليم والتوكل واذا
كانت غاية العلوم هذه الدرجة فجعلت نهاية اقدام الملائكة والروحانيين
بداية اقدام السالكين من الانبيا والمرسلين هل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله فعالم الروحانيات بالنسبة اليهم شهادة
وبالنسبة الينا غيب وعالم البشر الجسمانيات بالنسبة الينا شهادة
وبالنسبة اليهم غيب والله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم السر واخفى
قالت الحنفاء من علم انه لا يعلم فقد احاط بكل علم ومن اعترف
بالعجز عن اداء الشكر فقد ادى كل الشكر قالت الصابئة الروحانيات
لهم قوة تصريف الاجسام وتقليب الاجرام والقوة التي لهم ليست
من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب فتحسر
ولكن القوى الروحانية بالخواص الجسمانية اشبه وانك ترى الخامة
اللطيفة من النبات في يد وغوها تفوق الحر وتشق الصخر وما ذلك
الا لقوة نباتية فاضت عليها من القوى السموية ولو كانت هي قوى
مزاجية لما بلغت الى هذا المنتهى فالروحانيات هي التي تتصرف
في الاجسام تقليبا وتصريفا لا يتعظم حمل الثقل ولا يستخفهم
تحريك الخفيف فالرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول
بتصريفها وكذلك الزلازل تقع في الجبال بسبب من جهتها وكل
هذه وان استندت الى اسباب جزئية فانها تستند في الاخرة
الى اسباب من جهتها ومثل هذه القوة عدم الوجود في الجسمانيات
اجابت الحنفاء وقالوا منا يقتبس تفضيل القوى وتجنيسها
فان القوى تنقسم الى قوى معدنية وقوى نباتية وقوى حيوانية
وقوى انسانية وقوى ملكية روحانية وقوى نبوية ربانية فالانسان
مجمع القوى بجملتها والانسانية النبوية يفضلها بقوى ربانية ومعان
الهية فنذكر اولا وجه تركيب الانسان ووجه ترتيب القوى فيه
ثم نذكر تركيب البشرية النبوية وترتيب القوى فيها ثم نخاير بين الوضعين
الروحاني منهما والجسماني واليك الاختيار اما شخص الانسان فمركب
من الاركان الاربعة التراب والماء والهوى والنار التي لها الطبايع
الاربعة اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ثم ركب فيه نفوس

ثلاث احداها نفس النباتية تنمو وتغتذى وتولد المثل والثانية نفس حيوانية تحس وتتحرك بالارادة والثالثة نفس انسانية بها يميز ويفكر ويعبر عما يفكر ووجود النفس الاولى من الاركان وطبائعها وبقاؤها بها واستمدادها منها ووجود النفس الثانية من الافلاك وحركاتها وبقاؤها بها واستمدادها منها ثم ان النباتية تطلب الغذاء طبعا والحيوانية تطلب الغذاء حسا والانسانية تطلب الغذاء اختيارا وعقلا ولكل نفس منها محل فمحل النباتية الكبد ومنه مبدأ النمو والتسود عن هذا اجعل فيه عروقا دقاقا ينفذ فيها الغذا الى الاطراف ومحل الحيوانية القلب ومنه مبدأ تدبير الحس والحركة وعن هذا فجر منه عروقا الى الدماغ فيصعد الى الدماغ من حرارته ما يعدل ذلك البرودة وينزل منه من اثاره ما يدبر الحركة ومحل الانسانية تصريفا وتدبيرا الدماغ ومنه مبدأ الفكر والتعبير عن الفكر وعن هذا فتحت اليه ابواب المشاعر مما يلى هذا العالم وفتحت اليه ابواب المشاعر مما يلى ذلك العالم وها هنا ثلاثة اعضاء عمدات لا بد منها المعدة التى تمد الكبد بالغذاء والرية التى تمد القلب بتروح الهواء والعروق التى تمد الدماغ بالحرارة فاذا التركيب الانسانى اشرف التراكيب فان فيها جميع آثار العالم الجسمانى والروحانى وتركيب القوى فيه اكمل التراكيب فهو مجمع آثار الكونين والعالمين فكل ما هو فى العالم منتشر ففيه مجتمع وكل ما هو فيه من خواص الاجتماع فليس للعالم البتة لان للاجتماع والتركيب خاصية لا توجد فى حال الافتراق والانحلال واعتبر فيه حال السكر والخل وحال السكنجبين وكذلك الحكم فى كل مزاج هذا وجه تركيب البدن وترتيب القوى الخاصة به اما وجه اتصال النفس به وترتيب القوى الخاصة بها مما يلى هذا العالم ومما يلى ذلك العالم فاعلم ان النفس الانسانية جوهر هو اصل القوى المحركة والمدركة والحافظة للمزاج تحرك الشخص بالارادة لا فى جهات ميله الطبيعى ويتصرف فى اجزائه ثم فى جملته ويحفظ عن اجه عن الانحلال ويدرك بالمشاعر المركوزة فيه وهى الحواس الخمس فبالقوة الباصرة يدرك الالوان والاشكال وبالقوة السامعة يدرك الاصوات والكلمات وبالقوة الشامة يدرك الروائح وبالقوة الذائقة يدرك المطعومات وبالقوة اللامسة يدرك الملموسات وله فروع من قوى منبثة فى اعضاء

دها

البدن حتى اذا احس بشيء من اعضائه او تخيل او توهم او اشتهى او غضب
التقى العلاقة التي بينه وبين تلك الفروع هيئة فيه حتى يفعل وله
ادراك وقوة تحريك اما الادراك فهو ان يكون مثال حقيقة المدرك
متمثلا مترسما في ذات المدرك غير مباين له ثم المثال قد يكون مثال
صورة الشيء وقد يكون مثال حقيقته ومثال صورة الشيء هو ما يكون
محسوسا فيرتسم في القوة الباصرة وقد عشيته غرائب غريبة عن ماهيته
لو انبئته عنه لم تؤمن كنه ماهيته مثل اين وكيف ووضع وكم وسنة
او توهم بدلها غيرها لم تؤمن في ماهية ذلك المدرك والحس بنا ادرك من حيث
هو مغمور في هذه المواد التي تلحقه بسبب المادة لا يجرد ماهيته
ولا بنا ادراكا لا يلحقه غشية بين حسه وادراكه ثم للمثال الباقي بعد
مغيب المواد عن الحواس تجريد على تجريده المطلق عن المادة
ذات العلاقة الوضعية التي تعلق بها الحس وهو مثل صورة الشيء
حاضرا وعشية مثال المتوهم لا نفس الموهوم اذ المفكر يتصرف
عن مثال المواد فيغيرها عن ماهيته وحقيقته على العقل ثم يتسع في
مثال صورته حتى ان كل ما عقل بالحس من عالم الحس معقولا واما ما لم
يدرك في ذاته من المشوائب المادية منزه عن العوارض الغريبة فيقول
ان الله ليس محتاجا الى عمل يعمل فيه عقله ما من شأنه ان يعقل
وذلك بلا مثال له يتمثل في العقل ولا ماهية له فتتصور له ولا وصول
اليه بالاحاطة والفكرة الا ان برهان ان يدلنا عليه ويرشدنا اليه
ولما بين حفظ العقل الانساني ما ادرك العقل المفارق غير ينتهي فيه من
المعقول المجرد المعقولة ارتسامات بريئة عن العلائق المادية والعوارض
الغريبة فيبدد الخيال الى تمثله فيمثله في صورة خيالية مما يناسب
عالم الحس فيعود الى الحس المشترك ذلك المثال فيصيره كما نراه
معاينا مشاهدا ايانا حينا وغيابا حينا حتى كان العقل عمل بالمعقول
عملا جعله محسوسا وذلك انما يكون عند استعمال الحواس كلها عن
انشطاطها ان يكون المشاعر عن حركاتها في النوم كافة وفي اليقظة
للابدان عجائب كل العجب من تركيب على هذا النمط فمن اين لغيره مثله
ونعود الى ترتيب القوى ونعين محالها اما القوى المتعلقة بالبدن
التي ذكرناها الان ومشاعر للجوهر الانساني فالاولى منها الحس

المشترك المعروف ببيطاسيا الذى هو مجمع الحواس ومورد المحسوسات
وآلتها الروح المصبوب فى مبادى عصب الحس لاسيما فى مقدم الدماغ
والثانية الخيال والمصورة وآلته الروح المصبوب فى البطن المقدم من
الدماغ لاسيما فى الجانب الايسر والثالثة الوهم الذى هو لكثير من الحيوانات
وهو ما به تدرك الشاة معنى فى الذئب فتنفر منه وبه تدرك معنى
فى النوع فتفر اليه وتزدوج به وآلته الدماغ كله لكن الاخص منه به هو
التجويف الاوسط والرابعة المفكرة وهى قوة لها ان تركب وتفصل مما
يليها من الصور المأخوذة عن الحس المشترك والمعانى الوهمية المدركة
بالوهم فتارة تجمع وتارة تفصل وتارة تلاحظ العقل فتعرض عليه
وتارة تلاحظ الحس فتأخذ منه وسلطانها فى الجزء الاول من وسط
الدماغ وكانها قوة ما للوهم وبتوسط الوهم للعقل والخامسة القوة
الحافظة وهى التى كالخزانة لما يطرقه المدركات المسبة والوهمية والخيالية
وفى العقلية [illegible] قوة فى جسم ما فظة فى جسم وآلتها البطن المصبوب فى اول البطن
المؤخر من الدماغ والسادسة القوة الذاكرة وهى التى تستعرض
ما فى الخزانة على باب العقل او على الخيال والوهم وآلتها الروح المصبوب
فى اخر البطن المؤخر واما المعقول المصرف المجرد عن الشوائب المادية
فلا محل فى قوى جسمانية وآلة جسدانية حتى يقال ينقسم بانقسامها
ويتحقق لها وضع ومحل ولهذا لم يمكن القوة الحافظة خزانة لها بل
المصدر الاول الذى افاض عليها تلك الصورة صار خازنا لها حيث
ما طالعة النفس الانسانية بقوتها العقلية المناسبة لواهب الصور
نوعا من المناسبة فاضت منه عليها تلك الصورة المستحفظة له حتى
كانه ذكرها بعد ما نسى ووجدها بعد ما ضلت وغريزة النفس لما
تنزع الى جانب القدس فى تذكار الامور الغائبة عن حضرة العقل
نزاعا طبيعيا فتستحضر ما غاب عنها ولهذا السر اشير الكتاب الالهى
واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا
حتى صار كثير من العلماء الى ان العلوم كلها تذكار وذلك ان النفوس
كانت فى اليد والاول فى عالم الذكر ثم هبطت الى عالم النسيان
فاحتاجت الى مذكرات لما قد نسيت معبدات الى ما كانت وقد ابتدأت

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وذكرهم بايام الله ثم للنفس الانسانية
قوى عقلية لاجسمانية وكمالات نفسانية روحانية لاجسدانية فمن قواها
ما لها بحسب حاجتها الى تدبير البدن وهي القوة التي تختص باسم
العقل العملي وذلك ان يستنبط الواجب فيما يجب ان يفعل ولا يفعل
ومن قواها ما لها بحسب حاجتها الى تكميل جوهرها عقلا بالفعل
وانما تخرج من القوة الى الفعل بمخرج غيرذاتها لامحالة فيجب ان يكون
لها قوة استعدادية تسمى عقلا هيولانيا حتى يقبل من غيرها ما به
يخرجها من الاستعداد الى الكمال فاول خروج لها الى الفعل حصول
قوة اخرى من واهب الصور يحصل لها عند استحضار المعقولات
الاول فيها بالاكتساب الثواني اما بالفكر او بالحدس فيتدرج
قليلا قليلا الى ان يحصل لها ما تعد له عليها من المعقولات ولكل
نفس استعداد الى حد ما لا يتعداه ولكل عقل حد ما لا يتخطاه
فيبلغ الى كماله المعد له ويقتصر على قوته المركوزة فيه ولا بين ها هنا
وجوه التضاد بين النفوس والعقول ووجوب الترتيب فيها وانما
يعرف مقادير العقول ومراتب النفوس الانبياء والمرسلون الذين
اطلعوا على الموجودات كلها روحانياتها وجسمانياتها معقولاتها
ومحسوساتها كلياتها وجزئياتها علوياتها وسفلياتها فعرفوا مقاديرها
وعينوا مواديها ومعاييرها وكل ما ذكرناه من القوى الانسانية
فهي حاصلة لهم مركبة فيهم منصرفة كلها عن جانب الغرور الى
جانب القدس مستديمة لشروق نور الحق فيها حتى كان كل قوة من
القوى الجسدانية والنفسانية ملك روحاني وكل يحفظ ما وجه
اليه واستمار مار شح له بل ومجموع جسده ونفسه مجمع اثار
العالمين من الروحانيات والجسمانيات وزيادة امر بن احدهما
ما حصل له من فائدة التركيب والترتيب كما بيناه من مثال
السكر والخل والثاني ما اشرق عليه من الانوار القدسية وحيا
والهاما ومناجاة واكراما فاين للروحاني هذه الدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والكمال الموجود بل ومن اين للروحانيات كلها هذا
التركيب الذي خص نوع الانسان به وما تعلموا به من القوة البالغة
على تحريك الاجسام وتصريف الاجرام فليس يقتضي شرفا فان مائتة

لشيء وثبت لضده مثله لم يتضمن شرفا ومن المعلوم ان الجن والشياطين
قد ثبت لهم من القوة البالغة والقدرة الشاملة ما يعجز كثير من
الموجودات عن ذلك ولتبين ذلك مما يوجب شرفا وكمالا وانما الشرف
في استعمال كل قوة فيما خلقت له وامرت به وقدرت عليه قالت
الصابئة الروحانيات لها اختيارات صادرة من الامر متوجهة الى
الخير مقصورة عن نظام العالم وقوام الكل لا يشوبها البتة شائبة
الشر وشائبة الفساد بخلاف اختيار البشر فانه متردد بين طرفي
الخير ولولا رحمة الله في حق البعض والا فوضع اختيارهم كان ينزع
الى جانب الشر والفساد اذ كانت الشهوة والغضب المركوزة فيهم
يجرانهم الى جانبهما واما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا للتوجه
الى وجه الله تعالى وطلب رضاه وامتثال امره فلا جرم كل اختيار
هذا حاله لا يتعذر عليه ما يختاره فكما اراد واختار وجد المراد
وحصل المختار وكل اختيار ذلك حاله متعذر عليه ما يختاره فلا
يوجد المراد ولا يحصل المختار اجابت الحنفا بجوابين احدهما
نيابة عن جنس البشر والثاني نيابة عن الانبياء عليهم الصلاة
والسلام اما الاول قالوا اختيار الروحانيات اذا كان مقصورا
على احد الطرفين محصورا كان في وضعه مجبورا ولا شرف في الجبر
واختيار البشر يتردد بين طرفي الخير والشر فمن جانب يرى آيات
الرحمن ومن طرف يسمع وساوس الشيطان فيميل به تارة دعوة
الحق الى امتثال الامر ويميل به طورا داعية الشهوة الى اتباع الهوى
فاذا افرطوا وطبعا بوحدانية الله سبحانه وتعالى واختار من
غير جبر واكراه طاعته وصير اختياره المتردد بين الطرفين مجبورا
بين امره تعالى باختيار من جهته من غير اجبار صار هذا الاختيار
افضل واشرف من الاختيار المجبور فطرة كالمكره فعله كشيا الممنوع
عما لا يجب حبرا ومن لا شهوة له فلا يميل الى المشتهى كيف يمدح
عليه وانما المدح كل المدح لمن زين له المشتهى فنهى النفس عن الهوى
فتبين ان اختيار البشر افضل من اختيار الروحانيات واما الثاني
نقول ان اختيار الانبيا معصوم انه ليس من جنس اختيار البشر من
وجه فهو متوجه الى الخير مقصور على الصلاح الذي به نظام العالم

وقوام الكل صادر عن الامر صائر الى الامر لا يطرق الى اختيارهم
ميل الى الفساد بل ودبجهم فوق ما يشتد اليه الاوهام فان العالى
لا يريد امر الاجل السافل من حيث هو سافل بل انما يختار ما يختار
لنظام كلى وامر اعلى من الجزئى ثم يتضمن ذلك حتما بل نظام الجزوى
تبعا لا مقصودا وهذا الاختيار والارادة على جهة سنة الله تعالى
فى اختياره ومشيئته للكائنات لان مشيئة تعالى كلية متعلقة
بنظام الكل غير معللة بعلة حتى لا يقال انما اختار هذا الكذا وانما
فعل هذا الكذا فلكل شئ علة ولا علة لصنعه تعالى بل لا يريد الا كما
علم وذلك ايضا ليس بتعليل لكنه بيان ان ارادته اعلى من ان تتعلق
بشئ لعلة دونها والا لكان ذلك الشئ حاملا له على ما يريد وخالق
العلل والمعلولات لا يكون محمولا على شئ فاختياره لا يكون معللا
بشئ واختيار الرسول المبعوث من جهته ينوب عن اختياره كما
ان امره ينوب عن امره فبسلك سبيل ربه ذللا لم يخرج من قضية
اختياره نظام حال وقوام امر يختلف الهوائن فيه اشتهاء للناس
فمن اين للروحانيات هذه المعرفة وكيف يصلون الى هذه الدرجة
كيف وكل ما يذكرونه فهو هوس وكل ما يذكره فيحقق مشاهدة وعيانا
بل وكل ما يحكى عن الروحانيات من كمال علمهم وقدرتهم ونفوذ اختيارهم
واستطاعتهم فانما اخبرنا بذلك الانبياء والمرسلون والافاق
دليل ارشدنا الى ذلك ونحن لم نشاهدهم ولم نستدل بفعل من
افعالهم على صفاتهم واحوالهم قالت الصابئة الروحانيون متخصصون
بالهياكل العلوية مثل زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة
وعطارد والقمر وهذه السيارات كالابدان والاشخاص بالنسبة
اليها وكل ما يحدث من الموجودات ويعرض من الحوادث فكلها
مسببات هذه الاسباب وآثار هذه العلويات فيفيض على هذه
العلويات من الروحانيات تصريفات وتحريكات الى جهات الخير
والنظام ويحصل من حركاتها واتصالها تركيبات وتاليفات فى هذا
العالم ويحدث فى المركبات احوال ومناسبات فهم الاسباب الاول
والكل مسبباتها والمسبب لا يساوى السبب والجسمانيون
متشبهون بالاشخاص السفلية والمتشخص كيف يمثل غير المتشخص

واغا يجب على الاشخاص فى افعالهم وحركاتهم اقتفاء اثار الروحانيات
فى افعالها وحركاتها حتى يراعى احوال الهياكل وحركات افلاكها
زمانا ومكانا وجوهرا وهيئة ولباسا وبخورا ونغزعا وتنجيما ودعا
وحاجة خاصة بكل هيكل فيكون تقربا الى الهيكل تقربا الى الروحانى
الخاص به فيكون تقربا الى رب الارباب ومسبب الاسباب حتى
يقضى حاجته ويتم مسئلته وسيأتى تفصيل ما اجملوه من امر الهياكل
عند ذكر اصحابها ان شاء الله تعالى اجابت الحنفاء بان قالوا
الان نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة الى نيابة هياكلها وتركتم
مذهب الصبوة الصرفة فان الهياكل اشخاص الروحانيين والاشخاص
هياكل الروحانيين غير انكم اتيتم لكل روحانى هيكلا خاصا له فعل
خاص لا يشاركه فيه غيره ونحن نثبت اشخاصا رسلا كراما يقنع
اوضاعهم واشخاصهم فى مقابلة كل الكون الروحانى منهم فى مقابلة
الروحانى منها والاشخاص منهم فى مقابلة الهياكل منها وحركاتهم
فى مقابلة حركات جميع الكواكب والافلاك وشرائعهم مراعاة حركات
استندت الى تاييد الهى روحى سماوى موزونة بميزان العدل مقدرة
على مقادير الكتاب الاول ليقوم الناس با[illegible] مستخرجة
بالاراء المظلمة والاستنباطة بالظنون الكاذ[illegible]
نطابقنا وان وافقها بالمحسوسات توافقنا
الالهى هو الموجود الاول والكائنات قدرت عليه وان المناهج [illegible]
هى الاقدم ثم المسالك الخلقية والسنن الطبيعية توجهت اليها ولله
تعالى سنتان فى خلقه وامره والسنة الامرية اقدم واسبق من السنة
الخلقية وقد اطلع خواص عباده من البشر على السنتين ولن تجد لسنة
الله تحويلا هذا من جهة الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلا هذا من جهة
الامر فالانبيا عليهم الصلاة والسلام متوسطون فى تقرير سنة الخلق
والامر اشرف من الخلق فمتوسط الامر اشرف من متوسط الخلق فالانبيا
افضل من الملائكة وهذا عجب حيث سارت الروحانيات الامرية متوسطة
فى الخلق وصارت الاشخاص الخلقية متوسطين فى الامر ليعلم ان الشرف
والكمال فى التركيب لا فى البساطة واليد للجسم لا للروحانى والتوجه الى
التراب اولى من التوجه الى السماء والسجود لادم عليه السلام افضل

من التسبيح والتهليل والتقديس وليعلم ان الكمال في اثبات الرجال
لا في تعيين الهياكل والظلال وانهم هم الاخرون وجود السابقون
فضلا وان اخر العمل اول الفكرة وان الفطرة لمن له الخمرة وان المخلوق
بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه قال سبحانه وتعالى فوعزتي وجلالي
لا اجعل من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان قالت الصابئة
الروحانيات مبادي الموجودات وعالمها معاد الارواح والمبادي
اشرف ذاتا واسبق وجودا واعلى رتبة ودرجة من سائر الموجودات
التي حصلت بتوسطها وكذلك عالمها عالم المعاد والمعاد كمال
فعالمها عالم الكمال فالمبدأ منها والمعاد اليها والمصدر عنها والمرجع
اليها بخلاف الجسمانيات وايضا فان الارواح انما نزلت من عالمها
حتى اتصلت بالابدان فتوسخت باوضار الاجسام ثم تطهرت عنها
بالاخلاق الزكية والاعمال المرضية حتى انفصلت عنها فصعدت
الى عالمها الاول فالنزول هو النشأة الاولى والصعود هو النشأة
الاخرة فعرف انهم اصحاب الكمال لا اشخاص الرجال اجابت الحنفا
من اين تسلمتم هذا التسليم ان المبادي هي الروحانيات واي برهان
اقمتم وقد نقل عن كثير من قدماء الحكماء ان المبادي هي الجسمانيات
على اختلاف منهم في الاول منها انها نار او هواء او ماء او ارض
واختلاف اخرانه مركب او بسيط واختلاف اخرانه انسان او غيره
حتى صارت جماعة الى اثبات اناس سرمديين ثم منهم من يقول انهم
كانوا كالظلال حول العرش ومنهم من يقول ان الاخر وجودا من حيث
التشخص في هذا العالم هو الاول وجودا من حيث الروح في ذلك
العالم وعليه خرج ان اول الموجودات نور محمد عليه الصلاة والسلام
فاذا كان شخصه هو الاخر من جملة الاشخاص البشرية فروحه هو الاول
من جملة الارواح الربانية وانما حضر هذا العالم ليخلص الارواح الدنسة
بالاوضار الطبيعية فيعيدها الى مبداها واذا كان هو المبدأ فهو المعاد
ايضا فهو المنعم وهو المنعم وهو الرحمة وهو الرحيم قالوا ونحن اذا اثبتنا
ان الكمال في التركيب لا في البساطة والتحليل فيجب ان يكون المعاد
بالاشخاص والاجساد لا بالنفوس والارواح والمعاد كمال لا محالة
غير ان الفرق بين المبدأ والمعاد هو ان الارواح في المبدأ مستورة

بالاجساد واحكام الاجساد غالبة واحوالها ظاهرة للحس والاجساد
في المعاد معمورة بالارواح واحكام النفوس غالبة واحوالها ظاهرة
للعقل والا فلو كانت الاجساد تبطل رأسا وتضمحل اصلا وتعود الارواح
الى مبداها الاول ما كان للاتصال بالابدان والعمل بالمشاركة
فائدة وليطل تقدير الثواب والعقاب على فعل العباد ومن الدليل
القاطع على ذلك ان النفوس الانسانية في حال اتصالها بالبدن
اكتسبت اخلاقا نفسانية صارت هيأت ممكنة فيها تمكن الملكات
حتى قيل انها نزلت منزلة الفصول اللازمة التي تميزها عن غيرها
ولولاها لبطل التمييز وتلك الهيأت انما حصلت بمشاركات من القوى
الجسمانية بحيث ان يتصور وجودها الا مع تلك المشاركة وتلك القوى
لن يتصور الا في اجسام مزاجية فاذا كانت النفوس لن يتصور الا معها
وهي المعينة المخصصة وتلك لن يتصور الا مع الاجسام فلا بد من حشر
الاجسام والمعاد بالاجسام قالت الصابئة طريقنا في التوسل الى
حضرة القدس ظاهرة وشرعنا معقول فان قدماءنا من الزمان الاول
لما ارادوا الوسيلة عملوا اشخاصا في مقابلة الهياكل العلوية على نسب
واضافات راعوا فيها جوهرا او صـ
اوجبوا على من يتقرب بها الى ما يقا
ودعاء وتعزيما فتقربوا الى الروحا
ومسبب الاسباب وهو طريق مهيع وشرع مهيع لا يختلف لا مصـ
والمدن ولا يتسخ بالادوار والاكوار ونحن تلقينا مبدأه من عالمين
وهرمس العظيمين فعكفنا على ذلك دائمين وانتم معاشر الحنفاء
تعصبتم للرجال وقلتم بان الوحي والرسالة تنزل عليهم من عند الله
سبحانه وتعالى بواسطة او بغير واسطة فما الوحي اولا وهل يجوز
ان يكلم الله بشرا وهل يكون كلامه من جنس كلامنا وكيف يتمثل
ملك من السماء وهو ليس بجسماني الصورة ام بصورة البشر
وما معنى تصوره بصورة الغير فيخلع صورته ويلبس لباسا آخر
ام يبدل وضعه وحقيقته ثم ما البرهان اولا على جواز ابتعاث
الرسل في صورة البشر وما دليل كل مدع منهم افيا خذ بمجرد دعواهم
ام لا بد من دليل خارق للعادة وان اظهر ذلك افهو من خواص

النفوس ام من خواص الاجسام ام فعل البارى سبحانه وتعالى ثم الكتاب
الذى جاء به انهو كلام البارى تعالى وكيف يتصور فى حقه كلام ام هو
كلام الروحانى ثم هذه الحدود والاحكام اكثرها غير معقولة فكيف
يسمح عقل الانسان بقبول امر لا يعقله وكيف تطاوعه نفسه
بتملك سيد شخص هو مثله ابان يريد ان يتفضل عليه ولو شاء الله
لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين اجابت الحنفا بان
المتكلمين منا يكفوننا جواب هذا الفصل بطريقين احدهما الالزام
تعرضا لابطال مذهبكم والثانى الحجة تعرضا لاثبات مذهبنا اما
الالزام قالوا انكم ناقضتم مذهبكم حيث قلتم بتوسط عاذ تمون
وهرمس واخذتم طريقتكم منهما ومن اثبت المتوسط فى انكار
المتوسط فقد تناقض كلامه وتخلف حرامه وزادوا على هذا تقريرا
بانكم معاشر الصابئة ايضا متوسطون يحتاج اليكم فى اثبات مذهبكم
اذ من المعلوم ان كل من دب ودرج منكم ليس يعرف طريقتكم ولا
يقف على صنعتكم من علم وعمل اما العلم فالاحاطة بحركات الكواكب
والافلاك وكيفية تصرف الروحانيات فيها واما العمل فصنعة
الاشخاص فى مقابلة الهياكل على التسبب بل قوم مخصوصون
او واحد فى كل زمان يحيط بذلك علما وتيسر له عملا فقد انتم
متوسطا عالما من جنس البشر فقد ناقض اخركلامكم اوله وزادوا
لهذا تقريرا اخر بالزام الشرك عليهم اما الشركة فى افعال البارى
تعالى واما الشركة فى اوامره اما الشرك فى الافعال هو اثبات
الهياكل والافلاك فان عندهم الابداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع
الروحانيات ثم تفويض امور العالم العلوى اليها والفعل الخاص
بالروحانيات هو تحريك الهياكل ثم تفويض امور العالم السفلى اليها
كمن يبنى معملة وينصب اركانا للعمل من الفاعل والمادة والالة والصورة
ويفوض العمل الى التلامذه فهؤلاء اعتقدوا ان الروحانيات الحمة و
الهياكل ارباب والاصنام فى مقابلة الكل باتخاذ وتتبع من كسبهم
وفعلهم فالزم اصحاب الاصنام انكم تكلفتم كل التكليف حتى توقعوا
حجرا جمادا فى مقابلة هيكل وما بلغت صنعتكم الى احداث حياة فيه
وسمع وبصر ونطق وكلام افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا

ولا

ولا يضركم ان لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اولست
اوضاعكم الفطرية واشخاصكم الخلقية افضل منها واشرف اولست
النسب والاضافات النجومية المرعية فى خلقكم اشرف واكمل عمارا عيتموها
فى صنعتكم افتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون اولستم
تحتاجون الى المتوسط المعمول لقضاء حاجة اما جلب نفع او دفع ضر
فهذا العالم الصانع اقدر واذفذ من القوة العلمية والعملية ما يستعمل
بها الهيكل العلوى ويستخدم الروحانى فهلا ادعى لنفسه ما ثبت
بفعله فى جماد ولهذا الالزام تفطن اللعين فرعون حيث ادعى الالهية
والربوبية لنفسه وكان فى الاول على مذهب الصابئة فصيا عن ذلك
وادعى الى نفسه انا ربكم الاعلى ما علمت لكم من اله غيرى اذ راى
فى نفسه قوة الاستعمال والاستخدام واستظهر بوزيره هامان
وكان صاحب الصنعة فقال ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وكان يريد ان يبنى صرحا
مثل الرصد فيبلغ به الى حركات الافلاك والكواكب وكيفية تركيبها
وهياتها وكمية ادوارها واكوارها فلم يطلع على سر التقدير فى الصنعة
وسأل الامة فى الذاهة والفطنة ومن ابن له هذه القوة والبصيرة
ولكن اذ
مهلة
السامرى وقد سبح فى سموه فى
الروحانى واراد ان يرقى الشخص الجمادى عن درجته الى درجة
الشخص الحيوانى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فما كان امكنه ان
يجد من ما هو اخص اوصاف المتوسط من الكلام والهداية المردودا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فاخسر فى الطريق حتى كان من الامر
ما كان وقيل لفرعون ثم لنفسه فى اليم نسفا ويا عجبا من هذا السرحيث
اغرق فرعون فادخل النار مكافاة على دعوى الالهية لنفسه واحرق
العجل ثم نسف فى اليم مكافاة على اثبات الالهية له وما كان للنار وللما
على الحنفاء يد الاستلاء قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم
فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى هذه مراتب الشرك فى الفعل والخلق
وليشبه ان يكون دعوى اللعينين نمرود وفرعون انهما الهان ارضيان

كالهة السماء وبه الروحانية دعوى الالهية من حيث الامر لا من حيث الفعل
والخلق والاخر فان كل واحد منهما من هو اكبر سنا منه واقدم في
الوجود عليه فلما ظهر من دعواهما ان الامر كله لهما فقد ادعيا الالهية
لنفسهما وهذا هو الشرك الذي الزمه المتكلم على الصابي فانه بعد
ادعى انه اثبت في الاشخاص ما يقضي به حاجة الخلق فقد عاد بالنقض
الى صنعته ووقف التدبير على معاملته فكان الامر بان هذا الفعل
واجب الاقدام عليه وهذا واجب الاحجام عنه امرا في مقابلة
امر الباري تعالى والمتوسط فيه متوسط الامر فكان شركا اذ لم ينزل
الله به سلطانا ولا اقام عليه حجة وبرهانا كيف وما يمسك به من
الاحكام مرتبة على هيآت فلكية لم تبلغ قوة البشر قط الى مراعاتها ولا
شك ان الفلك كله يتغير لحظة فلحظة بتغير جزو من اجزائه بتغير
الوضع والهيئة بحيث لم يكن على تلك الهيئة فيما سبق ولا يرجع الى
تلك الحالة فيما يستقبل ومتى يقف الحكام على تغيرات الاوضاع
حتى يكون صنعته في الاشخاص والاصنام مستقيمة واذا لم يستقم
الصنعة فكيف تكون الحاجة مقضية فقد رفع الحاجة الى من لا ترفع
الحوائج اليه فقد اشرك كل الشرك واما الطريق الثاني فاقامة الحجة
على اثبات المذهب والمتكلم الحنفاء فيه مسلكان احدهما ان يسلك
الطريق نزولا من امر الباري تعالى الى سد حاجات الخلق والثاني
ان يسلك الطريق صعودا من حاجات الخلق الى اثبات امر الباري
تعالى ثم يخرج الاشكالات عليها اما الاول قال المتكلم الحنيف قد
قامت الحجة على ان الباري تعالى خالق الخلائق ورازق العباد وانه
الملك الذي له الملك والملك والملك هو ان يكون له على عباده امر
وتصريف وذلك ان حركات العباد قد انقسمت الى اختيارية وغير
اختيارية فما كان منها باختيار من جهتهم فيجب ان يكون للمالك فيها
حكم وامر وما كان منها بلا اختيار فيجب ان يكون له فيها تصريف
وتقدير ومن المعلوم ان ليس كل احد يعرف حكم الباري تعالى
وامره فلا بد اذن من واحد يستأثره بتعريف حكمه وامره في عباده
وذلك الواحد يجب ان يكون من جنس البشر حتى يعرفهم احكامه
واوامره ويجب ان يكو[ن] منصوصا من عند الله بايات خلقية هي

حركات تصريفية وتقديرية يجريها على يده عند التحدى بما يدعيه يدل
تلك الايات على صدقه نازلة منزلة التصديق بالقول فاذا ثبت
صدقه وجب اتباعه فى جميع ما يقول ويفعل وليس يجب الوقوف
على كل ما يامر به وينهى عنه اذ ليس كل علم يبلغ اليه كل قوة بشرية
ثم الوحى من عند الله العزيز يعد حركاته الفكرية والقولية والعملية
بالحق فى الافكار والصدق فى الاقوال والخير فى الافعال فيطرق
بما ثل البشر وهو طرف الصورة ويطرق يوحى اليه وهو طرف المعنى
والحقيقة قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا فطرق يشابه
نوع الانسان ويطرق بما ثل نوع الملائكة ويجمعهما يفضل النوعين
حتى يكون بشريته فوق بشرية النوع من اجاد واستعداد وملكته
فوق ملكية النوع الاخر قولا واداء فلا يضل ولا يغوى بطرق البشر
ولا يزيغ ولا يطغى بطرق الروحانية فقد تقرر ان امر البارى تعالى
واحد لا كثرة فيه ولا انقسام له وما امرنا الا واحدة غير انه يلبس
تارة عبارة العرب وتارة عبارة العبرية فالمصدر يكون واحدا
والمظهر متعددا والوحى القاء الشئ الى الشئ بسرعة فيلقى الروح
الامرى اليه دفعة واحدة بلا زمان كلمح البصر فيتصور فى نفسه
الصافية صورة الملقى كما يتمثل فى المرآة المجلوة صو
عنه اما بعبارة قد اقترنت بنفس التصور وذلك
واما بعبارة نفسه وذلك هو اجاد النبوة وهذ
وقد يتمثل الملك الروحانى له بما ثل صورة البشر بمثل المعنى الواحد
بالعبارات المختلفة او بمثل الصورة الواحدة فى المرايا المتعددة او
الظلال المتكثرة للشخص الواحد فيكالمه مكالمة حسية يشاهده
مشاهدة عينية ويكون ذلك بطرفه الجسمانى وان انقطع الوحى عنه
لم ينقطع عنه التاييد والعصمة حتى يقومه فى افكاره ويسدده فى
اقواله ويوفقه فى افعاله ولا تستبعد وامعاشر الصابئة تلقى الوحى
على الوجه المذكور ونزول الملك على النسق المعقود وعندكم ان
هرمس العظيم صعد الى العالم الروحانى فانخرط فى سلكهم فاذا تصور
صعود البشر فلم لا يتصور نزول الملك واذا تحقق انه خلع لباس البشرية
فلم لا يجوز ان يلبس الملك لباس البشرية فالحنيفية اثبات الكمال فى هذا

اللباس اعنى لباس الناس والصبوة اثبات الكلام فى خلع كل لباس
ثم لا يطرق ذلك لهم حتى يثبتوا لباس المساكل اولا ثم لباس الاشخاص
والاوثان ثانيا وقد قال راس الحنفاء متبريا عن المساكل والاشخاص
انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين واما الثانى وهو الصعود من حاجة الناس
الى اثبات امر البارى تعالى قال المتكلم الحنيف لما كان نوع الانسان
محتاجا الى اجتماع على نظام وذلك الاجتماع لن يتحقق الا بحدود
واحكام فى حركاته ومعاملاته يقف كل منهم عند حده المقدر له
لا يتعداه وجب ان يكون بين الناس شرع بفرضه شارع يبين فيه
احكام الله تعالى فى الحركات وحدوده فى المعاملات فيرتفع به
الاختلاف والفرقة ويحصل به الاجتماع والالفة وهذا الاحتياج لما كان
لازما لنوع الانسان ضروريا يجب أن يكون المحتاج اليه قائما ضرورة
بحيث يكون نسبته اليهم نسبة الغنى والفقير والمعطى والسائل
والملك والرعية فان الناس لو كانوا كلهم ملوكا لم يكن ملك اصلا
كما لو كانوا كلهم رعايا لم يكن رعية ثم لا يبقى ذلك الشخص ببقاء الزمان
وعمره لا يساوى عمر العالم فينوب منابه علماء امته ويرث علمه امناء
شريعته فيبقى سننه ومناهجه ويضئ على البرية مدا الدهر سراجه
والعلم بالتوارث ولئبت النبوة بالتوارث والشريعة تركة الانبيا
والعلماء ورثة الانبياء قالت الصابئة الناس مماثلة فى حقيقة الانسانية
والبشرية ويشملهم حدا واحد وهو الحيوان الناطق المائت والنفوس
والعقول متساوية فى الجوهرية فحد النفس بالمعنى الذى يشترك فيه
الانسان والحيوان والنبات انه كمال جسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة
وبالمعنى الذى يشترك فيه نوع الانسان والملائكة انه جوهر غير جسم
هو كمال الجسم محرك له بالاختيار عن مبدا نطقى اى عقل بالفعل
او بالقوة فالذى بالفعل هو خاصة النفس الملكية والذى بالقوة هو
فصل النفس الانسانية واما العقل فقوة او هيئة لهذه النفس
مستعدة لقبول ماهيات الاشيا مجردة عن المواد والناس فى ذلك
على استوا من العدم وانما الاختلاف يرجع الى احد امرين احدهما
اضطرارى وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول النفس والثانى

اختيارى

اختيارى وذلك من حيث الاجتهاد المؤثر فى رفع الحجب الماذة وتصقيل
النفس عن الصدأة المانعة لارتسام الصور المعقولة حتى لو بلغ الاجتهاد
الى غاية الكمال تساوت الاقدام وتشابهت الاحكام فلا يفضل
بشر على بشر بالنبوة ولا يحكم احد على احد بالاستتباع اجابت
الحنفاء بان التماثل والتشابه فى الصور البشرية والانسانية فمسلم
لا مرية فيه وانما التنازع بيننا فى النفس والعقل قائم فان عندنا
النفوس والعقول على التضاد والترتيب وعليه بيان ذلك على مساق
حدودكم ومذاق اصولنا فنقول لكم ان النفس جوهر غير جسم هو كمال
الجسم محرك له بالاختيار وذلك اذا اطلق النفس على الانسان والملك
وهو كمال جسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة اذا اطلق على الانسان
والحيوان فقد جعلتم لفظ النفس من الاسماء المشتركة وميزتم بين
النفس الحيوانى والنفس الانسانى والنفس الملكى فهلا زدتم فيه
قسما ثالثا وهو النفس النبوى حتى يتميز عن الملكى كما يتميز الملكى عن الانسانى
فان عندكم المبدأ النطقى للانسانى بالقوة والمبدأ العقلى للملك بالفعل
فقد تغايرا من هذا الوجه ومن حيث ان الموت الطبيعى يطرأ على الانسان
ولا يطرأ على الملك وذلك تمييز اخر فليكن فى النفس النبوى مثل هذا
الترتيب واما الكمال الذى تعرضتم له انما يكون كمالا للجسم اذا كان
اختيارا والمحرك محمودا فاما اذا كان لاختياره مذموما من كل وجه صار
الكمال نقصانا وحينئذ يقع التضاد بين النفس الخيرة والنفس الشريرة
حتى يكون احداهما فى جانب الملكية والثانية فى جانب الشيطانية
فيحصل التضاد المذكور كما حصل الترتيب المذكور فان الاختلاف
بالقوة والفعل اختلاف بالترتيب والاختلاف بالكمال والنقص والخير
والشر اختلاف بالتضاد فبطل التماثل ولا يظن ان الاختلاف
بين النفسين الخيرة والشريرة اختلاف بالعوارض فان الاختلاف
بين النفس الملكية والشيطانية بالنوع كما ان الاختلاف بين النفس
الانسانية والملكية بالنوع وكيف لا يكون كذلك والاختلاف هاهنا
بالقوة والفعل والاختلاف ثم بالخير والشر وهذا شر وهو ان الخير
غريزة هى هيئة متمكنة فى النفس باصل الفطرة وكذلك الشر طبيعة
غريزية لست اقول فعل الخير وفعل الشر فان الغريزة غير الفعل المترتب

بها غير فتحقق ان ها هنا نفسا محركة تتبدن اختيارا نحو الخير عن مبدا
عقلي اما بالقوة او بالفعل وهو نقص للجسم وليس بجسم ولا ينبون
طبعك عن امثال ما يورد عليك المتكلم الحنيف وانما يغترفه من بحر
وليس بخمة من صخر فلربما لا يساعدك على ان الانسان نوع الانواع
وان الاختلاف فيه يقع في العوارض واللوازم بل يثبت في النفوس
الانسانية اختلافا جوهريا فيفضل بعضها عن بعض بالفصول
الذاتية لا بالملوازم العرضية فكما ان الاختلاف بالقوة والفعل
في النفس الانسانية والملكة اختلاف جوهري اوجب اختلافا في
النوع والنوع وان شملها اسم النفس الناطقة والفصل الذاتي هو
القوة والفعل وكذلك نقول في نفس لها قوة علم خاص وقوة عمل
خاص وقوة خير وقوة شر وكمال مطلق هو اصل الخير ونقص مطلق
هو اصل الشر واما ما ذكره المتكلم الصابي من حد العقل انه قوة
او هيئة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجردة عن المواد
فغير شامل لجميع العقول عنده ولا عند الحنيف بل هو تعرض للعقل
الهيولاني فقط فان العقل النظري وحده انه قوة للنفس تقبل ماهيات
[illegible] الكلية من جهة ما هي كلية وان العقل العملي وحده انه قوة
[illegible] الشوقية الى ما يختار من الجزئيات
[illegible] تل بالملكة وهو استكمال القوة الهيولانية
[illegible] ان العقل بالفعل وهو استكمال النفس
بصورة ما او صورة معقولة حتى متى ما شاء عقلها واحضرها بالفعل
وان العقل المستفاد وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة في النفس
على سبيل الحصول من خارج وان العقول المفارقة وانها ماهيات
مجردة عن المادة وان العقل الفعال فانه من جهة ما هو عقل فانه جوهر
صوري ذاته ماهية مجردة في ذاتها لا بتجريد غيرها عن المادة وعن
علائق المادة وهي ماهية كل موجود ومن جهة ما هو فعال فانه جوهر
بالصفة المذكورة من شانه ان يخرج العقل الهيولاني من القوة الى
العقل بالاشراقة عليه فقد تعرض لنوع واحد من العقول ولا خلاف
ان هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فضولها كما سمعت
فاخبرني ايها المتكلم الحكيم من اي عداد تعد عقلك اولا وهل ترضى

ان يقال لك تساوت الاقدام فى العقول حتى يكون عقلك بالفعل و
الافادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد بل واستعداد عقلك لقبول
المعقولات كاستعداد غنى غوى لا يرد عليه الفكر بزادة ولا ينفك الخيال
عن عقله كما لا ينفك الحس عن خياله واذ لم كانت الاقدام متساوية فيما
هذا الترتيب فى الاجسام واذا ثبت ترتيبا فى العقول فبالضرورة ان يرتقى
فى الصعود الى درجة الاستقلال والافادة وينزل فى الهبوط الى
درجة الاستعداد والاستفادة ثم هل فى نوعه ما هو عديم الاستعداد
اصلا حتى يشبه ان يكون عقلا وليس عقلا واما النوع الذى يثبته
للشياطين اهو من عداد ما ذكرنا ام خارج من ذلك فانك اذا ذكرت
حد الملك وانه جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلى غير مائت هو واسطة
بين البارى تعالى والاجسام السماوية والارضية وعددت اقسامه
ان منه ما هو عقلى ومنه ما هو نفسى ومنه ما هو حسى فيلزمك
من حيث التضاد ان تذكر حد الشيطان على الضد مما ذكرته من حد
الملك وتعد اقسامه وانواعه ايضا يلزمك من حيث الترتيب ان تذكر
حد الانسان على الضد مما ذكرته من حد الملك وتعد اقسامه وانواعه
كذلك حتى يكون من الانسان ما هو محسوس فقط ومنه ما هو مع
كونه محسوسا روحانى نفسانى عقلى وذلك هو
عمل من حس ومن حس عمل من عقل ومن نفس
نفسانى ومن روح جسمانى ومن جسم روحانى
ولا تظنن هذه طامة قالت الصابئة بحضرتنا بابطال تساوى
العقول والنفوس واثبات الترتيب والتضاد فيها فلا شك ان من سلم
الترتيب فقد لزمه الاتباع فاخبرونا ما مرتبة الانبيا بالنسبة الى نوع
الانسان وما مرتبتهم بالاضافة الى الملك والجن وسائر الموجودات
ثم ما مرتبة النبى عند البارى تعالى فان عندنا الروحانيات اعلى
مرتبة من جميع الموجودات وهم المقربون فى الحضرة الالهية والمكرمون
لديه ونزاكرتادة تقولون ان النبى يتعلم من الروحانى ونزاكرتادة تقولون
ان الروحانى يتعلم من النبى اجابت الحنفاء بان الكلام فى المراتب
صعب ومن لم يصل الى رتبة من المراتب كيف يمكنه ان يتكلم فى اقسامها

لكنا نعرف ان رتبته بالنسبة الينا رتبتنا بالنسبة الى من هو دوننا
في الجنس من الحيوانات فكما انا نعرف اسامي الموجودات ولا يعرفها
الحيوانات كذلك هم يعرفون خواص الاشياء وحقائقها ومنافعها
ومضارها ووجوه المصالح في الحركات وحدودها واقسامها ونحن
لا نعرفها وكما ان نوع الانسان ملك الحيوان بالتسخير فالانبياء ملوك
الناس بالتدبير وكما ان حركات الناس معجزات الحيوانات كذلك
حركات الانبياء معجزات الناس لان الحيوانات لا يمكنها ان تبلغ الى
الحركات الفكرية حتى تميز الحق من الباطل ولا ان تبلغ الى الحركات
القولية حتى تميز الصدق من الكذب ولا ان تبلغ الى الحركات الفعلية
حتى تميز الخير من الشر ولا التمييز العقلي لها بالوجود ولا مثل هذه
الحركات لها بالفعل وكذلك حركات الانبياء لان منتهى فكرهم لاعلة
له وحركات افكارهم في محال القدس مما يعجز عنها قوة البشر
حتى يسلم لهم مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل
وكذلك حركاتهم القولية والفعلية لا تبلغ الى غاية انتظامها وجريانها
على سنن المطرح حركة كل البشر وهم في الرتبة العليا والدرجة الاولى
من درجات الموجودات كلها فقد احاطوا علما بما اطلعهم الرب تعالى
على ذلك دون غيرهم من الملائكة والروحانيين فمن الاول يكون حاله
حال المتعلم عمله شديد القوى وفي الاخير حاله حال التعليم وذلك
في حق ادم عليه السلام ابنهم باسمائهم حين كان الامر على بدو الظهور
والكشف فكيف يكون الحال في نهاية الظهور واما اضافتهم الى
جناب القدس فالعبودية الخاصة قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين قولوا انا عباد مربوبين وقولوا في فضلنا ما شئتم لحق الاسماء
لهم واخص الاحوال بهم عبده ورسوله لاجرم كان اخص التعريفات
لجلاله تعالى باشخاصهم اله ابراهيم اله اسماعيل واسحاق اله موسى
وهارون اله عيسى اله محمد عليهم الصلاة والسلام فكما ان من المعبودية
ما هو عام الاضافة ومنها ما هو خاص الاضافة كذلك التعريف الى
الخلق بالالهية والربوبية والتجلي للعباد بالخصوصية منه ما له عموم
رب العالمين ومنها ما له خصوص رب موسى وهارون فهذه نهاية
مذهبي الصابئة والحنفا وفي الفصول التي جرت بين الفريقين فوائد

لاجله

لا تحصى وكان في الخاطر بعد زوايا تريد غليها وفي القلب خفايا اكاد
اخفيها فعدلت منها الى ذكر حكم هرمس العظيم لا على انه من جملة فرق
الصابئة حاشاه بل على ان حكمه مما يدل على تقرير مذهب الحنفاء في
اثبات الكمال في الاشخاص البشرية وايجاب القول باتباع النواميس
الالهية على خلاف مذاهب الصابئة حكم هرمس العظيم المحمود اثاره
المرضي اقواله الذي يعد من الانبيا الكبار ويقال هو ادريس النبي
عليه السلام وهو الذي وضع اسامي البروج والكواكب السيارة
وربتها في بيوتها واثبت لها الشرف والوبال والاوج والحضيض
والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة
والاستقامة وبين تعديل الكواكب وتقويمها واما الاحكام المنسوبة
الى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع وللهند والعرب
طريقة اخرى في الاحكام اخذوها من خواص الكواكب لا من طبائعها
وربتوها على الثوابت لا على السيارات ويقال ان عاذيمون وهرمس
هما شيث وادريس عليهما السلام ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون
انه قال المبادي الاول خمسة الباري تعالى والعقل والنفس والمكان
والخلا وبعدها وجود المركبات ولم ينقل هذا عن هرمس قال هرمس
اول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه المحمود بسنخه المرضي في عادته
المرجو في عاقبته تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته وبعد ذلك
فللناموس عليه حق الطاعة له والاعتراف بمنزلته وللسلطان عليه
حق المناصحة والانقياد ولنفسه عليه حق الاجتهاد والتأدب في
باب السعادة ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع ا
بالبذل فاذا احكم هذه الاسس لم يسق عليه الاكف الاذى عن
وحسن المعاشرة بسهولة الخلق انظر وا معاشر الصابئة كيف عظم امر
الرسالة حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله
عز وجل ولم يذكرها هنا تعظيم الروحانيات ولا تعرض لها وان كانت
هي من الواجبات وسئل بماذا يحسن راي الناس في الانسان قال
بان يكون لقاؤه لهم لقاء جميلا ومعاملته اياهم معاملة حسنة ثم
وقال مودة الاخوان ان لا يكون لرجاء منفعة او لدفع مضرة ولكن
لصلاح فيه وطباع له وقال افضل ما في الانسان من الخير اعقل

واجود الاشياء ان لا يندم عليه صاحبه العمل الصالح وافضل ما
يستفيد المرء في تدبير الامور الاجتهاد واظلم الظلمات الجهل واوفق
الاشياء للمرء الورع وقال من افضل المروءة الصدق في الغضب
والرضى والقصد في الغنى والفقر والعفو عند المقدرة وقال من لم يعرف عيب
نفسه فلا قدر لنفسه عنده وقال الفصل بين العاقل والجاهل
ان العاقل منطقه له والجاهل منطق عليه وقال لا ينبغي للعاقل
ان يستخف بثلاثة اقوام السلطان والعلماء والاخوان فان من
استخف بالسلطان افسد عليه عيشه ومن استخف بالعلما افسد
عليه دينه ومن استخف بالاخوانه افسد عليه مروءته وقال
الاستخفاف بالموت هو احد خصائل النفس وقال المرء حقيق
ان يطلب الحكمة ويشتهيها في نفسه او لا فلا يخرج من المصائب
التي تقع الاخيار ولا يأخذه الحين فيما يأخذ من الشرف ولا يصير اعدا
على الدهر ولا يضيره الغنا والسلطان وان يعدل بين نيته وقوله
حتى لا يتغاوت ويكون سنته ما لا عيب فيه ودينه ما لا يختلف فيه
وحجته ما لا ينتقض وقال انفع الامور للناس القناعة والرضى
واضرها الشره والسخط وانما يكون كل السرور بالقناعة والرضى
وكل الحزن بالشره والسخط * وحكى عند فيثاغورس ان اصل الضلال
والهلكة لاهله ان يجد ما في العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه
ولا يجد ما فيه من الشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده ومن
افترى على اخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى بها فكيف يخلص
من اعظم الفرية على الله عز وجل ان جعله سببا للشر والشر وهو معدن
الخير وقال الخير والشر واصلان الى اهلهما لا محالة فطوبى
والويل لمن جرى وصولهما الى من وصلا اليه وعلى يديه وقال
الاخاء الدائم الذي لا يقطعه شيء اثنان احدهما محبة المرء نفسه
في آخر معاده وتهذيبه اياها في العلم الصحيح والعمل الصالح والاخر
مودته لاخيه في دين الحق فان ذلك مصاحب اخاه في الدنيا يحسده
وفي الاخرة بروحه وقال الغضب سلطان الغيظ والحرص
سلطان الغاية وهما منشأ كل سيئة ومفسد اكل جسد ومهلكا كل
روح وقال كل شيء يطاق تغييره الا الطباع وكل شيء يقدر

على

على اصلاحه غير الخلق السوء وكل شيء يستطاع دفعه الا القضاء
وقال الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن لان
هذين خلاء النفس وهذين خلاء البدن وقال احد الاشياء عند
اهل السماء والارض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق
في الجماعة وقال ادحض الناس حجة من شهد على نفسه بدحوض
حجته * وقال من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الاذى
فدينه دين الله عز وجل وخصمه له شاهد بفلج الحجة ومن كان
دينه الاهلاك والفظاظة والاذى فدينه دين الشيطان وهو يدحض
حجته شاهد على نفسه وقال الملوك يحمل الاشياء كلها الا ثلاثة
قدح في الملك وافساد للسر وتعرض للحرمة وقال لا تكن اتهما
الانسان كالصبي اذا اجاع صغى ولا كالعبد اذا شبع طغى ولا كالجاهل
اذا املك بغى وقال لا تشيرن على عدو ولا صديق الا بالنصيحة
واما الصديق فيقضي بذلك من واجبه واما العدو فانه اذا عرف نصيحتك
اياه هالك وحسدك وان صح عمله اشتهى منك وراجعك وقال
يدل على غريزة الجود السماحة عند العشرة وعلى غريزة الورع الصدق
عند المرة وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب وقال من سر
مودة الناس له ومعونتهم اياه وحسن القول منهم فيه حقيق بان يكون
مثل ذلك لهم وقال لا يستطيع احد ان يجوز الخير والحكمة ولا ان
يخلص نفسه من المعايب الا ان يكون له ثلاثة اشياء وزير وولي
وصديق فوزيره عقله وولية عفته وصديقه عمله الصالح وقال
كل انسان موكل باصلاح قدر باع من الارض فانه اذا اصلح قدر
ذلك الباع صلحت له اموره كلها واذا اضاعه اضاع الجميع وقد
ذلك نفسه وقال لا يمدح بكمال العقل من لا يكمل عفته ولا بكمال
العلم من لا يكمل عقله وقال من افضل اعمال العلماء ثلاثة اشياء
ان يبذلوا العدو صديقا والجاهل عالما والفاجر بارا وقال
الصالح من خيره خير لكل احد ومن بعد خير كل احد لنفسه خيرا
وقال ليس بحكمة ما لم يعاد الجهل ولا بنور ما لم يمحق الظلمة ولا
بطب ما لم يدفع البتن ولا بصدق ما لم يدحض الكذب ولا بصالح
ما لم يخالف الطالح اصحاب الهياكل والاشخاص وهؤلاء من فرق

الصابئة وقد ادرجنا مقالتهم في المناظرات جملة ونذكرها هاهنا
تفصيلا اعلم ان اصحاب الروحانيات لما عرفوا ان لابد للانسان
من متوسط ولابد للمتوسط من ان يرى فيتوجه اليه ويتقرب به
ويستفاد منه فزعوا الى الهياكل التي هي السيارات السبع فتعرفوا
اولا بيوتها ومنازلها وثانيا مطالعها ومغاربها وثالثا اتصالاتها
على اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها ورابعا تقسيم الايام
والليالي والساعات عليها وخامسا تقدير الصور والاشخاص
والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات
وعينوا اليوم ذخل مثلا يوم السبت وداعوا فيه ساعة الاولى
وختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصفته ولبسوا اللباس
الخاص به وبخروا ببخوره الخاص ودعوا بدعواته الخاصة وسالوا
حاجتهم منه الحاجة التي تستدعي من ذحل من افعاله واثاره
الخاصة به فكان يقضي حاجتهم ويحصل في الاكثر مرامهم وكذلك
رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعته وجميع الاضافات
التي ذكرناها اليه وكذلك سائر الحاجات الى الكواكب وكانوا يسمونها
اربابا الهة والله تعالى هو رب الارباب واله الالهة ومنهم من جعل
الشمس اله الالهة ورب الارباب فكانوا يتقربون الى الهياكل
تقربا الى الروحانيات ويتقربون الى الروحانيات تقربا الى الباري
تعالى لاعتقادهم بان الهياكل ابدان الروحانيات ونسبتها الى
الروحانيات نسبة اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء الناطقون
بحياة الروحانيات وهي تتصرف في ابدانها تدبيرا وتصريفا وتحريكا
كما يتصرف في ابداننا ولاشك ان من تقرب الى شخص فقد تقرب
الى روحه ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب
ما كان يقضي منه العجب وهذه الطلسمات المذكورة في الكتب
والسحر والكهانة والتختيم والتعزيم والخواتيم والصور كلها من علومهم
واما اصحاب الاشخاص فقالوا اذا كان لابد من متوسط يتوسل
به وشفيع يشفع اليه والروحانيات وان كانت هي الوسائل لكنا
اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبهم بالالسن لم يتحقق التقرب اليها
الا بهياكلها ولكن الهياكل قد نرى في وقت ولا نرى في وقت لان

لها طلوعا وافولا وظهورا بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب
بها والتوجه اليها فلا بد لنا من صور واشخاص موجودة قائمة منصوبة
نصب اعيننا فنعكف عليها ونتوسل بها الى الهياكل فنتقرب بها الى
الروحانيات ونتقرب بالروحانيات الى الله سبحانه وتعالى فنفيدهم
ليقربونا الى الله زلفى فاتخذوا اصناما اشخاصا على مثال الهياكل
السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل
اعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره وصوروه بصورته على الهيئة
التي تصدر افعاله عنه وراعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة
والدرجة والدقيقة وجميع الاضافات النجومية من اتصال محمود
يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعى منه فتقربوا اليه في يومه وساعته
وتجروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا ثيابه وتضرعوا بدعا
وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم منه فيقولون كان يقضي حوائجهم
بعد رعاية هذه الاضافات كلها وذلك هو الذي اخبر التنزيل عنهم
بانهم عبدة الكواكب اذ قالوا بالهيتها كما شرحنا واصحاب الاشخاص
هم عبدة الاوثان اذ سموها الهة في مقابلة الالهة السماوية وقالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد ناظر الخليل عليه الصلاة والسلام
هؤلاء الفريقين فابتدا بكسر مذاهب اصحاب الاشخاص وذلك قوله تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم
عليم وتلك الحجة ان كسرهم قولا بقوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون ولما كان ابوه ازر هو اعلم القوم بعمل الاشخاص والاصنام ودعاء
الاضافات النجومية فيها حتى الرعاية ولهذا كانوا يشترون منه الاصنام
لا من غيره كان اكثر الحجج معه واقوى الالزامات عليه اذ قال لابيه آزر
اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وقال يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا لانك جهدت كل الجهد
واستعملت كل العلم حتى عملت اصناما في مقابلة الاجرام السماوية فما
بلغت قوتك العلمية والعملية الى ان تحدث فيها سمعا وبصرا وان تغني
عنك وتضر وتنفع وانك بفطرتك وخلقتك اشرف درجة منها
لانك خلقت سميعا بصيرا صناعا والاثار السماوية فيك اظهر
منها في هذا المتخذ تكلفا والمعمول تصنعا فيلها من حيرة اذ صار المصنوع

بيدك معبودا لك والصانع اشرف من المصنوع يا ابت لا تعبد الشيطان
ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن ثم دعاه الى الحنيفية الحقة يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك
فاتبعني اهدك صراطا سويا قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم فلم يقبل
حجته القولية فعدل عليه السلام الى الكسر بالفعل فجعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم فقالوا من فعل هذا بالهتنا قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فالجمهم بالفعل حيث احال
الفعل على كبيرهم كما الجمهم بالقول حيث احال الفعل منهم وكل ذلك
على طريق الالزام عليهم والا فما كان الخليل كاذبا قط ثم عدل الى كسر
مذاهب أصحاب الهياكل وكما اراه الله سبحانه وتعالى الحجة على قومه
قال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين فاطلعه على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على
الروحانيات وهياكلها وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة
وتقريرا ان الكمال في الرجال فاقبل على ابطال مذهب اعتمها الهياكل
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي على ميزان الزامه على اصحاب
الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والا فما كان الخليل عليه السلام كاذبا
في هذا القول ولا مشركا في تلك الاشارة ثم استدل بالافول والزوال
والتغير والانتقال بانه لا يصلح ان يكون ربا لها فان الاله القديم لا
يتغير واذا تغير فاحتاج الى مغير وهذا لو اعتقدوه ربا قديما
والها ازليا ولو اعتقدوه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة فالافول
والزوال ايضا يخرجه عن الكمال وعن هذا ما استدل عليهم بالطلوع
وان كان الطلوع اقرب الى الحدوث من الافول فانهم انما انتقلوا
الى عمل الاشخاص لما عراهم من التحير بالافول فاتاهم الخليل عليه
السلام من حيث تحيرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك
ابلغ في الاحتجاج ثم لما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فيا عجبا ممن لا يعرف
ربا كيف يقول لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين رؤية
الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد ونهاية المعرفة والواصل الى

الغاية

الغاية والنهاية كيف يكون في مدارج البداية دع هذا كله خلف
قاف وارجع بنا الى ما هو شاف كاف فان المواقعة في العبارة على
طريق الالزام على الخصم من ابلغ الحجج واوضح المناهج وعن هذا قال
لما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لاعتقاد القوم ان
الشمس ملك الفلك وهو رب الارباب الذين يقتبسون منه الانوار
ويقبلون منه الاثار فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
قرر مذهب الحنفاء وابطل مذهب الصابئة وبين ان الفطرة هي
الحنيفية وان الطهارة فيها وان الشهادة بالتوحيد مقصودة عليها
وان النجاة والخلاص متعلقة بها وان الشرائع والاحكام مشارع
ومناهج اليها وان الانبياء والرسل مبعوثة لتقريرها وتقديرها
وان الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتلخيصها وتحريرها
ذلك الدين القيم والصراط المستقيم والمنهج الواضح والمسلك
اللائح قال الله سبحانه وتعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
كل حزب بما لديهم فرحون الحنيفية وهم جماعة من الصابئة قالوا الصانع
المعبود واحد كثير اما الواحد ففي الذات والاول والاصل والازل
واما الكثير فلانه يكثر بالاشخاص في راي العين وهي المدبرات
السبع والاشخاص الارضية الحية العاملة الفاضلة فانه يظهر بها
ويتشبه بالاشخاص السماوية لا تماثل ومماثلة في ذاته وقالوا هو ابدع
الافلاك وصورها من الاجرام الكواكب وجعلها مدبرات هذا
العالم الروحاني بالعناصر الجسماني والمركبات مواليد والاباء احيا
فاطبقوا ان يتوجهوا بالاذكار الى الكواكب فتقبلها العناصر في ارحامها
فتجيء من ذلك المولود اتم من المولد قد يتفق شخص حركب
من صفوها ودبر امرها ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص
الله سبحانه في الدهر الى طبيعة الكل في كل اقليم من الاقاليم المشكونة
وهي سبعة وثلثين الف سنة واربعماية وخمس وعشرين سنة

زوجين من كل نوع من اجناس الحيوانات ذكرا وانثى من الانسان
وغيره فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم اذا انقضى الدور بسمامة انقطعت
الانواع نسلها وتوالدها فيبتدى دور اخر ويحدث قرن اخر من
الانسان والحيوان والنبات وكذلك ابد الدهر قالوا وهذه هى
القيامة الموعودة على لسان الانبياء والا فلا دار سوى هذه الدار
وما يهلكنا الا الدهر ولا يتصور احياء الموتى وبعث من فى القبور
ابعدكم انكم اذا مزقتم كل ممزق وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات
لما توعدون وهم الذين اخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة وانما نشا
اصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم فان التناسخ هو ان يتكرر
الاكوار والادوار الى ما لا نهاية لها ويحدث فى كل دور مثل ما احدث
فى الاول والثواب والعقاب فى هذه الدار لا فى دار اخرى لا عمل
فيها والاعمال التى نحن فيها انما هى اجزية على اعمال سلفت منا فى الادوار
الماضية والراحة والسرور والفرح والدعة التى نجدها هى مرتبة
على اعمال البر التى سلفت منا والغم والحزن والضنك والكلفة التى
نجدها هى مرتبة على اعمال الفجور التى سبقت منا وكذا كان فى الاول
وكذا يكون فى الاخر والانضرام من كل وجه غير متصور من الحكيم واما
الحلول فهو التشخص الذى ذكرناه وربما يكون ذلك بحلول ذاته وربما
يكون بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد مزاج الشخص وربما
قالوا انما تشخص بالهيا كل السماوية بكلها وهو واحد وانما يظهر فعله
فى واحد واحد بقدر اثاره فيه وتشخصه به فكان الهياكل السبعة
اعضاؤه المتبعة وكأن اعضاؤنا السبعة هياكله السبعة فيها
يظهر فينطق بلساننا ويبصر باعيننا ويسمع باذاننا ويقبض ويبسط
بايدينا ويمشى ويذهب بارجلنا ويفعل بجوارحنا وزعموا ان الله تعالى
اجل من ان يخلق الشرور والقبايح والاقذار والخنافس والحيات
والعقارب بل هى كلها واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة
ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدورة فما كان من سعد وخير
وصفوة فهو المقصود من الفطرة فينسب الى البارى سبحانه وتعالى
وما كان من نحوسة وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه
بل هى اما اتفاقيات وصرورات واما مستندة الى اصل الشرور والانضال

المذموم

المذموم والحرباتية ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس واعيانا
واواذى اربعة من الانبيا ومنهم من ينسب الى سولون جد افلاطون
لامه ويزعم انه كان نبيا ويزعمون ان اواذى حرم عليهم الفصل والحريث
والباقلى والصابئون كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من
الجنابة ومن مس الميت وحرموا اكل الخنزير والجزور والكلب ومن
الطير كل ماله مخلب والحمام فنهوا عن السكر في الشراب وعن الاختتان
واحرزوا بالتزويج بولي وشهود ولا يجوزون الطلاق الا بحكم الحاكم
ولا يجمعون بين امرأتين واما الهياكل التي بناها الصابئة على اسما الحرم
العقلية الروحانية واشكال الكواكب السماوية فمنها هيكل العلة الاولى
ودونها هيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الضرورة وهيكل النفس
مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل
المريخ مربع مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في
جوف مربع وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل وهيكل
القمر مثمن الفلاسفة الفلسفة باليونانية محبة الحكما والفيلسوف هو
فيلا وسوفا وفيلا هو المحب وسوفا هو الحكمة اى هو محب الحكمة والحكمة
قولية وفعلية اما الحكمة القولية وهي العقدية ايضا كل ما يعقلها العاقل
بالحد وما يجرى مجراه مثل الرسم وبالبرهان وما يجرى مجراه مثل الاستقرا
فنعبر عنه بهما واما الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية فالاول
الازلي لما كان هو الغاية والكمال فلا يفعل فعلا لغاية دون ذاته والا
فيكون الغاية والكمال هو الحامل والاول محمول وذلك محال فالحكمة
في فعله وقعت تبعا لكمال ذاته وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة وفي
فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصودة للكمال المطلوب وكذلك
في افعالنا ثم ان الفلاسفة اختلفوا في الحكمة القولية العقدية لاختلافا
لا يحصى كثرة والمتاخرون منهم خالفوا الاوائل في اكثر المسائل
وكانت مسائل الاولين محصورة في الطبيعيات والالهيات وذلك
هو الكلام في الباري والعالم ثم زادوا فيها الرياضيات وقالوا العلم
ينقسم الى ثلاثة اقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب
فيه ماهيات الاشيا هو العلم الالهي والعلم الذي يطلب فيه كيفيات
الاشيا هو العلم الطبيعي والعلم الذي يطلب فيه كميات الاشيا هو العلم

الرياضي سواء كانت الكميات مجردة عن المادة او كانت مخالطة فاحدث
بعدهم ارسطوطاليس الحكيم علم المنطق وسماه تعليمات وانما هو جزء
عن كلام القدماء والا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط وربما
عدها الة العلوم فقال الموضوع في العلم الالهي هو الوجود المطلق
ومسائلة البحث عن احوال الوجود من حيث هو وجود والموضوع
في العلم الطبيعي هو الجسم ومسائلة البحث عن احوال الجسم من حيث
هو جسم والموضوع في العلم الرياضي هو الابعاد والمقادير وبالجملة
الكمية من حيث انها مجردة عن المادة ومسائلة البحث عن احوال
الكمية من حيث هي الكمية والموضوع في العلم المنطقي هي المعاني
التي في ذهن الانسان من حيث يتادى بها الى غيرها من العلوم
ومسائلة البحث عن احوال تلك المعاني من حيث هي كذلك
قالت الفلاسفة ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها وانما
يكدح الانسان لينالها والوصول اليها وهي لا تنال الا بالحكمة فالحكمة
تطلب اما ليعمل بها واما ليعلم فقط فانقسمت الحكمة الى قسمين
علمي وعملي ثم منهم من قدم العملي على العلمي ومنهم من اخر كما سياتي
فالقسم العملي هو عمل الخير والقسم العلمي هو علم الحق قالوا وهذان
القسمان مما يوصل اليه بالعقل الكامل والراي الراجح غير ان
الاستعانة بالقسم العملي منه بغيره اكثر والانبياء ايدوا بامداد
روحانية لتقرير القسم العلمي وبطرق ما من القسم العلمي والحكماء
تعرضوا لامداد عقلية لتقرير القسم العلمي وبطرق ما من القسم
العلمي فغاية الحكيم هو ان يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالاله الحق
تعالى بغاية الامكان وغاية النبي ان يتجلى له نظام الكون فيقدر على
ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم وينتظم مصالح العباد وذلك
لانه ياتي الامر بترغيب وترهيب وتخييل وتخيل فكل ما يدعو الى
الشرايع والملل مقدر على ما ذكرناه عند التكلم في حسنة الانبياء عند علماء
من مشكاة النبوة فانه ربما بلغ الى حد التعقيم والتحسين الاعتقادي
في كمال دهيتهم فمن الفلاسفة من انكر النبوات اصلا ومنهم حكماء الهند
والترك ومنهم شرذمة قليلة لا اذكرهم
حكمهم فشذات الطبع وخطرات الفكر ودعاة الى اباطيل قد دحضت

حكماء الروم وهم منتسبون الى القدماء الذين هم اساطين الحكمة والى
المتاخرين منهم وهم مشاؤون واصحاب الرواق واصحاب ابرسطوطا
والى فلاسفة الاسلام الذين هم حكماء العجم والافلم ينقل عن العجم قبل الاسلام
مقالة فى الفلسفة اذ حكمهم كلها كانت مقتبسة من النبوات اما من
الملة القديمة واما من سائر الملل غير ان الصابئة كانوا يخلطون
الحكمة بالصبوة فنحن نذكر مذاهب الحكماء القدماء من الروم واليونانيين
فى الترتيب الذى نقل فى كتبهم ونعقب ذلك بذكر سائر الحكماء فان
الاصل فى الفلسفة والمبدا فى الحكمة للروم وغيرهم كالعيال لهم
الحكماء السبعة الذين هم اساطين الحكمة من الملطية وساميا وابذية
وهى بلادهم واما اسماؤهم فانليس الملطى وانكساغورس وانكسيمانس
وابندقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وبعدهم جاء من الحكماء
مثل فلوطرخيس وبقراط وديمقراطيس والشعراء والمتساك واغا يدور
كلامهم فى الفلسفة على ذكر وحدانية البارى تعالى واحاطته علما
بالكائنات كيف هى وفى الابداع وتكوين العالم وان المبادى الاول
ما هى وكم هى وان المعاد ما هو ومتى هو وغير ما تكلموا فى البارى عز
وعلا بنوع حركة وسكون وقد اغفل المتاخرون من فلاسفة الاسلام
ذكرهم وذكر مقالتهم راسا الا نكتة شاذة نادرة ربما اعترت على بعضا
افكارهم اشاروا اليها تزييفا ونحن نتبعناها نقلا ونعقبناها نقدا
والقينا زمام الاختيار اليك فى المطالعة والمناظرة بين كلام الاوائل
والاواخر واى نانيس وهو اول من تفلسف فى الملطية قال ان للعالم
مبدعا لا تدرك صفته العقول من جهة جوهريته وانما يدرك من جهة
آثاره وهو الذى لا يعرف اسمه فضلا من هويته الا من نحو افاعيله وابداعه
وتكوينه الاشياء فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته بل من نحو انشائه ثم
قال ان العقول الذى لا حد له هو ان المبدع ولا شئ مبدع فالمبدع الذى
ابدع ولا صورة له عنده فى الذات لان قبل الابداع انما هو فقط واذا
كان هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتى يكون هو وصورة
او حيث وحيث حتى يكون هو ذو صورة والوحدة الخالصة تنافى
هذين الوجهين والابداع هو تاييس ما ليس بأيس واذا كان هو
مؤيس الأيسيات فالتاييس لا من شئ متقادم فمؤيس الاشياء لا يحتاج

الى ان يكون عنده صورة الأنيس بالأنيسية والا فقد لزمه ان كانت
الصورة عنده ان يكون منفردا عن الصورة التي عنده فيكون هو
وصورة وقد بينا انه قبل الابداع انما هو فقط وايضا فلو كانت الصورة
عنده اكانت مطابقة للموجود الخارج ام غير مطابقة فان كانت
مطابقة فليتعدد الصورة بتعدد الموجودات وليكن كلياتها مطابقة
للكليات وجزئياتها مطابقة للجزئيات وليتغير بتغيرها كما تكثرت
بتكثرها وكل ذلك محال لانه ينافي الوحدة الخالصة وان لم يطابق
الموجود الخارج فليست اذا صورة عنه وانما هو شيء اخر قال لكنه
ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فانبعثت
من كل صورة موجود في العالم العقلي على المثال الذي في العنصر الاول
فمحل الصورة ومتبع الموجودات كلها هو ذات العنصر وما من موجود
في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة له ومثال
عنه قال ومن كمال ذات الاول الحق انه ابدع مثل هذا العنصر فيما
بتصوره العامة في ذاته تعالى ان فيها الصور يعني صور المعلومات
فهو في مبدعه وبتعالي بوحدانيته وهويته عن ان يوصف بما يوصف
به مبدعه ومن العجب انه نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء قال الماء
قابل لكل صورة ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما
وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من
جمود الماء تكونت الارض ومن اعتلاله تكون الهواء ومن صفوة الماء
تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال
الحاصل من الاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز ودار المسبب
على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه قال والماء ذكر والارض انثى
وهما يكونان سفلا والنار ذكر والهوا انثى وهما يكونان علوا وكان
يقول ان هذا العنصر الذي هو اول واخرا هو المبدأ والكمال هو
عنصر الجسمانيات والجرميات لا انه عنصر الروحانيات البسيطة
ثم ان هذا العنصر له صفو وكدر فما كان من صفوه فانه يكون جسما
وما كان من كدره فانه يكون جرما فالجرم يدثر والجسم لا يدثر
والجرم كثيف ظاهر والجسم لطيف باطن وفي النشأة الثانية يظهر
الجسم ويدثر الجرم ويكون الجسم اللطيف ظاهرا والجرم الكثيف

دائرا وكان يقول ان فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف تلك الانوار ولا يقدر العقل على ادراك ذلك الحسن واليها وهي مبدعة من عنصر لا يدرك غوره ولا يبصر نوره والمنطق والنفس والطبيعة تحته ودونه وهو الدهر المحض من نحو آخره لا من نحو اوله واليه تشتاق العقول والانفس وهو الذي سميناه الديمومة والسرمد والبقاء في حد النشأة الثانية وظهر بهذه الاشارات انما اراد بقوله الماء هو المبدع الاول اي هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الاول في الموجودات العلوية لكنه لما اعتقد ان العنصر الاول هو قابل كل صورة اي منبع الصور كلها فانبت في العالم الجسماني له مثالا يوازيه في قبول الصور كلها ولم يجد عنصرا على هذا النهج مثل الماء فجعله المبدع الاول في المركبات وانشأ منه الاجسام والاجرام السماوية والارضية وفي التوراة في السفر الاول مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وكان تاليس الملطي انما تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية والذي انبه من العنصر الاول الذي هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الالهية اذ فيه جميع احكام المعلومات وصور الموجودات والخبر عن الكائنات والماء على القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش وكان عرشه على الماء راى انكساغورس وهو ايضا من الملطية راى في الوحدانية مثل ما راى تاليس وخالفه في المبدأ الاول قال ان مبدأ الموجودات هو متشابه الاجزاء وهي اجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا يناها العقل منها كون الكون كله العلوي منه والسفلي لان المركبات مسبوقة بالبسايط والمختلفات ايضا مسبوقة بالمتشابهات اليست المركبات كلها انما امتزجت وتركبت من العناصر وهي بسايط متشابهة الاجزاء وليس الحيوان والنبات وكل ما يغتذى من اجزاء متشابهة او غير متشابهة فتجتمع في المعدة فتصير متشابهة ثم تجري في العروق والشريانات فتستحيل اجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم وحكي عنه ايضا انه وافق سائر الحكماء في المبدأ الاول انه العقل الفعال غير انه خالفهم في قوله ان الاول الحق ساكن غير متحرك

وسنشرح القول فى السكون والحركة له تعالى وبين اصطلاحهم فى ذلك
وحكى فرفوريوس عنه انه قال ان اصل الاشياء جسم واحد موضوع الكل
لانهاية له ولم يبين ماذلك الجسم اهو من العناصر ام خارج من ذلك قال
ومنه يخرج جميع الاجسام والقوى الجسمانية والانواع والاصناف
وهو اول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الاشياء كلها كامنة فى
الجسم الاول وانما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا وصنفا
ومقدارا وشكلا وتكاثفا تخلخلا كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة
والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والانسان الكامل الصورة
من النطفة المهينة والطير من البيض وكل ذلك ظهور عن كمون وفعل
عن قوة وصورة عن استعداد مادة وانما الابداع واحد ولم يكن
لشيء اخر سوى ذلك الجسم الاول وحكى عنه انه قال كانت الاشياء
ساكنة ثم ان العقل ربها ترتيبا على احسن نظام فوضعها مواضعها
من عال ومن سافل ومن متوسط ثم من متحرك ومن ساكن ومن
مستقيم فى الحركة ومن دائر ومن افلاك متحركة على الدوران ومن
عناصر متحركة على الاستقامة وهى كلها بهذا الترتيب مظهرات
لما فى الجسم الاول من الموجودات ويحكى عنه ان المرتب هو الطبيعة
وربما يقول المرتب هو البارى تعالى واذا كان المبدا الاول عنده ذلك
الجسم فمقتضى مذهبه ان يكون المعاد الى ذلك الجسم واذا كانت
النشأة الاولى هى الظهور فيقتضى ان تكون النشأة الثانية هى الكمون
وذلك قريب من مذهب من يقول بالهيولى الاولى التى جدنت فيها
الصور الا انه اثبت جسما غير متناه بالفعل هو متشابه الاجزاء
واصحاب الهيولى لا يثبتون جسما بالفعل وقد رد عليه الحكماء المتاخرون
فى اثباته جسما مطلقا لم يعين لها صورة سماوية او عنصرية وفى نفيه
النهاية عنه وفى قوله بالكمون والظهور وفى بيانه سبب الترتيب
وتعيينه المرتب وانما عقبت مذهبه برای ثالیس لانهما من اهل
ملطية متقاربون فى اثبات العنصر الاول والصور فيه ممثلة والجسم
الاول والموجودات فيه كامنة وحكى ارسطوطالیس عنه انا الجسم
الذى تكون منه الاشياء غير قابل للكثرة قال واومى الى ان الكثرة
جاءت من قبل البارى تعالى راى انكسيمانس وهو من الملطيين

المعروف بالحكمة المذكور بالخبر عندهم قال ان البارى تعالى انى الاول
له ولا اخر هو مبدا الاشياء ولا بد وله هو المدرك من خلقه انه هو
فقط وانه لا هوية تشبهه وكل هوية فمبدعة منه هو الواحد ليس
واحد الاعداد لان واحد الاعداد يتكثر وهو لا يتكثر وكل مبدع
ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته فى علمه الاول والصور
عنده بلا نهاية قال ولا يجوز فى الراى الا احد قولين اما ان نقول
انه ابدع ما فى علمه وانما نقول انما ابدع اشياء لا يعلمها وهذا من
القول المستشنع وان قلنا ابدع ما فى علمه فالصورة ازلية بازليته
وليس يتكثر ذاته بتكثر المعلومات ولا يتغير بتغيرها قال ابدع
بوحدانيته صورة العنصر ثم صورة العقل انبعثت عنها بدعة
البارى تعالى فرتب العنصر فى العقل الوان الصور على قدر مايهيا
من طبقات الانوار واصناف الاثار وصارت تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة
واحدة كما تحدث الصور فى المراة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض
على بعض غير ان الهيولى لا تحتمل القبول دفعة واحدة الا بترتيب
وزمان فحدثت تلك الصور فيها على الترتيب ولم يزل فى العالم بعد
العالم على قدر طبقات العوالم حتى قلت انوار الصور فى الهيولى
وقلت الهيولى وصارت منها هذه الصورة انزلة الكثيفة التى لم تقبل
نفسا روحانية ولا نفسا حيوانية ولا نباتية وكل ما هو على قبول
حياة وحس فهو بعد فى اثار تلك الانوار وكان يقول ان هذا العالم
يدثر ويدخله الفساد والعدم من اجل انه سفل تلك العوالم
وثقلها ونسبتها اليه لنسبة اللب الى البشر والمشيمة قال
وانما ثبات هذا العالم بعد زمانه من قليل نور ذلك العالم والا لما ثبت
طرفة عين ويبقى ثباته الى ان يصفى العقل جزوه الممتزج به والى ان
يصفى النفس جزوها المختلط فيه فاذا صفى الجزوان عنه دثرت اجزاء
هذا العالم وفسدت وبقيت مظلمة قد عدمت ذلك القليل من النور
فيها وبقيت الانفس الدنسة الخبيثة فى هذه الظلمة بلا نور ولا سرور
ولا روح ولا راحة ولا سكون ولا سلوة ونقل عنه ايضا ان اول
الاوائل من المبدعات هو الهواء ومنه يكون جميع ما فى العالم من الاجرام
العلوية والسفلية قال ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحانى

لا يدنّر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كون من
كدر الهواء كيف جسماني يدنّر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث
فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات وما
دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسمانيات كثير الاوساخ
والاوضار يتشبث به من سكن اليه فيمنعه من ان يرتفع علوا ويخلص
منه من لم يسكن اليه فيصعد الى عالم كثير اللطافة دائم السرور ولعله
جعل الهواء اول الاوائل لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر
اول الاوائل لموجودات العالم الروحاني وهو على مثل مذهب
ثاليس اذ اثبت العنصر والماء في مقابلته وهو قد اثبت العنصر
والهواء في مقابلته ونزل العنصر منزلة القلم الاول والعقل منزلة
اللوح القابل لنقش الصور ورتب الموجودات على ذلك الترتيب
وهو ايضا من مشكاة النبوة اقتبس وبعبارات القوم التبس
راى انبذ قلس وهو من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم
دقيق الحال في الاعمال وكان في زمن داود النبي عليه السلام
مضى اليه وتلقى منه واختلف الى لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة
ثم عاد الى يونان وافاد قال ان الباري تعالى لم يزل هويته فقط
وهو العلم المحض وهو الارادة المحضة وهو الجود والعز والقدرة
والعدل والخير والحق لان هناك قوى مسماة بهذه الاسماء بل
هي هو وهو هذه كلها مبدع فقط لانه ابدع من شيء ولان شيأ
كان معه فابدع الشيء البسيط الذي هو اول البسيط المعقول
وهو العنصر الاول ثم كثر الاشيا المبسوطة من ذلك النوع البسيط
الواحد الاول ثم كون المركبات من المبسوطات وهو مبدع الشيء
واللاشيء العقلي والفكري والوهمي اي مبدع المتضادات والمتقابلات
المعقولة والخيالية والحسية وقال ان الباري تعالى ابدع الصور
لا بنوع ارادة مستأنفة بل بنوع انه علة فقط وهو العلم والارادة
فاذا كان المبدع انما ابدع الصور بنوع انه علة لها فالعلة ولا معلول
والا فالمعلول مع العلة معية بالذات فان جاز ان يقال ان معلولا
مع العلة فالمعلول حينئذ ليس هو غير العلة وان يكون المعلول
ليس اولى بكونه معلولا من العلة ولا العلة بكونها معلولا اولى من

المعلول

المعلول فالمعلول اذا تحت العلة وبعدها والعلة علة العلل كلها اى علة
كل معلول تحتها فلا محالة ان المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات
البتة والا فقد بطل اسم العلة والمعلول فالمعلول الاول هو العنصر
والمعلول الثانى بتوسطه العقل والثالث بتوسطهما النفس وهذه
بسائط ومتوسطات وبعدها مركبات وذكر ان المنطق لا يعبر عما
عند العقل لان العقل اكبر من المنطق من اجل انه بسيط والمنطق
مركب والمنطق يتجزى والعقل يتحد ويجد فيجمع المتجزيات فليس للمنطق
اذا ان يصف البارى تعالى الا صفة واحدة وذلك انه هو ولا شئ
من هذه العوالم بسيط ولا مركب فاذا قال هو ولا شئ فقد كان
الشئ واللا شئ مبدعين ثم قال ابذقلس العنصر الاول بسيط
من مخلوقات العقل الذى دونه وليس هو دونه بسيطا مطلقا اى
واحدا بتا من مخلوقات العلة فالمعلول الاول هو مركب تركيبا عقليا
او حسيا فالعنصر في ذاته مركب من المحبة والغلبة وعنهما ابدعت
الجواهر البسيطة الروحانية والجواهر المركبة الجسمانية فضادت
المحبة والغلبة صفتين او صورتين لعنصر مبدأين لجميع الموجودات
فانطبعت الروحانيات كلها على المحبة الخالصة والجسمانيات كلها على
الغلبة والمركبات منها على طبيعتى المحبة والغلبة والازدواج والتضاد
وبعدادهما في المركبات يعرف مقادير الروحانيات في الجسمانيات
قال وهذا المعنى ائتلفت المزدوجات بعضها ببعض نوعا بنوع
وصنفا بصنف واختلفت المتضادات فتنافر بعضها عن بعض
نوعا عن نوع وصنفا عن صنف فما كان فيها من الائتلاف والمحبة
يجمعان في نفس واحدة باضافتين مختلفتين وربما اضاف المحبة
الى المشترى والزهرة والغلبة الى زحل والمريخ وكانهما تشخصا
بالسعدين والنحسين ولكلام ابذقلس مساق اخر قال ان
النفس النامية قشر النفس المنطقية والمنطقية قشر العقلية وكل ما هو
اسفل منه قشر لما هو اعلى والاعلى لبه وربما يعبر عن القشر واللب
بالجسد والروح فيجعل النفس النامية جسد النفس الحيوانية
وهذه روحه وعلى ذلك حتى ينتهى الى العقل وقال لما صور
العنصر الاول في العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية صور

العقل فى النفس ما استفاد من العنصر صورت النفس الكلية فى
الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل فحصلت فتصور فى الطبيعة
لا تشبهها ولا هى شبيهة بالعقل الروحانى اللطيف فلما نظر العقل
اليها وابصر الارواح والقلوب فى الاجساد والصور ساح عليها
من الصور الحسنة الشريفة البهية وهى صور النفوس المشاكلة للصور
العقلية اللطيفة الروحانية حتى يدبرها ويتصرف فيها بالتمييز بين
الصور والقلوب فيصعد بالقلوب الى عالمها وكانت النفوس الجزئية
اجزاء النفس الكلية كاجزاء الشمس المشرقة على منافذ البيت و
الطبيعة الكلية معلولة للنفس وفرق بين الجزو وبين المعلول فالجزو
غير والمعلول ثم قال وخاصية النفس الكلية المحبة لانها لما نظرت
الى العقل وحسنه وبهائه احبته حب وامق عاشق لمعشوقه فظلت
الاتحاد به وتحركت نحوه وخاصية الطبيعة الكلية الغلبة لانها لما
وجدت لم يكن لها نظر وبصر يدرك بها النفس والعقل فحبهما وتعشقهما
بل انبجست منها قوى متضادة اما فى بسائطها فمتضادات الاركان
واما فى مركباتها فمتضادات القوى المزاجية والطبيعية والنباتية والحيوانية
فزدت عليها لبعدها عن كليتها وطاوعتها الاجزاء النفسانية مغترة
بعالمها الغرار فركنت الى لذات حسية من مطعم هرى ومشرب هنى
وملبس طرى ومنظر بهى ومنكح شهى ونسيت ما قد طبعت عليه
من ذلك اليها والحسن والكمال الروحانى النفسانى العقلى فلما رات
النفس الكلية تمردها واغترارها اهبطت اليها جزواً من اجزائها
هو اذكى والطف واشرف من هاتين النفسين البهيمية والنباتية
ومن تلك النفوس المغترة بها فكسر النفسين عن تمردهما وتحبب
الى النفوس المغترة عالمها وتذكرها ما قد نسيت وتعلمها ما جهلت
وتطهرها عما تدنست فيه وتزكيها عما تنجست به وذلك الجزو
الشريف هو النبى المبعوث فى كل دور من الادوار فيجرى على سنن
العقل والعنصر الاول من رعاية المحبة والغلبة فيتالف بعض النفوس
بالحكمة والموعظة الحسنة وينقاد على بعضها بالقهر والغلبة وتارة
يدعوها باللسان من جهة المحبة لطفا وتارة يدعوها بالسيف من جهة الغلبة
عنفا فيخلص النفوس الجزوية الشريفة التى اغترت بتمويهات النفسين

الزاهية

المزاجيتين عن التمويه الباطل والتسويل الزايل وربما يكسوا النفسين
السافلتين كسوة النفس الشريفة فتقلب صفة الشهوية الى المحبة محبة
الخير والحق والصدق وتنقلب صفة الغضبية الى الغلبة فيغلب الشر
والباطل والكذب فتصعد النفس الجزوية الشريفة الى عالم الروحانيين
بهما جميعا فيكونان جسد لها في ذلك العالم وقد قيل ان كانت الدولة
والحمد لاحد لاحبه اشكاله فيغلب محبتهم له اضداده وما نقل من
انبذقليس انه قال العالم مركب من الاسطقسات الاربع فانه ليس
وراها شيء ابسط منها وان الاشيا كامنة بعضها في بعض وابطل
الكون والاستحالة والفساد والنمو وقال الهواء لا يستحيل نارا
ولا الماء هواء ولكن ذلك بتكاثف وتخلخل ويكون وظهور وتركب
وتحلل وانما التركب في المركبات بالمحبة يكون والتحلل في المتحللات
بالغلبة يكون ومما نقل عنه ايضا انه تكلم في الباري تعالى بنوع
حركة وسكون فقال انه متحرك بنوع سكون لان العقل والعنصر
متحركان بنوع سكون وهو مبدعهما ولا محالة المبدع اكبر لانه علة
كل متحرك وساكن وشايعه على هذا الراي فيثاغورس ومن بعده
من الحكما الى افلاطن واما ارسطون الاكبر وذيمقراط والشاعريون
فصاروا الى انه تعالى متحرك وقد سبق النقل عن انكساغورس
انه قال هو ساكن لا يتحرك لان الحركة لا تكون الا محدثة ثم قال
الا ان يقولوا ان تلك الحركة فوق هذه الحركة كما ان ذلك السكون
فوق هذا السكون وهؤلاء ما عنوا بالحركة والسكون النقلة عن
مكان واللبث في مكان ولا بالحركة التغير والاستحالة وبالسكون
ثبات الجوهر والدوام على حالة واحدة فان الازلية والقدم بنا في
هذه المعاني كلها ومن يحترز ذلك الاحتراز عن التكثر فكيف يجازف
هذه المجازفة في التغير فاما الحركة والسكون في العقل والنفس
فانما عنوا به الفعل والانفعال وذلك ان العقل لما كان موجودا
كاملا بالفعل قالوا هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها
فاعلا والنفس لما كانت ناقصة متوجهة الى الكمال قالوا هي متحركة
طالبة درجة العقل ثم قالوا العقل ساكن بنوع حركة اي هو في ذاته
كامل بالفعل فاعل مخرج النفس من القوة الى الفعل والفعل نوع

حركة في سكون والكمال نوع سكون في حركة اى هو كامل ومكمل غيره
فعلى هذا المعنى يجوز على قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون الى البارى
تعالى ومن العجب ان مثل هذا الاختلاف قد وجد في ارباب الملل
حتى صار بعض الى انه مستقر في مكان ومستوعلى مكان وذلك
اشارة الى السكون وصار بعض الى انه يجئ ويذهب وينزل ويصعد
وذلك عبارة عن الحركة الا ان يحمل على معنى صحيح لائق بجناب القدس
حقيق بجلال الحق وهما تسئل عن ابند قلس في امر المعاد قال يبقى
هذا العالم على الوجه الذى عقدناه من النفوس التى تشبثت
بالطبايع والارواح تعلقت بالشباك حتى تستغيث في اخر الامر
الى النفس الكلية التى هي كلها فتتضرع النفس الى العقل ويتضرع
العقل الى البارى تعالى فيسبح البارى على العقل ويسبح العقل على
النفس ويسبح النفس على هذا العالم بكل نوعها فتستضئ الانفس
الجزوية وتشرق الارض والعالم بنورربها حتى يعاين الجزئيات
كلها فتخلص من الشبكة فيتصل بكليتها وتستقر في عالمها سرورا
محبورة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى فيتاغورس
ابن منسارخس من اهل سامياوكان في زمن سليمان عليه السلام
قد اخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الراى
المتين والعقل الرصين يدعى انه شاهد العوالم بحسه وجد سه
وبلغ في الرياضة الى ان سمع حفيف الفلك ووصل الى مقام
الملك وقال ما سمعت شيأ قط الذ من حركاتها ولا رايت شيأ
ابهى من صورها وهيأتها وقوله في الالهيات ان البارى سبحانه
وتعالى واحد لا كالاحاد ولا يدخل في العدد ولا يدرك من جهة
العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلى يدركه ولا المنطق
النفسى يصفه فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرك من مخلوقاته
وانما يدرك باثاره وصنايعه وافعاله وكل عالم من العوالم يدركه
بقدر الاثار التى تظهر فيه فيعته ويصفه بذلك القدر الذى
خصه من صنعه فالموجودات في العالم الروحانى قد خصت باثار
خاصة روحانية فيعته من حيث تلك الاثار ولا شك ان هداية
الحيوان مقدرة على الاثار التى جبل الحيوان عليها وهداية الانشا

مقدرة على الآثار التي فطر الانسان عليها وكل بصفة من نحو ذاته وتتعدد
عن خصائص صفاته ثم ذلك الوحدة تنقسم الى وحدة غير مستفادة
من الغير وهي وحدة الباري تعالى وحدة الاحاطة بكل شيء وحدة الحكمة
على كل شيء وحدة تصدر عنه الاحاد الموجودات والكثرة فيها والى
وحدة مستفادة وذلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة على الاطلاق
تنقسم الى وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر
ووحدة قبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التي قبل الدهر وحدة
الباري تعالى والوحدة التي هي مع الدهر وحدة العقل الاول
والوحدة التي هي بعد الدهر وحدة النفس والوحدة التي هي مع
الزمان وحدة العناصر والمركبات وربما يقسم الوحدة قسمة اخرى
فيقول الوحدة تنقسم الى وحدة بالذات والى وحدة بالعرض فالوحدة
بالذات ليست الا للمبدع الكل الذي تصدر عنه الوحدانية في العدد
والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الى ما هو مبدأ العدد وليس
داخلا في العدد والى ما هو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول
كالواحدية للعقل المضاف لانه لا يدخل في العدد والمعدود والثاني
ينقسم الى ما يدخل فيه كالجزء له فان الاثنين انما هو مركب من واحدين
وكذلك كل عدد فمركب من آحاد لا محالة وحيث ما ارتقى العدد الى
اكثر نزل نسبة الوحدة اليه الى قل والى ما يدخل فيه كالملازم له لا كالجزء
فيه وذلك لان كل عدد معدود ولن يخلو قط عن وحدة ملازمة فان
الاثنين والثلاثة في كونهما اثنين وثلاثة واحد وكذلك المعدودات
من المركبات والبسائط واحدة اما في الجنس او في النوع او في الشخص
كالجوهر في انه جوهر على الاطلاق والانسان في انه انسان والشخص
المعين مثل زيد في انه ذلك الشخص بعينه واحد فلم تنفك الوحدة
من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة الباري تعالى
ومن الموجودات كلها وان كانت في ذواتها متكثرة وانما شرف كل
موجود بغلبة الوحدة فيه وكل ما هو ابعد من الكثرة فهو اشرف واكمل
لان لفيثاغورس رأيا في العدد والمعدود مخالفا فيها جميع الحكماء
قبله ومخالفيه من بعده وهو انه جرد العدد عن المعدود وجعل له
الصورة عن المادة وتصوره موجودا محققا وجود الصورة وتحققها

وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو اول مبدع ابدعه البارى فاول
العدد هو الواحد وله اختلاف رأى فى انه هل يدخل فى العدد كما سبق وميله
اكثر الى انه لا يدخل فى العدد فيبتدى العدد من اثنين ويقول هو
منقسم الى زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط
اربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجا فانه لو انقسم
الى واحدين كان الواحد داخلا فى العدد ونحن ابتدأنا فى العدد
من اثنين والزوج قسم من اقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط
الاول ثلاثة قال وتم القسمة بذلك وما وراه فهو قسمة القسمة فالاربعة
هى نهاية العدد وهى الكمال وعن هذا كان يقسم بالرباعية لاوحق
الرباعية التى هى مدبر انفسنا التى هى اصل الكل وما وراء ذلك فزوج
الفرد وزوج الزوج وزوج الزوج والفرد ويسمى الخمسة عددا دائرا
فانها اذا ضربتها فى نفسها ابدا عادت الخمسة من راس ويسمى الستة
عددا تاما فان اجزاءها متساوية بجملتها والسبعة عددا كاملا فانها
مجموع الفرد والزوج وهى نهاية والثمانية مبتدأة مركبة من زوجين
والتسعة من ثلاثة افراد والعشرة وهى نهاية اخرى من مجموع
العدد من الواحد الى الاربعة وهى نهاية اخرى فللعدد اربع نهايات
اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الى الواحد فتقول احد عشر
وعقد والتركيبان فيما وراء الاربعة على انحاء شتى فالخمسة على مذهب
من لا يرى الواحد فى العدد فهى مركبة من عدد وفرد على مذهب
من يرى ذلك فهى مركبة من فرد وزوجين وكذلك الستة على الاول
فمركبة من فردين وعدد وزوج وعلى الثانى فمركبة من ثلاثة ازواج
والسبعة على الاول فمركبة من فرد وزوج وعلى الثانى من فرد وثلاثة
ازواج والثمانية على الاول فمركبة من زوجين وعلى الثانى فمركبة
من اربعة ازواج والتسعة على الاول فمركبة من ثلاثة افراد وعلى
الثانى من فرد واربعة ازواج والعشرة على الاول فمركبة من عدد
وزوجين او زوج وفردين وعلى الثانى فما يحسب من الواحد الى الاربعة
وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا العباس قال
وهذه هى اصول الموجودات لانه ركب العدد على المعدود والمعدود
على المعدود وقال المعدود الذى فيه اثنينية وهو اصل للعدد ودانت

ومبدأها العقل باعتبار ان فيه اعتبارين اعتبار من حيث ذاته وانه ممكن
للوجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله
الاثنان والمعدود الذى فيه ثلثية هو النفس اذ زاد على الاعتبارين
اعتبارا ثالثا والمعدود الذى فيه اربعية هو الطبيعة اذ زاد على الثلاثة
رابعا وتم النهاية يعنى نهاية المبادى وما بعده المركبات فما من موجود
مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل بشئ اما عين او اثر حتى
ينتهى الى السبع فيقدر المعدودات على ذلك وينتهى الى العشرة وبعد
العقل والنفوس التسعة بافلاكها التى هى ابدانها وعقولها المفارقة
وكالجوهر وتسعة اعراض وبالجملة انما يعرف حال الموجودات من العدد
والمقادير الاول ويقول البارى تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق
الاحاطة بالاسباب التى هى الاعداد والمقادير وهى لا تختلف فعلمه
لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هو العنصر الاول كما قال فيثاغورس
ويسميه الهيولى الاولى وذلك هو الواحد المستفاد لان الواحد الذى هو
لا كالاحاد وهو واحد يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة
التى تلازم الموجودات فلا يوجد موجود الا وفيه من وحدته حظ على
قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ على قدر قبوله ثم من قوة
النفس حظ على قدر تهيؤه وعلى ذلك آثار المبادى فى المركبات فان
كل مركب لن يخلو عن مزاج ما وكل مزاج لا يعرى عن اعتدال ما وكل
اعتدال عن كمال او قوة كمال اما طبيعى الى هو مبدأ الحركة واما عن
كمال نفسانى هو مبدأ الحس فاذا بلغ المزاج الانسانى الى حد قبول
هذا الكمال افاض عليه العنصر وحدته والعقل هدايته والنفس
نطقه وحكمته قال ولما كانت التاليفات
المعادلات العددية عددناها ايضا من ا
من الغيثاغوريين الى ان المبادى هى التى
مناسبات عددية ولهذا صارت المحركات السموية ذات حركات
متناسبة لحنية هى اشرف الحركات والطف التاليفات ثم تعدوا من
ذلك الى الاقوال حتى صارت طائفة منهم الى ان المبادى هى الحروف
المجردة عن المادة واوصوا الالف فى مقابلة الواحد والباء فى مقابلة
الاثنين الى غير ذلك من المقابلات ولست ادرى قد روها على اى لسان

ولغة فان الالسن تختلف باختلاف الامصار والمدن او على اى وجه
من التركيب فان التركيبات ايضا مختلفة فالبسائط من الحروف مختلف
فيها والمركبات كذلك ولا كذلك عدد فانه لا يختلف اصلا وصارت
جماعة منهم ايضا الى ان مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة والجسم مركب
عنها واوقع النقطة فى مقابلة الواحد والخط فى مقابلة الاثنين
والسطح فى مقابلة الثلاثة والجسم فى مقابلة الاربعة وراعوا هذه
المقابلات فى تراكيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومما ينقل عن
فيثاغورس ان الطبايع اربعة والنفوس التى فينا ايضا اربعة العقل
والراى والعلم والحواس تركب فيه العدد على المعدود والروحانى
على الجسمانى قال ابو على بن سينا وامثل ما يحمل عليه هذا القول
ان يقال كون الشئ واحدا غير كونه موجودا او انسانا وهو فى ذاته
اقدم منهما فالحيوان الواحد لا يحصل واحدا الا وقد تقدمه معنى
الوحدة التى صار به واحدا ولولاه لم يصح وجوده فاذا هو الاشرف
الابسط الاول وهذه صورة العقل فالعقل يجب ان يكون
الواحد من هذه الجهة والعلم دون ذلك فى الرتبة لانه بالعقل وعن
العقل فهو الاثنان الذى يتفرد الى الواحد ويصدر منه كذلك
العلم يؤول الى العقل ومعنى الظن والراى عدد السطح والحس
عدد المصمت ان السطح لكونه ذا ثلاث جهات هو طبيعة الظن
الذى هو اعم من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معين
والظن والراى يجذب الى الشئ ونقيضه والحس اعم من الظن فهو
المصمت اى جسم له اربع جهات ومما نقل عن فيثاغورس ان العالم
الف من اللحون البسيطة الروحانية ويذكر ان الاعداد الروحانية
غير منقطعة بل اعداد متحدة تجرى من نحو العقل ولا تتجزى من نحو
الحواس وعدوا لما كثيرة فمنه عالم هو سرور محض فى اصل الابداع
وابتهاج وروح فى وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنظمها
ليس مثل منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية
البسيطة وقد يكون باللحون الروحانية المركبة والاول يكون سرورها
دائما غير منقطع ومن اللحون ما هو بعد ناقص فى التركيب لان المنطق
بعد لم يخرج الى الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس

بغاية

بغاية الاتفاق وكل عالم هو دون الاول بالرتبة ويتفاضل العوالم بالحسن
والبهاء والزينة والاخر بنقل العوالم ونقلها وسفلها وكذلك لم يجتمع كل
الاجتماع ولم يتحد الصورة بالمادة كل الاتحاد وجاز على كل جزء منه الانفكاك
عن الجزء الاخر الا ان فيه نورا قليلا من النور الاول، فلذلك النور وجد
فيه نوع ثبات ولولا ذلك لم يثبت طرفة عين وذلك النور القليل جسم
النفس والعقل الحامل لهما في هذا العالم وذكر ان الانسان بحكم الفطرة
واقع في مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك
صار حظه من النفس والعقل اوفر فمن احسن تقويم نفسه وتهذيب
اخلاقه وتزكية احواله امكنه ان يصل الى معرفة العالم وكيفية تاليفه
ومن ضيع نفسه ولم يهتم بمصالحها من التهذيب والتقويم خرج من
عداد العدد والمعدود واخل عن رباط القدر والمقدور وصار
ضياعا هملا وربما يقول النفس الانسانية تاليفات عددية او لحنية
ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها وطاشت
وتواجدت بسماعها وجاشت ولقد كانت قبل اتصالها بالابدان
قد ابدعت من تلك التاليفات العددية الاولى ثم اتصلت بالابدان
فان كانت التهذيبات الخلقية على تناسب الفطرة وتجردت النفوس
عن المناسبات الخارجة اتصلت بعالمها وانخرطت في سلكها على
هيئة اجمل واكمل من الاول فان التاليفات الاول قد كانت ناقصة
من وجه حيث كانت بالقوة وبالرياضية والمجاهدة في هذا العالم
بلغت الى حد الكمال خارجة من حد القوة الى حد الفعل قال
والشرائع التي وردت بمقادير الصلوات والزكوات وسائر العبادات
انما هي لايقاع هذه المناسبات في مقابلة تلك التاليفات الروحانية
وربما يبالغ في تقرير التاليف حتى يكاد يقول ليس في العالم سوى
التاليف والاجسام والاعراض تاليفات والنفوس والعقول تاليفات
ويعسر كل العسر تقرير ذلك ثم تقدير التاليف على المؤلف والتقدير
على المقدر امر مهتدى به ويعول عليه وكان خريبوس وديمون
الشاعر منا بعض لفيثاغورس على رايه في المبدع والمبدع الا انهما
قالا الباري تعالى ابدع النفس والعقل دفعة واحدة ثم ابدع جميع ما تحتهما
بتوسطهما وفي بدو ما ابدعهما الا بوتان ولا يجوز عليهما الانفعال فضلا

وذكر ان النفس اذا كانت طاهرة ذكية من كل دنس صارت في العالم
الاعلى الى مسكنها الذي يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذي هو من
النار والهواء جسمها في ذلك العالم مهذبا من كل ثقل وكدر فاما الجرم
الذي من الماء والارض فان ذلك يدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم
السماوي لان الجسم السماوي لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم
في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه اشد روحانية وهذا العالم
لا يشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ما هو مركب والاجزاء النارية
والهوائية عليه اغلب كانت الجسمية اغلب وهو مركب والاجزاء
المائية والارضية عليه اغلب كانت الجرمية اغلب وهذا العالم عالم
الجرم وذلك العالم عالم الجسم فالنفس في ذلك العالم محتبر في بدن
جسماني لاجرماني دائما لا يجوز عليه الفناء والدثور ولذة تكون
دائمة لا يعلمها الطباع والنفوس وقيل لفيثاغورس لم قلت بابطال
العالم قال لانه يبلغ العلة التي من اجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته
واكثر اللذات العلوية هي التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح
والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه
ذلك الموجود واما ابراقليطس واباسيس كانا من الفيثاغورسيين
وقالوا ان مبدا الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحرفهو الارض
وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وما تحلل من الماء بالنار صار هواء
فالنار مبدا وبعدها الارض وبعدها الماء وبعدها الهواء وبعدها
النار والنار هي المبدا واليها المنتهى فمنها التكون واليها الفساد واما
ابيقورس الذي تفلسف في ايام ديمقراطيس وكان يرى ان مبادئ
الموجودات اجسام تدرك عقلا وهي كانت تتحرك من الخلا في الخلا
لانهاية له الا ان لها ثلاثة اشياء الشكل والعظم والثقل وديمقراطيس
كان يرى ان لها شيئين العظم والشكل فقط وذكر ان تلك الاجسام
لا تتجزى اى لا تنفعل ولا تتكسر وهي معقولة اى موهومة غير محسوسة
فاصطكت تلك الاجزاء في حركاتها اضطرارا واتفاقا فتحصل من اصطكاكها
صور هذا العالم واشكالها وتحركت على اثناء من جهات التحرك وذلك
هو الذي يحكى عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا اوجب
الاصطكاك واوجد هذه الصورة وهؤلاء قد اثبتوا الصانع

وابيقورس

وابنوا سبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق
فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخبطة وكان لفيثاغورس تلميذان
رشيد ان يدعى احدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس
ودعا الناس الى حكمة فيثاغورس واضاف حكمه الى محوسية القوم
والاخر يدعا قلانوس ودخل الهند ودعا الناس الى حكمه واضاف
حكمه الى برهمية القوم الا ان المجوس كما يقال اخذوا جسمانية قوله
والهند اخذوا روحانية وما اخبر عنه فيثاغورس واوصى به قال
انى عاينت هذه العوالم العلوية بالحس بعد الرياضة البالغة وارتفعت
عن عالم الطبايع الى عالم النفس وعالم العقل فنظرت الى ما فيهما من
الصور المجردة وما لها من الحسن والبهاء والنور وسمعت ما لها من
اللحون النسريفة والاصوات الشجية الروحانية وقال ان ما في هذا العالم
يشتمل على مقدار يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما فوقه
من العوالم الاعلى واشرف واحسن الى ان يصل الوصف الى عالم
النفس والعقل فيقف فلا يمكن المنطق وصف ما فيهما من الشرف
والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال
العالم حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا بعد مفارقتكم من الفساد والد
وتصيرون الى عالم هو حسن كله وبهاء كله وسرور كله وعز وحق كله
سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال ومن كانت الوسائط بينه وبين
مولاه اكثر فهو في رتبة العبودية انقص واذا كان البدن مفتقرا في مصالحه
الى تدبير الطبيعة مفتقرة في تادية افعالها الى تدبير النفس وكانت النفس
مفتقرة في اختيارها الافضل الى ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فايض
الا الهداية الالهية فالحري ان يكون المستعين بصريح العقل في كافة المصادر
مشهود اله بفطنة الاكتفاء بمولاه وان يكون التابع لشهوة البدن المنقاد
لدواعي الطبيعة والموانى لهوى النفس بعيدا من مولاه ناقصا في رتبته

تم الجزء الاول ويليه الجزء
الثاني اوله رأى
سقراط